النباهة في البداهة

جمع وتصنيف

الشيخ الطبيب العلامة

محمد أبي اليسر عابدين

رحمه الله تعالى

راجعه وقدم له

العلامة شيخ قراء الشام

كريم راجح



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله حقّ حمده والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ، وعلى من تبعهم فأحسن الاتباع ، واقتدى بهم فأحسن الاقتداء .

وبعد فلقد كان المرحوم العلامة الشيخ أبو اليسر أفندي عابدين الطبيب الفقيه اللغوي ، المفتي ، الذي جمع الله له العلم والفهم ما جعله موسوعة عصره علماً واطلاعاً ، لقد كان رحمه الله آية من آيات الفضل ، ومهما شاء مترجمه أن يتكلم عنه ، فإنه لا يستطيع أن يحيط به علماً وفضلاً .

فهو إن شئت فقيهاً ؛ أو أصولياً ، أو لغوياً ، أو نحوياً ، أو محدِّثاً ، أو معلِّماً ، أو طبيباً جرَّاحاً أو أو . . . فإنك تجده في كل فن من الفنون مبرِّزاً ، إلى ما أوتي من تواضع في احترام ، وأنفة من غير كبرياء ، فقد كان أينما وجد وجدت المهابة والرفعة ، فلم يهن رحمه الله أمام حاكم ، ولم يضعف أمام جبار ، وحوادثه في ذلك معلومة مشهورة ، على توالي العهود ، وتعاقب الأيام .

لقد كان رحمه الله مفخرة من مفاخر سورية ، بل لقد كان مفخرة سورية ، ثم لو قلت مفخرة العالم الإسلامي لكنت صادقاً ، ولكنه الرجل الذي آثر أن يعيش العمل الجاد المفيد غير ناظر إلى الشهرة ، ولا متطلِّع إلى مفاخر الحياة ولا إلى مظاهرها ، فكان في طعامه وشرابه ولباسه ، ومسكنه لا يزيد على أي إنسان عاديّ ، وكان وهو مفتي الجمهورية العربية السورية يمشي على قدميه ، ولا سيارة ، ويسلم على الناس أثناء سيره ، ولا يصطحب من تلامذته وإخوانه من يسير معه للأبهة والتعظيم ، بل لم يتخذ رحمه الله تلامذته خاصة ينتسبون إليه ، ويلازمونه ، دون أن يذهبوا إلى غيره ، فلم يحجر على أحد قرأ

معه أن يقرأ على غيره ، وكان إذ بلغه خطأ عن بعض العلماء في فتوى فقيه أو في مسألة علمية كان يصحِّح ولا يشهر .

عاش للعلم ، ومات في العلم ، وعاش للدِّين ، ومات في الدِّين رحمه الله تعالى . ويبدو لي أن الشيخ كان لكثرة ما يقرأ أو يكتب يعتريه الملل في بعض الأحيان فيلجأ إلى كتب الأدب والتسلية فينظر فيها ثم يكتب منها ما حلا له ، فكان أن جمع من النظر في هذه الكتب هذا الكتاب ، فهو من ثمار الأوقات التي يرفِّه فيها عن نفسه ، وقد شاء أن يشرك القارئ معه في هذهِ المُتَع فكتب ما كان يسرُّه ويمتعه ، عساه أن يسرَّك ويمتعك أيها القارئ . فاقرأ هذا الكتاب وادع للشيخ المرحِ في علمه ، العالم في مرحه .

شيخ قرَّاء الشام
كريم راجح

دمشق في ٢٨/ ٦/ ٢٠٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ المتَّصف بصفات الكمال ، الذي لا يعتريه نقصٌ ولا زوال ، دبَّر الخلْقَ بحكمته ، وخلق العرش والكرسيَّ بقدرته ، وميَّز الإنسان بنطق اللسان ، ومنحه العقل والبرهان ، ليهتدِيَ بصُنع الرحمن ، على أنَّه الإله الواحد المنَّان ، والصلاة والسلام على سيِّد الأكوان ، وعلى آله وصحبه ما تعاقَبَ المَلَوَان ، الذين ارتشفوا من بحر علمه ما نَقَلُوه بأمان .

أما بعد ؛

فلمّا كانتِ العقولُ متفاضلة ، والأفكارُ غيرَ متشاكلة ، بل الإنسان الواحد قد يُناقض نفسه من الوارد ، ورُبَّ عالمٍ نحرير غيرُ نطوق ، وربَّ نطوقٍ غيرُ صدوق ، وكانت البداهة في المقول تَزِين الفحول والجهول أردتُ أن أجمع في هذا الباب ما يستحسنه أولو الألباب ويكون نزهة للأصحاب . ولا يمكن في هذا الأمر الاستيعاب ، بل ربَّ منسيٍّ خيرٌ ممَّا في الحساب ، وأبى الله الكمال لغير الكتاب، ولذا فإنِّي لا ألتزم صحّة الانتساب لمن تُنسب له البداهة والخطاب، وسميّته : « **النباهة في البداهة** » ، والحمدُ لله تعالى في البدء والمآب .

البَدَه والبَدَاهة ـ ويضمّان ـ والبديهةُ : أوَّل كلِّ شيء ، وما يفجأ منه .

وبادَهَه به مبادهَةَ وبداهة ـ بالكسر ـ : فَاجَأَه به ، وفي صفته ﷺ (مَن رآه بديهةً هابه) أي : مفاجأة وبغتةً ، ويقال : لك البديهة ، أي : لك أن تبدأ .

قال ابن سِيَده : وأرى الهاء بدلاً من الهمزة ، وهو ذو بديهة : يصيب الرأي في أوَّل ما يفجأ به .

وقال علي بن ظافر الحداد في « بدائع البداية » : إنَّ أصل البديهة الارتجال في الكلام ، وغلب في الشعر بلا رويّة ولا تفكُّر ، وإنَّ الارتجال أسرعُ من البديهة والرويّة بعدهما .

قال شيخنا : فأشار إلى الفرق بين البديهة والارتجال . وهو الذي ذهب إليه ابن رشيق في « العمدة » وأيَّده . ويقولون : أجاب على البديهة ، أي : أوّل ما يفجأ به ، وله بداءة في الكلام والشعر والجواب أي : بدائع كأنَّه جمع بديهة كسفينة وسفائن . ولا يبعد أن تكون الهاء بدلاً من العين ، وبدّه الرجل تبديهاً . . أجاب جواباً سديداً . وتمامه في « القاموس » و« شرحه » .

وفي « المختار » : نبُه الرجل شرف واشتهر ، وبابه ظرف ، فهو نبيه ونابه ، وهو ضد الخامل .

الطبيب الشيخ

محمد أبو اليسر عابدين

الأجوبة مما ورد في القرآن الكريم



إنما اختلفنا عنه لا فيه ﷺ

في « روح البيان » في تفسير سورة (قٓ) : عن عليٍّ رضي الله عنه ؛ قال له يهودي : ما دفنتم نبيَّكم حتَّى اختلفتم . فقال : إنَّما اختلفنا عنه ؛ لا فيه ، ولكنكم ما جفَّتْ أرجلُكم من البحر حتى قلتم لنبيِّكم : ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾[1] .

* * *

ليس ممن أرضى

شهدَ رجلٌ من جُلساء الحسن بشهادةٍ عند إياس ، فردَّه ، فشكا الرَّجُل ذلك إلى الحسن ، فأتاه الحسنُ فقال : يا أبا واثلة ؛ لِمَ رددْتَ شهادة فلان ؟ فقال : يا أبا سعيد ؛ إن الله تعالى يقول : ﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾[2] وليس فلانٌ ممّن أرضى .

* * *

ولو زدتنا لزدناك

قال معاوية يوماً : أيها الناس ؛ إنَّ الله أحيا قريشاً بثلاث : فقال لنبيِّه ﷺ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[3] ونحن عشيرتُه الأقربون . وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾[4] ونحن قومه . وقال تعالى : ﴿ لِإِيلَـٰفِ قُرَيْشٍ ﴾[5] ونحن قريش .

---

(١) الآية : ١٣٨ ؛ من سورة : الأعراف .
(٢) الآية : ٢٨٢ ؛ من سورة : البقرة .
(٣) الآية : ٢١٤ ؛ من سورة : الشعراء .
(٤) الآية : ٤٤ ؛ من سورة : الزخرف .
(٥) الآية : ١ ؛ من سورة : قريش .

فأجابه رجلٌ من الأنصار ؛ فقال : على رِسْلِك يا معاوية ؛ فإنَّ الله تعالى يقول : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾[1] وأنتم قومه . وقال تعالى : ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾[2] وأنتم قومه . وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾[3] وأنتم قومه ، ثلاثةٌ بثلاثة ، ولو زِدْتَنا لزِدْناك .

* * *

أجهل من قومي قومك

في « روح البيان » من سورة المعارج عن معاوية أنَّه قال لرجل من أهل سبأ : ما أجهلَ قومَكَ حين مَلَّكوا عليهمُ امرأة . قال : أجهلُ من قومي قومُكَ ، قالوا لرسول الله ﷺ حين دعاهم إلى الحق : ﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[4] ولم يقولوا : إنْ كان هذا هو الحقَّ من عندِكَ فاهْدِنا له اهـ.

* * *

الأسوة الحسنة

في « المعارف » لابن قتيبة ؛ قال : روىٰ عليُّ بن محمد عن عثمان بن عثمان ؛ قال : زوَّج عليُّ بن الحسين أمَةً من مولاه ، وأعتق جاريةً له وتزوَّجها ، فكتبَ إليه عبد الملك يُعيِّرُه بذلك . فكتب إليه علي : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[5] وقد أعتق رسول الله ﷺ صفيّة بنت حُيَيّ وتزوَّجها ، وأعتقَ زيد بن حارثة وزوَّجه ابنةَ عمته زينب بنت جحش اهـ.

---

(١) الآية : ٦٦ ؛ من سورة : الأنعام .
(٢) الآية : ٧٥ ؛ من سورة : الزخرف .
(٣) الآية : ٣٠ ؛ من سورة : الفرقان .
(٤) الآية : ٣٢ ؛ من سورة : الأنفال .
(٥) الآية : ٢١ ؛ من سورة : الأحزاب] .

ولد علي بن الحسين المُسمَّى « زين العابدين » سنة : ٣٨ هـ وتوفي سنة : ٩٤ هـ .

* * *

تُقبّل من أحدهما

أمر عبدُ الملك بن مروان أن يُعمل بابُ بيتِ المقدس ويُكتب عليه اسمُه ، وسأله الحجَّاج أنْ يعملَ له باباً ، فأذِنَ له ، فاتفق أنَّ صاعقةً وقعتْ فاحترق منها بابُ عبد الملك ، وبقي بابُ الحجَّاج ، فعظُمَ ذلك على عبد الملك ، فكتب إليه الحجَّاج : بلغني أنَّ ناراً نزلتْ من السماء فأحرقَتْ بابَ أمير المؤمنين ؛ ولم تحرقْ بابَ الحجَّاج ، وما مَثَلُنا في ذلك إلاَّ كمَثَلِ ابنَيْ آدمَ ﴿ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[1] فسُرِّيَ عنه لمَّا وقف عليه .

* * *

على كره من المؤمنين

قال زُفَر بن الحارث لعبد الملك بن مروان : الحمد لله الذي نَصَرك على كُرْه من المؤمنين . فقال أبو زُعَيْزِعَة : ما كره ذلك إلا كافر . فقال زفر : كذبتَ ، قال الله لنبيه : ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾[2] .

* * *

فدمرناها تدميرا

دخلَ خالدُ بن يزيد بن معاوية على عبد الملك والوليدُ عنده ؛ فقال :

---

(١) الآية : ٢٧ ؛ من سورة : المائدة .

(٢) الآية : ٥ ؛ من سورة : الأنفال . « العقد الفريد » لابن عبد ربه .

يا أميرَ المؤمنين ؛ الوليدُ ابنُ أميرِ المؤمنين ، ووليُّ عهدِ المسلمين ، مرَّتْ به خيلُ ابن عمِّه عبدِ الله بن يزيد فعبَثَ بها وأصغرَهُ ، وعبدُ الملك مُطرقٌ !! فرفع رأسَه فقال : ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[1] فقال خالد : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾[2] .

* * *

إن أصابوا فقد أخطأت

صَعِد سليمانُ بنُ عبدِ الملك يوم جُمُعة المِنبر ـ ويقال الوليد ؛ وعليه أكثر المؤرخين ـ فسمع صوت ناقوس ! ؟ فقال : ما هذا ؟ قالوا : البِيعَةُ يا أمير المؤمنين ، فأمر بهَدْمِها فهُدِمت ، فبلغ ذلك ملكَ الرُّوم ، فكتب إليه : إنَّ هذه البيعة أقرَّها مَنْ كان قبلَك ، فإن كانوا أصابوا فقد أخطأت ، وإن تكن أصَبْتَ فقد أخطؤوا فسأل سليمانُ من خواصِّ دولته الجواب ، فأعياهم ، فقال الفرزدق : عن إذنِ أمير المؤمنين ، قال : قل . قال : يكتب إليه : ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[3] فسُرَّ بذلك ؛ وأمَرَ له بعشرةِ آلاف دِرْهَم .

* * *

إما منّاً وإما فداءً

أمر الحجَّاج بقتل أسرى ، فقَتَلَ منهم جماعة ، فقال رجلٌ منهم ، وقد عُرِض على القتل : لا جزاكَ الله عن السُّنَّة خيراً يا حجَّاج ، إنْ كُنَّا أسأنا في الذنب فما أحسنتَ في العقوبة ، فإنَّ الله تعالى قال : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

---

(١) الآية : ٣٤ ؛ من سورة : النمل .

(٢) الآية : ١٦ ؛ من سورة : الإسراء .

(٣) الآية : ٧٩ ؛ من سورة : الأنبياء .

فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾[1]

فهٰذا قول الله تعالى في الكفَّار ، فكيف في المسلمين ؟! وقال الشاعر :

وَمَـا نَقْتُـلُ ٱلأَسْـرَىٰ وَلٰكِـنْ نَفُكُّهُـمْ إِذَا أَثْقَـلَ ٱلأَعْنَـاقَ حَمْـلُ ٱلقَـلاَئِـدِ

فقال الحجَّاج : أُفٍّ لهؤلاء الجِيَف ، والله لو قالوا مثلَ ما قالَ هذا الرجل ما قتلتُ منهم واحداً ، ولكنْ أطلِقوا بقيَّتَهم .

* * *

صدق الله وكذب الشاعر

وقال الهيثم بن عدي : جاء رجل إلى الحجَّاج ؛ فقال : إنَّ أخي خرج مع ابن الأشعث فضُرب على اسمي في الديوان ، ومُنعت العطاء وقد هُدمت داري !!

فقال الحجَّاج ، أَمَا سمعت قول الشاعر :

حَنَـانَيْـكَ مَـنْ تَجنَّـىٰ عَلَيْـكَ وَقَـدْ تَعَـدَّىٰ ٱلصِحَـاحَ مَبَـارِكُ ٱلجَـرَبِ
وَلَـرُبَّ مَـأْخُـوذٍ بِـذَنْـبِ قَـرِيبِـهِ وَنَجَا ٱلمُقارِفُ صَاحِبُ ٱلذَّنْبِ ؟

فقال الرجل : أيها الأمير ؛ إنِّي سمعت الله يقول غيرَ هذا ، وقولُ الله أصدق من هذا !! قال : وما قال ؟ قال : ﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٧٨ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ ﴾[2] قال : يا غلام ؛ أعد اسمه في الديوان وٱبنِ داره ، وأعطه عطاءه ، ومُرْ منادياً ينادي : صدق الله وكذب الشاعر .

* * *

(١) الآية : ٤ ؛ من سورة : محمد ﷺ .
(٢) الآية : ٧٨ ـ ٧٩ ؛ من سورة : يوسف .

لا تسألوا عن أشياء إن تُبد لكم تسؤكم

في « حياة الحيوان » للدَّميري ترجمة للحجَّاج ، فمنها كان الحجَّاج كثيراً ما يسأل القُرَّاء ، فدخل عليه يوماً رجلٌ ؛ فقال له الحجَّاج : ما قبل قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأٓخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾(١) . فقال له قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ فما سأل أحداً بعدها .

❋ ❋ ❋

ألا قرأت !

قيل : مرَّ عمرُ بن عبد العزيز بقصرٍ لآل جفنة ، فتمثَّل « مزاحم » مولاه ؛ بقول : « الأسود بن يَعفر النَّهشلي » :

مَــاذَا أُؤَمِّــلُ بَعْــدَ آلِ مُحَــرِّقٍ ... تَــرَكُــوا مَنَــازِلَهُــم وَبَعْــدَ أَيَــادِ

أَهْـلُ ٱلْخَـوَارِقِ وَٱلسَّـدِيـرِ وَبَـارِقٍ ... وَٱلْقَصْـرِ ذِي ٱلشُّـرُفَـاتِ مِـنْ سِنْـدَادِ

حَلُّــوا بِــأَنْقَــرَةٍ يَسِيْــلُ عَلَيْهِــمُ ... مَـاءُ ٱلْفُـرَاتِ يَجِـيءُ مِـنْ أَطْـوَادِ

أَرْضٌ تَخَيَّــرَهَــا لِطِيْــبِ مَقِيلِهَــا ... كَعْـبُ بْـنُ مَـامَـةَ وَٱبْـنُ أُمِّ دُؤَادِ

جَرَتِ ٱلرِّيَاحُ على عِراصِ دِيَارِهِم ... فَكَــأَنَّمَــا كَــانُــوا عَلَــى مِيْعَــادِ

وَلَقَـدْ غَنُـوا فِيْهَـا بِـأَفْضَـلِ عِيْشَـةٍ ... فِـيْ ظِـلِّ مُلْـكٍ ثَـابِـتِ ٱلأَوْتَـادِ

فَـإِذَا ٱلنَّعِيْـمُ وَكُـلُّ مَـا يُلْهَـىٰ بِـهِ ... يَـوْمَـاً يَصِيْـرُ إِلَـىٰ بِلَـىً وَنَفَـادِ

فقال له عمر : ألا قرأت ﴿ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾(٢) .

❋ ❋ ❋

ما أشغلهم !

وروىٰ الزُّهريُّ ؛ قال : حجَّ هشام بن عبد الملك ؛ فدخل المسجد

---

(١) الآية : ٩ ؛ من سورة : الزمر .

(٢) الآية : ٢٥ ـ ٢٨ ؛ من سورة : الدخان . شرح ديوان ابن زيدون .

الحرام ، فقيل له : هذا محمد بن عليٍّ بن الحسين جالسٌ في حلقته !!

فقال لرجل من جماعته : اِذهب إليه وسله ؛ وقل له : يقول لك أميرُ المؤمنين : ما الذي يأكلُه الناس ويشربونه في المحشر ، إلى أن يفصل بينهم يومَ القيامة !؟

فلمَّا سأله قال : قل له : يحشر الناس على مثل قرص نقي فيها أشجار وأنهار يأكلون ويشربون منها حتَّى يفرغوا من الحساب .

فلمَّا سمع هشام ذلك ظنَّ أنَّه أخطأ وأنّ ذلك فرصة في إشاعة حاله لينفر عنه أهلُ العراق ، فأرسل إليه يقول : الله أكبر ؛ ما أشغلهم عن أن يطلبوا أكلاً أو شرباً في ذلك النهار!!

فقال : أبو جعفر : قل له : هم في النار أشغل ولم يُشغَلُوا عن أن قالوا : ﴿ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾[1] فسكت هشام وعرف فضله .

* * *

أتاكَ كتابُ الله

وُشي برجل إلى بلال بن أبي بردة ، فلما أُتي به قال : قد أتاك كتابُ الله في أمرنا فاعمل به ، قال الله تعالى : ﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾[2] ، فقال : صَدَقْت .

* * *

ما أنت بالذي

كان الفرزدقُ دَميماً ، فقال له صفوان : ما أنت بالذي لما ﴿ رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾[3] فقال الفرزدق : ولا أنت يا صفوان بالذي قالت الفتاة لأبيها في حقه : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ

(١) الآية : ٥٠ ؛ من سورة : الأعراف .
(٢) الآية : ٦ ؛ من سورة : الحجرات .
(٣) الآية : ٣١ ؛ من سورة : يوسف عليه الصلاة والسلام .

مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾[1] .

* * *

لا أدري

وقيل : سُئل الشعبيُّ عن مسألةٍ ؛ فقال : لا أدري . قيل له : كيف تأخذ رِزْقَ السلطان ؟! قال : لأقول (لا أدري) .

وقيل له : ألا تستحي أن تقول لا أدري ؟! قال : لا ، فإنَّ الملائكة لم يستَحْيُوا حين سئلوا عما لا يعلمون أن يقولوا : ﴿ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾[2] .

* * *

أتقتلون امرأة

لمَّا خرجت الخوارج بالأهواز . . أخذوا امرأة فهمُّوا بقتلها ؛ فقالت لهم : أتقتلون من ﴿ يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾[3] فأمسكوا عنها .

* * *

وما كفر سليمان

ولَّى المنصور سليمان بن راشد المَوْصل ، وضمَّ إليه ألفاً من العجم ؛ وقال له : قد ضَمَمْتُ لك ألفَ شيطان تُذِلُّ بهمُ الخَلْق . فلمَّا أتى المَوْصل . . عاثُوا في البلاد وقطعوا السُّبُل ؛ فانتهى خبَرُهم إلى المنصور ، فكتب إليه : أكفرتَ النعمة يا سليمان ؟ فأجابه : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ ﴾[4] .

فقَبِل المنصور عُذره وصَرَفَهُم عنه .

---

(١) الآية : ٢٦ ؛ من سورة : القصص] .
(٢) الآية : ٣٢ ؛ من سورة : البقرة .
(٣) الآية : ١٨ ؛ من سورة : الزخرف] .
(٤) الآية : ١٠٢ ؛ من سورة : البقرة .

ألعليّ يقال ؟

ذكر ابن خَلِّكان في ترجمة شَريك النَّخَعي قاضي المهدي : أبي هارون الرشيد عن الحريري في « درة الغوَّاص » أنَّه كان لشَريك جليسٌ من بني أمية ، فذكر شَريك في بعض الأيام فضائلَ عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال الأمويُّ : نعم الرجلُ عليّ ! فأغضبه ذلك وقال : ألعليٍّ يُقال (نِعم الرجل) ولا يُزاد على ذلك ؟! فأمسك حتَّى سكن غضَبُه ؛ ثم قال : يا أبا عبد الله ؛ ألم يقل الله تعالى في الإخبار عن نفسه : ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ ﴾[1] وقال في أيُّوب عليه السلام : ﴿ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[2] ، وقال في سليمان : ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[3] أفلا ترضى لعليٍّ بما رضي الله به لنفسِه ولأنبيائه ؟!

فتنبَّه شَريكٌ عند ذلك لوهمه اهـ.

* * *

سقناه لبلدٍ ميت

ذكر العُتبيُّ أنَّ أباناً تغدّى مع الرَّشيد يوماً ، فجاؤوا بهريسةٍ عَجيبةٍ ، في وسطها سُكْرجَّةٌ ، فيها من دهن الدَّجاج ، قال أبان : فاشتهيتُ من ذلك الدَّسم ، ومددتُ يدي لأَغمسَ ، فانقلبَ الدَّسمُ نحوي على الهريسةِ ، فقال الرشيد : يا أَبان ؛ ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾[4] فقال أبان : يا أميرَ المؤمنين ، لا ولكنْ ﴿ سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾[5] فضحكَ الرَّشيدُ حتى أمسكَ صدرَه .

* * *

---

(١) الآية : ٢٣ ؛ من سورة : المرسلات .

(٢) الآية : ٤٤ ؛ من سورة : صَ .

(٣) الآية : ٣٠ ؛ من سورة : صَ .

(٤) الآية : ٧١ ؛ من سورة : الكهف .

(٥) الآية : ٥٧ ؛ من سورة : الأعراف .

ما حملك على خلافنا ؟

دخل رجل من الخوارج على المأمون ؛ فقال له المأمون : ما حملك على خلافنا ؟! قال : آيةٌ في كتاب الله ، قال : وما هي ؟ قال : قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[1] قال : ألك علمٌ بأنَّها مُنْزَلة ؟ قال : نعم . قال : وما دليلك ؟ قال : إجماعُ الأُمَّة ، قال : فكما رَضيتَ بإجماعهم في التنزيل فارْضَ بإجماعهم في التأويل !

قال : صدقت ؛ السلام عليك يا أميرَ المؤمنين .

❊ ❊ ❊

يا موسى

قيل : غضب المأمونُ على طاهر بن عبد الله فطلبه ، فلمَّا أراد الذهاب إليه ورد إليه كتابٌ من أحد خِلاَّنه فيه بعد السلام : يا موسى ، فجعل يتأمَّلُه ولا يعلم معنى ذلك !!

وكانت له جارية فَطِنَة ؛ فقالت : إنَّه يقول : ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾[2] فاختفى عن المأمون .

❊ ❊ ❊

فهم فندم

قيل : لمَّا تضاءلت الخلافةُ العباسيَّة ؛ ولم يبقَ للخليفة إلا الاسم ، وصار أميرُ كلِّ ناحيةٍ يستبدُّ بها ، ويُحاربُ القويُّ منهم الضعيفَ ويستولي عليها ، إلى أن ذَهَبَتْ ؛ ومنهم السلطان محمود الغَزْنَوي سُبُكْتِكِين ، طلب من خليفة بغداد أن ينقشَ اسمَه على النَّقْد ، ويذكر اسمه في الخطبة ، فامتنع الخليفة ، فأرسل

---

(١) الآية : ٤٤ ؛ من سورة : المائدة .

(٢) الآية : ٢٠ ؛ من سورة : القصص .

السلطانُ يهدِّدُه ؛ ويقول له : لو أردتُ نقل حجارة بغداد على ظهور الفيلة لِغَزْنة[1] لفعلت .

فأجابه الخليفة بكتابٍ في أوَّله البسملة ، وبعدها ألف ، وفي وسط الكتاب لام ، وفي آخره ميم . فعجز عن فهم مُراد الخليفة ، فدخل عليهم أبو بكر القُهُسْتاني ، وكان عالماً فقال : عندي فكُّ هذا اللُّغز . قال : فُكَّهُ ؛ ولك ما تريد .

فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾[2] .

فندم السلطان وتاب .

* * *

فتبسم ضاحكاً من قولها

ذكر ابنُ خَلِّكان في ـ ترجمة يحيى بن أكثم القاضي ـ : أنَّ أحد الملوك حاصَرَ بلدة وكتب كتاباً لصاحبها يُشيرُ إليه بكثرةِ جُنده ليسلِّم له البلدة ؛ وكان فيما كتب قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[3] .

فلمَّا وصله الكتاب قال : مَنْ يجاوب هذا ؟

فقال بعض الكتَّاب : أنا ، فكتب إليه ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾[4] .

فاستحسن الحاضرون جوابَه .

* * *

---

(١) غَزْنَة : من أنزه البلاد وأفسحها رقعة قاموس .
(٢) الآية : ١ ؛ من سورة : الفيل .
(٣) الآية : ١٨ ؛ من سورة : النمل .
(٤) الآية : ١٩ ؛ من سورة : النمل .

لي خصماء ظلَّم

قال أبو العيناء : كانت لي خصماءُ ظلَّم ، فشكوتهم إلى أحمد بن أبي دُؤاد وقد تضافروا فصاروا يداً واحدة ؛ فقال : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[1] فقلت : لهم مكر . فقال : ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾[2] فقلت : هم كثير . فقال : ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[3] .

* * *

لا تنس نفسك

قال ابنُ الجهم يوماً لأبي العيناء : يا مُخنَّث ؛ فقال : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ﴾[4] .

* * *

يضحك منك

قيل لأبي العيناء : إنَّ سعيد بن عبد الملك يَضحكُ منك ، فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴾[5] .

* * *

تنزه الله سبحانه وتعالى عن المكان

يروى أنَّ إمام الحرمَيْنِ ـ أستاذَ الإمام الغزالي ـ نزل ببعض الأكابر ضيفاً ، فاجتمع عنده العلماء والأكابر !! فقام واحدٌ من أهل المجلس ؛ فقال : ما الدليلُ على تنزُّهه سبحانه وتعالى عن المكان ، وقد قال : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى

---

(١) الآية : ١٠ ؛ من سورة : الفتح .
(٢) الآية : ٤٣ ؛ من سورة : فاطر .
(٣) الآية : ٢٤٩ ؛ من سورة : البقرة . كذا في « روح البيان » في سورة الأنفال .
(٤) الآية : ٧٨ ؛ من سورة : يسٓ .
(٥) الآية : ٢٩ ؛ من سورة : المطففين .

﴿ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[1] فقال : الدليل عليه قولُ يونس في بطن الحوت : ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾[2] فتعجَّب منه الحاضرون ، فالتمس صاحبُ الضيافة بيانَه ؛ فقال الإمام :

إنَّ هٰهنا فقيراً مديوناً بألف درهم ، أدِّ عنه دَيْنَه حتَّى أُبيِّنَه ، فقَبِلَ صاحبُ الضيافة دَيْنَه ، فقال : إنَّ رسول الله ﷺ لمَّا ذهبَ في المِعْراج إلى ما شاء الله من العُلاَ ؛ قال هناك : « لا أُحْصي ثناءً عليكَ أنتَ كما أثْنَيْتَ على نفسِكَ » .

ولمَّا ابتُلِيَ يونسُ عليه السلام بالظُّلُمات في قعر البحر ببَطْنِ الحوت قال : ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3] فكلٌّ منهما خاطَبَه بقوله : أنت ، وهو خطابُ الحضور ، ولو كان هو في مكان لما صحَّ ذلك !

فدلَّ ذلك على أنَّه ليس في مكان اهـ[4] .

قلت : ورأيتُ في كتابٍ لا أذكُرُه أنَّ الدليل يستفاد من قوله ﷺ : « لا تُفضِّلوني على يونس بن مَتَّى ، ولا على موسى بنِ عِمْران » ، أي : أنَّ سبب تخصيصه ﷺ النهيَ عن التفضيل بيونس ، أنَّ محمداً ﷺ وهو فوق العرش والرفرف الأخضر ليس بأقربَ إلى الله من يونسَ بن متَّى وهو في ظُلُماتٍ ثلاث . ومحمد الذي رأى ربَّه بعين رأسه ليس أقربَ إلى الله من موسى بن عمران حينما قال له ربُّه : ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾[5] .

وإنَّما الجميع بالقُرْب إلى الله سواء ، وهو معكم أينما كنتم ؛ سبحانه

---

(١) الآية : ٥ ؛ من سورة : طه .
(٢) الآية : ٨٧ ؛ من سورة : الأنبياء .
(٣) الآية : ٨٧ ؛ من سورة : الأنبياء .
(٤) « روح البيان » تحت قوله : ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ .
(٥) الآية : ١٤٣ ؛ من سورة : الأعراف .

وتعالى . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾[1] .

* * *

والبلد الطيب يخرج نباته

قال أبو زيد النَّحْوي : كنتُ أنا ورجل من قيس ، ومعه ابنٌ له نُريد الجمعة ، وأبو علقمة على باب المسجد جالسٌ ، فقال الغلام لأبيه : أكلِّم أنا أبا علقمة ؟ فقال : لا ، فأعادَ عليه الغلامُ ثلاثاً ، فقال له أبوه : أنتَ أعلم .

فقال الغلام : يا أبا علقمة ؛ ما بالُ لحى قيسٍ خفيفة المؤنة ، ولحى اليمن كبيرة عريضة شديدة المؤنة ؟!

قال : من قول الله تعالى : ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ ﴾[2] مثل لحيةِ أبيك ، قال : فجذبَ القيسيُّ يدَه من ابنه ، ودخل في غمارِ الناس حياءً وتستّراً .

* * *

أن تضلّ إحداهما

في « حاشية الدر » أوائلَ كتاب الشهادة : حُكي أن أمَّ بشر شهدت هي وأمُّ الشافعي عند الحاكم ، فقال الحاكم : فرِّقوا بينهما .

فقالت : ليس لك ذلك !! قال الله تعالى : ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ ﴾[3] فسكت الحاكم .

وقال التاج السُّبْكي بعد نقل هذه الحكاية : وهذا فرعٌ حسَنٌ ، واستنباطٌ جَيِّدٌ ، ومَنْزِعٌ غَريبٌ ، والمعروف في مذهب ولدِها إطلاقُ التفريق بينهم ،

---

(١) الآية : ١٦ ؛ من سورة : قَ .

(٢) الآية : ٥٨ ؛ من سورة : الأعراف] .

(٣) الآية : ٢٨٢ ؛ من سورة : البقرة . كذا في « البحر » .

وكلامُها صريحٌ في استثناء النساء للمنزِع الذي ذكرَتْه ، ولا بأس به اهـ.

* * *

مطلوبك أين ؟

ذكر الزَّبيدي ـ شارح « الإحياء » أول كتاب الأذكار والدعوات ـ عن الطَّرَطوسي في أسباب رفع الأيدي بالدعوات إلى السماء ما نصُّه :

قال : ولقد أجاب القاضي ابنُ فريعة لمَّا صلَّى ذات ليلة في دار الوزير المهلَّبي ، وأبو إسحاق الصابىء يرمُقه ، فأحسَّ به القاضي ، فلمَّا سلَّم قال له : ما لك ترمُقني يا أخا الصابئة ؛ أحُبِّبْتَ إلى الشريعة الصافية ؟

قال : بل أخذتُ عليك شيئاً . قال : ما هو ؟ قال : رأيتُكَ ترفعُ يدَيْكَ نحوَ السماء وتخفِضُ بجبهتك على الأرض ، فمطلوبُك أين هو ؟ فقال : إنَّنا نرفع أيديَنا إلى مطالعِ أرزاقنا ، ونخفِضُ جباهنا إلى مصارع أجسادنا ، نستدعي بالأوَّل أرزاقَنا ، ونستدفعُ بالثاني شرَّ مصارِعِنا ، ألم تسمع قولَهُ تعالى : ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾[1] وقال : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾[2] .

فقال المهلبي : ما أظنُّ أنَّ الله خلَقَ في عصرِكَ مِثْلَك اهـ.

قلت : منها خلقناكم للسَّعْي والاكتساب ، وفيها نُعيدُكم للدود والتُّراب ، ومنها نُخرِجُكم للعَرْضِ والحِساب .

* * *

إنَّا لن ندخلها

حُكي أنَّ القاضي الفاضل كان له صديقٌ خَصِيصٌ به ، وكان صديقُه هذا قريباً من الملك الناصر صلاح الدين ؛ وكان فيه فضيلةٌ تامَّة فوقع بينه وبين

---

(١) الآية : ٢٢ ؛ من سورة : الذاريات .

(٢) الآية : ٥٥ ؛ من سورة : طه .

الملك أمرٌ فغضبَ عليه وهمَّ بقتله ، فانسحب إلى بلاد التتر ، وتوصَّل إلى أن صار وزيراً عندهم ، وصار يعرف التتر كيف يتوصَّل إلى الملك بما يؤذيه ، فلمّا بلغه ذلك نفَرَ منه ؛ وقال للفاضل : اكتُبْ إليه كتاباً عرِّفْهُ فيه أنني أرضى عليه ، واستعطِفْهُ غايةَ الاستعطاف ، وعِدْهُ بكلِّ خيرٍ إلى أن يحضر ، فإذا حضر قتلتُه واسترحتُ منه .

فتحيَّر الفاضل بين الاثنين : صديقه يَعِزُّ عليه ، والمَلِك لا يمكنُه مخالفتُه !

فكتب إليه كتاباً واستعطفَهُ غاية الاستعطاف ، ووعده بكلِّ خيرٍ من الملك ، فلمَّا انتهى الكتاب ختمَهُ بالحمدَلَةِ والصلاةِ والسلام على النَّبيِّ ﷺ وكتب : إنَّ شاء الله تعالى . كما جرتْ به العادة في الكتب ، فشدَّد « إنْ » ، ثم أوقف المَلِك على الكتاب قبل خَتْمِه ، فقرأه في غاية الكمال وما فَهِمَ « إنَّ » وكان قصْدُ الفاضل ﴿ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾[1] ، فلما وصل الكتاب إلى الرجل فهمه وكتب جوابه بأنه سيحضُر عاجلاً ، فلمَّا أراد أن يُنهي الكتاب ؛ ويكتب : (إن شاء الله تعالى) مدَّ النون وجعل في آخرها ألفاً وأراد بذلك ﴿ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا ﴾[2] فلمَّا وصل الكتابُ إلى الفاضل فَهِم الإشارة ، ثم أوقفَ الملك على الجواب بخطِّه ، ففرح بذلك .

* * *

إنّ لي إليك شكراً

دخل بعضُ الأدباء على أحد الأمراء ليذكِّره بقضيَّةٍ له بلطف ؛ فقال : أيها الأمير ؛ إنَّ لي إليك شكراً .

فقال له الأمير : ومَن يحتاج إلى شكرك ؟!

فقال له الأديب : لو كان الشكرُ على الاحتياج لما قال الله : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ

---

(١) الآية : ٢٠ ؛ من سورة : القصص .

(٢) الآية : ٢٢ ؛ من سورة : المائدة .

﴿أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[1] . ثم أنشد :

فَلَوْ كَانَ يَسْتَغْنِي عَنِ ٱلشُّكْرِ مَالِكٌ ... لِكَثْــرَةِ مَــالٍ أَوْ عُلُــوٍّ مَكَــانِ
لَمَــا نَــدَبَ اللهُ ٱلعِبَــادَ لِشُكْــرِهِ ... وقَــالَ : ٱشْكُــرُونِــي أَيُّهَــا ٱلثَّقَــلانِ

* * *

ما فرطنا في الكتاب من شيء

سأل رجلٌ آخرَ عن جوابِ مسألةٍ من القرآن ؛ عملاً بقوله تعالى : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[2] .

فقال : جوابُها بقوله تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[3] . وقوله تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[4] ، وقوله تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[5] والنبيُّ ﷺ لم يَتْرُك شيئاً من أمر الدِّين إلاَّ بَيَّنَه !!

* * *

فظ غليظ القلب

دخل أحد العلماء ـ وكان جريئاً ـ على أحد الملوك ، فقال له : إنَّ الله تعالى أعطاك ما لم يُعطِ نبيّه محمَّداً ﷺ !! فقال له : وكيف ذلك ؛ يا أحمق ؟ فقال العالم : يقول الله لنبيّه : ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[6] وأنت فَظٌّ غليظٌ علينا ونحن مِن حولك !!

---

(١) الآية : ١٥٢ ؛ من سورة : البقرة .
(٢) الآية : ٣٨ ؛ من سورة : الأنعام .
(٣) الآية : ٧ ؛ من سورة : الحشر .
(٤) الآية : ٣١ ؛ من سورة : آل عمران .
(٥) الآية : ٦٥ ؛ من سورة : النساء .
(٦) الآية : ١٥٩ ؛ من سورة : آل عمران .

لم تقرأ آخر السورة

احتجَّ سنِّيٌّ على قَدَري ، قال القدري : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[1] .

فقال له السُّنِّيُّ : قرأت أول السورة ولم تقرأ آخرها ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[2] .

وسئل سلمان رضي الله عنه عن القَدَر والإيمان به ؛ فقال : أن تعلم « أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ » .

* * *

﴿ مِنكُمْ ﴾

حاجَّ رجل أحدَ علماء الإسلام بوجوب طاعة أُولي الأمر ؛ ولو كانوا غيرَ مسلمين بقوله تعالى في سورة النساء : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[3] فقال له العالم : لقد قيّدها الله تعالى بقوله : ﴿ مِنكُمْ ﴾ .

* * *

أين من كانوا يؤثرون ؟

سأل سائلٌ أعرابياً لوجه الله فقال : ليس عندي ما أعطيه لغير وجهه سبحانه .

فقال السائل : أين مَنْ كانوا يؤثرون ﴿ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[4] !! فقال الأعرابي ذهبوا مع مَنْ ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾[5] .

---

(١) الآية : ٢ ـ ٣ ؛ من سورة : الإنسان .
(٢) الآية : ٣٠ ؛ من سورة : الإنسان .
(٣) الآية : ٥٩ ؛ من سورة : النساء .
(٤) الآية : ٩ ؛ من سورة : الحشر .
(٥) الآية : ٢٧٣ ؛ من سورة : البقرة .

كفىٰ قوله تعالىٰ

قيل لبعْضِ الزُّهاد : ألا تزوجت ، فربما يكونُ لك خَلَف ! ، فقال : كَفىٰ بالتزْهيد فيه قولُه تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ ﴾[1] . وقوله : ﴿ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ ﴾[2] .

* * *

أضغاث أحلام

كتَبَ بعضهُم إلى أبي سُلَيْمان عمارة بن عمرو البخاري :

رأيْتُ في النَّومِ أنّي مالِكٌ فَرَساً ... وَلِي وَصِيفٌ وفي كُمّي دَنَانِيرُ
فقَالَ قَوْمٌ لَهُمْ فَهْمٌ ومَعْرِفَةٌ ... خَيْراً رَأَيْتَ وللمَالِ التَّياسِيرُ
أُقْصُصْ منامَكَ في دَارِ الأمير تجدْ ... تَفْسيرَ ذاكَ وللأَحْلام تَفْسِيرُ

فوقَّع أبو سُلَيمان : ﴿ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾[3] .

* * *

ونسي خلقه !!

وقفتْ امرأةٌ قبيحة على عطَّارٍ ماجن ؛ فقال : ﴿ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴾[4] فقالت : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ ﴾[5] .

* * *

---

(١) الآية : ١٥ ؛ من سورة : التغابن .
(٢) الآية : ١٤ ؛ من سورة : التغابن .
(٣) الآية : ٤٤ ؛ من سورة : يوسف .
(٤) الآية : ٥ ؛ من سورة : التكوير .
(٥) الآية : ٧٨ ؛ من سورة : يسٓ .

من أهل بيت النبوة

وكان رجل يدَّعي الشعر ، ويستبرده قومه فقال لهم : إنما تستبردونني من طريق الحسد !! قالوا : فبيننا وبينك بشّار العُقَيْلي. فارتَفَعوا إليه، فقال له : أنشدني . فأنشده فلما فرغ، قال له بشار : إني لأظنك من أهل بيت النبوّة . قال له : وما ذلك ؟ قال : إن الله تعالى يقول في كتابه : ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾[1] .

* * *

رجل لُقّن حجته

ورُويَ أ ن زياداً أخذ رجلاً من الخوارج فأفلتَ منه فأخذ أخاً له فقال له : إن جئت بأخيك وإلاَّ ضربتُ عنقك ، فقال : أرأيت إن جئتك بكتاب من أمير المؤمنين تخلي سبيلي ؟ قال : نعم . قال : فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم ولأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى ، ثم تلا : ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾[2] فقال زياد : خلوا سبيله ، هذا رجلٌ قد لقّن حجّته .

* * *

وتتكلّم أيضاً ؟

وأُتي هشام برجل بلغه عنه أمر ، فلما أُقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام : وتتكلم أيضاً ، فقال الرجل : يا أمير المؤمنين قال الله عزَّ وجل : ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[3] ، أفنجادل الله تعالى ولا نتكلم بين يديك كلاماً ؟ قال هشام : بلى ويحك تكلم .

---

(١) الآية : ٦٩ ؛ من سورة : يسٓ .

(٢) الآية : ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، من سورة النجم .

(٣) الآية : ١١١ ، من سورة النحل .

الأجوبة البديهيّة



الصحابة والخلفاء والملوك والسادة الكبراء والعامَّة

الأُسْوَةُ خيرٌ من الأَثَرَة

حدَّث الإمام أبو يوسف في كتابه « الخراج » عن جابر ؛ أنَّ أبا بكر رضي الله عنه لما قَسَم الفيء أعطى كلَّ إنسانٍ كان رسول الله ﷺ وعَدَهُ شيئاً ، وبقي بقيَّةٌ من المال ، فقسمها بين الناس بالسَّويَّة على الصغير والكبير ، والحُرِّ والمملوك ، والذكر والأنثى ؛ فخرج على سبعة دراهم وثلث لكلِّ إنسان ، فلما كان العام المقبل جاء مالٌ كثير ، فقسمه بين الناس ، فأصاب كلَّ إنسان عشرون درهماً . قال : فجاء ناسٌ من المسلمين فقالوا : يا خليفة رسول الله ؛ قسمتَ هذا المال فسَوَّيْتَ بين الناس ، ومن الناس أناسٌ لهم فَضْلٌ وسوابقُ وقِدَم ، فلو فضَّلتَ أهل السَّوابق والقِدَم والفَضْل بفضلهم . قال : فقال : أمَّا ما ذكرتُم من السَّوابق والقِدَم والفَضْل فما أعرَفَني بذلك ، وإنَّما ذلك شيءٌ ثوابُه على الله جلَّ ثناؤه ، وهذا معاش ، فالأُسْوَةُ فيه خيرٌ من الأَثَرَة .

فلما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجاءت الفتوح فضَّل وقال : لا أجعلُ مَنْ قاتل رسولَ الله ﷺ كمَنْ قاتل معه !! . ففرض لأهل السوابق والقِدَم من المهاجرين والأنصار ؛ فلمن شهد بدراً خمسة آلاف ، ولمن لم يشهد بدراً أربعة آلاف ، وفرض لمن كان له إسلامٌ كإسلام أهل بدر دون ذلك على قَدْرِ منازلهم من السوابق . اهـ.

فانظُرْ إلى جواب أبي بكر رضي الله عنه حين كان في المال قِلَّة حيث قال : هو معاش ، فالأُسْوَة فيه خير من الأَثَرَة . ولما كثر بكثرة الفتوح قال عمر : لا أجعل من قاتل رسولَ الله ﷺ كمن قاتل معه ، فجعل التفاضُلَ في الفَضْلِ على قَدْرِ الفضيلة . وما أحسنهما من جواب ! .

زادني الله هيبة

قال بعضهم لعمر رضي الله عنه : لِنْ لنا ، فقد ملأتَ قلوبَنا هَيْبة . فقال : أفي ذلك ظُلم ؟ قال : لا . قال : فزادَني الله في صدوركم هَيْبةً .

* * *

لا ندري ما يُفْعَل بنا

في « الإصابة » لابن حجر في ترجمة المُغِيرة بن شُعْبَة رضي الله عنه قال : ذكر البغوي من طريق زيد بن أسلم ، أنَّ المُغِيرة استأذن على عمر ؛ فقال عمر: مَنْ ؟ فقال : أبو عيسى . قال : مَن أبو عيسى ؟ قال : المُغِيرة بن شُعْبَة . قال : فهل لعيسى من أب ؟! فشهد له بعض الصحابة أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يُكنِّيه بها ، فقال : إنَّ النَّبيَّ ﷺ غُفِرَ له ، وإنَّا لا ندري ما يُفْعَلُ بنا . وكنَّاه « أبا عبد الله » .

* * *

رضوان الله أحبُّ

قيل لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : أوَّل الوقت رضوانُ الله ، وأوسطُه عفو الله ، وآخره غُفْران الله . فقال : والله لرضوانُه أحبُّ إليَّ من عفوه ومغفرته . فرضي الله عنه ما أبلغه وأورَعَه وأعقله ! .

* * *

رجل صدق !

وقال رجلٌ لعمر رضي الله عنه : إنّ فلاناً رجلُ صِدْق . فقال : هل سافرتَ معه أو ائتمنته ؟ قال : لا ، فقال : إذاً لا تمدحْه ، فلا علم لك به ، لعلك رأيته يرفع رأسه ويخْفضه في المسجد !! .

* * *

إن الصّلاة أربعٌ

عن أبي عمرو بن العلاء قال : أسلم أعرابي في أيام عمر بن الخطاب ، فجعل عمر يعلِّمه الصلاة ، فيقول : صلِّ الظهر أربعاً ، والعصر أربعاً ، والمغرب ثلاثاً ، والعشاء أربعاً ، والصبح ركعتين ، فلا يحفظ ، ويعيد عليه فلا يحفظ بل يجعل الأربع ثلاثاً والثلاث أربعاً ، فضجر عمر فقال : إنَّ الأعراب أحفظُ شيء للشعر فقل :

إنَّ الصَّـــلاةَ أربــــعٌ وأربــــعُ   ثــــمّ ثــلاثٌ بَعْــدَهــنَّ أربــعُ

ثــمّ صــلاة الفَجْــر لا تُضَيَّــعُ

أحفظتَ ؟ قال : نعم . قال : اِلْحَقْ بأهلك[1] .

* * *

لا تَلِي لي عملًا

عن مُحارب بن دِثار عن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه أنَّه قالَ لرجلٍ قاضٍ : مَن أنتَ ؟ قال : قاضي دمشق . قال : كيف تَقضي ؟ قال : أَقضي بكتابِ الله . قال : فإذا جاءك ما ليسَ في كتابِ الله ؟ قال : أَقضي بسُنَّةِ رسولِ الله . قال : فإذا جاءَك ما ليسَ في سُنَّة رسول الله ؟ قال : أجتهدُ برأيي ، وأُوَامِر جُلسائي . فقال : أحسنتَ .

قال عمر : وإذا جلستَ ، فقل : اللَّهُمَّ ، إنّي أَسأَلُكَ أن أُفتي بعلمٍ ، وأن أَقضي بحلمٍ ، وأَسأَلُكَ العدلَ في الغضب والرِّضا .

قال : فسارَ الرَّجلُ ما شاءَ اللهُ أن يَسير ثمَّ رجعَ إلى عمر !! قال : ما أَرجعك ؟ قال : رأيتُ[2] الشمسَ والقمرَ يَقتتلان مع كلِّ واحدٍ منهما جنودٌ من الكواكب . قال : مع أيِّهما كنتَ ؟ قال : مع القمر . قال : يقولُ الله عزَّ

---

(١) مختارات الأصمعي .

(٢) في المنام .

وجل : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾[١] .
لا تَلِي لي عملاً .

فلمَّا اقْتَتَلَ عليٌّ ومعاويةُ كان مع معاوية[٢] !! .

* * *

لا ذنب لك

في « حاشية ابن عابدين » من كتاب الحدود؛ أنَّه لمَّا نفى عمرُ رضي الله عنه نَصْرَ بنَ الحجَّاج[٣] قال لعمر : ما ذنبي ؛ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : لا ذنب لك ؛ إنَّما الذَّنْب لي حيث لا أطهِّرُ دارَ الهجرة منكَ . فقد نفاه لافتتان النساء به . اهـ .

وفي « تاريخ عمر بن الخطاب » لابن الجوزي : أنَّ أُمَّهُ خرجتْ يوماً بين الأذان والإقامة مُعترضةً لعمر ، فإذا عمرُ قد خرجَ في إزارٍ ورداءٍ . بيده الدِّرَّة . فقالت : يا أمير المؤمنين ؛ والله لأَقفنَّ أنا وأنتَ بين يدي الله عزَّ وجلَّ ، وليحاسبنَّكَ اللهُ تعالى ، يبيتُ عبدُ اللهِ إلى جنبك وعاصمٌ ، وبيني وبين ابني الجبال والفيافي والأودية !!

فقال عمر : إنَّ ابنيَّ لم تهتف بهما العواتقُ في خُدورهنَّ[٤] .

---

(١) الآية : ١٢ ؛ من سورة : الإسراء .

(٢) سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي .

(٣) وذلك بعد ما سمع عمر رضي الله عنه إحدى نساء المدينة تقول :

يَا لَيْتَ شِعْرِيَ عَنْ نَفْسِي أَزَاهِقَةٌ ... مِنِّي وَلَمْ أَقْضِ مَا فِيهَا مِنَ الحَاجِ
هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَىٰ خَمْرٍ فَأَشْرَبَهَا ... أَمْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَىٰ نَصْرِ بْنِ حَجَّاجِ !!
اهـ .

(٤) وفي « طبقات الشافعية الكبرى » لتاج الدين السبكي قال رحمه الله : وخشيت المرأة التي سمعها عمر أن يبدر من عمر في حقها شيء فدسَّت إليه أبياتاً :

قُلْ لِلإمامِ الذي تُخْشَىٰ بَوادِرُهُ ... ما لي ولِلْخَمْرِ أو نَصْرِ بنِ حَجَّاجِ!!
إنِّي فَنِيتُ أبا حفصٍ بغيرِهما ... شُرْبَ الحليبِ وطَرْفٍ فاترٍ ساجِ=

كيف يحاسب الله العباد

قيل لعليٍّ رضي الله عنه : كيف يُحاسِبُ الله العبادَ على كثرةِ عدَدِهم ؟

قال : كما يرزقُهم على كثرة عددهم .

* * *

العلم أفضل أم المال ؟

قيل : لمَّا سمع بعض الكَفَرة قوله ﷺ : « أَنَا مَدِيْنَةُ ٱلعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا » . . حسدوه وأرادوا امتحانه ، فسألوه : العلم أفضلُ أم المال ؟ فقال : العلم . قال السائل : لِمَ ؟ قال : لأنَّ العلمَ يحرُسُكَ والمالُ أنتَ تحرِسُه .

فسأله آخر السؤالَ نفسَه فأجابه بالجواب نفسه ، فقال : لِمَ ؟ قال : لأنَّ العلم ميراثُ الأنبياء ، والمالُ ميراثُ فرعون وهامان وقارون وغيرهم .

فسأله غيرُه فأجابه كذلك ، قال : لِمَ ؟ قال : لأنَّ صاحبَ العلم له صديقٌ كثير ، وصاحب المال له عدوٌّ كثير حتَّى من أهله .

وسأله آخر فقال : لأنَّ المال يَنْقُصُ بالإنفاق ، والعلمُ يزيد به .

وسأله آخر فقال : لأنَّ المال يُدْعى صاحبُهُ بأسماء البخلاء واللئام ، والعلم يُدْعى صاحبُهُ بأسماء العِظام والكرام .

وسأله آخر فقال : المال يفنى ويَدْرُس بطول الزمان ، والعلم لا يفنى ويبقى مدى الأجيال .

وسأله آخر فقال : المال يُقَسِّي القلب ، والعلم يُنوِّرُه .

وسأله آخر فقال : المالُ يورِثُ الكِبْر ، والعلم يورِثُ العبوديَّة .

ولو زادوا لزاد ، فرضي الله عنه وأرضاه .

= إنَّ الهوى زَمَّهُ التقوى فَحَبَّسَهُ ... حتى أقرَّ بإلجامٍ وإسراجِ

فبكى عمر ، وقال : الحمد لله الذي حبس التقوى الهوى . طبقات الشافعية .

لا أغيّر شيئاً صنعه عمر

من كتاب « الأموال » ص ١٤٣ ـ ١٤٤ للإمام الحافظ أبي عُبَيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٤٠ هـ في ذكره وصية رسول الله ﷺ بإخراج الكفرة من جزيرةِ العرب قال :

حدَّثَنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ؛ ومحمد بن عبيد ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ؛ عن ابن عمر قال : أجلى عمرُ المشركين من جزيرة العرب ؛ وقال : لا يجتمع في جزيرة العرب دينان . وضرب لمن قَدِم منهم أَجَلاً قَدْر ما يبيعون سِلَعَهم .

حدَّثَنا معاوية ؛ عن الأعمش ؛ عن سالم ابن أبي الجَعْد ؛ قال : جاء أهلُ نَجران إلى عليٍّ رضي الله عنه فقالوا : شفاعتُكَ بلسانك ، وكتابُك بيدك ، أَخْرَجَنا عمرُ من أرِضنا فرُدَّنا إليها صنيعةً .

فقال : ويلكم ؛ إنَّ عمر كان رشيدَ الأمر ، فلا أُغَيِّرُ شيئاً صنعه عمر .

حدَّثَنا أبو عُبَيد قال : حدَّثَنا أبو معاوية ؛ قال الأعمش : فكانوا يقولون : لو كان في نفسه عليه شيءٌ لاغتنم هذا .

وحدَّثَنا أبو معاوية عن حجَّاج عمَّن سمع الشعبيَّ يقول : قال عليٌّ رضي الله عنه ـ لمَّا قدم ههنا ، قال أبو عبيد : يعني الكوفة ـ : ما قدمتُ لأَحُلَّ عُقْدة شدَّها عمر .

قال أبو عبيد : وإنَّما نرى عمر استجاز إخراجَ أهلِ نَجْران وهم أهلُ صلح ، لحديث يُروى عن النَّبيِّ ﷺ فيهم خاصَّة .

* * *

ما بين السماء والأرض

وروى قُثَمُ بن العبَّاس رضي الله عنهما قال : قيل لعليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه : كم بين السماء والأرض ؟ قال : دعوةٌ مُستجابة .

كان يحارب بأمثالي

سُئِلَ عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه : كيف كان رسول الله ﷺ يُحاربُ ويغلِبُ وأنتَ تُحاربُ ولا تغلِبْ ؟ قال لهم : كان رسول الله ﷺ يُحارب بي وبأمثالي ، وأنا أحاربُ بكَ وبأمثالِك .

* * *

أنا فوق ما في نفسك

كان رجلٌ يُكثر الثناءَ على أمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه بلسانٍ لا يوافقُه القلبُ ؛ فقال له رضي الله عنه يوماً ، وقد ألحَّ عليه في الثناء : أنا دون ما تقول ، وفوقَ ما في نفسِك .

* * *

منعني ذائد الحق

أشار المُغيرة على عليٍّ لأوَّلِ خلافته باستبقاءِ الزُّبير ومعاوية وطلحةَ على أعمالهم حتَّى يَجتمعَ الناسُ على بيعته ، وَتَـتَّفِقَ الكلمةُ ، وله بعد ذلك ما شاء من أمره ، وكان ذلك من سياسةِ الملك ، فأبى فراراً من الغِشِّ الذي يُنافيه الإسلام ! وغدا عليه المُغيرة من الغداة ؛ فقال : لقد أشرتُ عليك بالأمس بما أَشرتُ ، ثمَّ عدْتُ إلى نظري فعلمتُ أنَّه ليس من الحقِّ والنَّصيحة ، وأن الحق فيما رأيتَهُ أنتَ !! فقال عليٌّ : لا والله ؛ بل أعلمُ أنَّك نَصحتني بالأمس وغَششتني اليومَ ، ولكن مَنعني ممَّا أشرتَ به ذائدُ الحقِّ !!

* * *

كرامة لعلي كرم الله وجهه

روى عبدُ الرزاق عن حجر المُرادِي قال : قال لي عليٌّ : كيفَ بك إذا أُمِرتَ أن تلعنني ؟!

قلتُ : أوَ كائنٌ ذلك !؟ قال : نعم . قلت : فكيفَ أَصنعُ ؟! قال : اِلْعَنّي ولا تَبَرّأْ منّي .

قال : فأَمرني محمد بن يوسف أخوُ الحجاج ، وكانَ أميراً من قبَل عبد الملك بن مروان على اليمن أنْ أَلعنَ علياً ؛ فقلت : إنَّ الأَميرَ أَمرني أن أَلعنَ عليّاً ، فالعنوه لعنَهُ الله ، فما فطنَ لها إلاّ رجلٌ !! أي أنَّه إنَّما لعنَ الأميرَ ؛ ولم يلعنْ عليّاً !

فهذه من كرامات عليٍّ كرَّم الله وجهه .

❋ ❋ ❋

كيف احتقرتها ؟!

رُوي عن عائشةَ رضي الله عنها أنّها كانت تأكلُ من عُنقودِ عنبٍ . . لم يَبق فيه غيرُ حبَّةٍ ، فجاءَ سائلٌ ؛ فدفعتْ إليه الحبَّةَ ، فرأته قد استحقرَ تلك الحبَّة ، فقالتْ له : كم في هذه الحبَّةِ من مِثقال ذرةٍ ؟ فقال : كثير . قالت : فقد قال الله تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾[1]فكيفَ احتقرتها وهي مَثاقيل ؟! .

❋ ❋ ❋

هو سلطان الله

روى ابنُ عساكر بإسناده عن أبي داود الطيالسي : حدَّثَنا أيوب بن جابر ؛ عن أبي إسحاق ؛ عن الأسود بن يزيد قال : قلت لعائشة : ألا تعجبين لرجل من الطلقاء يُنازِعُ أصحابَ رسول الله ﷺ في الخلافة ؟ فقالت : وما تعجبُ من ذلك ؟ هو سلطان الله يؤتيه البَرَّ والفاجر ؛ وقد ملك فرعونُ أهلَ مصر أربع مئة سنة ، وكذلك غيره من الكفّار ! اهـ.

---

(١) الآية : ٧ ؛ من سورة : الزلزلة .

من خدعنا بالله انخدعنا له

عن نافع قال : كان ابن عمر إذا اشتدَّ عَجَبُهُ بشيءٍ من ماله قرَّبه لربِّه عزَّ وجلَّ . قال نافع : وكان رقيقُه قد عرفوا ذلك منه ، فربَّما شمَّرَ أَحدُهم فيَلْزَمُ المسجدَ ، فإذا رآه ابنُ عمر رضي الله تعالى عنه على تلك الحالة الحسنة أعتقه ، فيقول له أصحابُه : يا أبا عبد الرحمن ؛ والله ، ما بهم إلاّ أن يَخدعوك !! فيقول ابن عمر : فمَن خَدَعنا بالله عزَّ وجلَّ انخدعنا له .

* * *

أكفاك أم أزيدك ؟

اجتمعت بنو هاشم يوماً عند معاوية ، فأقبل عليهم وقال : يا بني هاشم ؛ إنَّ خيري لكم لممنوح ، وإن بابي لكم لمفتوح ، فلا يُقطعُ خيري عنكم ، ولا يُرَدُّ بابي دونكم ؛ ولمَّا نظرتُ في أمري وأمرِكُم رأيتُ أمراً مختلفاً ؛ إنَّكم ترون أنَّكم أحقُّ بما في يدي منِّي ، وإذا أعطيتكم عطيَّةً فيها قضاءُ حقوقكم قلتم : أعطانا دون حقِّنا ، وقصَّر بنا عن قَدْرِنا ، فصرتُ كالمَسْلوب ، والمَسْلوب لا حَمْدَ له ، هذا مع إنصاف قائِلكم وإسعاف سائِلكم .

قال : فأقبل عليه ابنُ عَبّاس رضي الله عنهما ؛ فقال : والله ؛ ما منحتَنا شيئاً حتَّى سألناه ، ولا فتحتَ لنا باباً حتَّى قَرَعْناه ، ولئن قطعتَ عنَّا خيرَكَ فخيرُ الله أوسعُ منكَ ، ولئن أغلقْتَ دونَنا باباً لنكُفَّنَّ أَنْفُسَنا عنك . وأمَّا هذا المالُ فليس لكَ منه إلاّ ما للرجل من المسلمين ، ولولا حقُّنا في هذا المال لم يأتِكَ مِنَّا زائرٌ ؛ يحملُه خُفٌّ ولا حافر .

أكَفاكَ أم أزيدُكَ ؟ قال : كفاني يا ابن عبَّاس .

* * *

أين تذهب الأرواح ؟

وقيل لعبد الله بن عبَّاس : أين تذهبُ الأرواحُ إذا فارقت الأجساد ؟

قال : أين تذهبُ نارُ المصابيح عند فناء الأدهان ؟!

* * *

لا أعدل بالسلامة شيئاً

قال رجلٌ لابن عبَّاس رضي الله عنهما : أيُّما أحبُّ إليكَ ! رجلٌ قليلُ الذُّنوبِ قليلُ العمل ، أو رجلٌ كثيرُ الذُّنوبِ كثيرُ العمل !؟

فقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما : لا أعدِلُ بالسلامة شيئاً .

* * *

في عتقك رقّي

وقيل : أنفذَ عثمانُ بن عفَّان رضي الله عنه بمئة دينار إلى أبي ذرٍّ الغِفاري رضي الله عنه ؛ وقال لغلامه : إنْ قَبِلَ فأنتَ حرٌّ . فحملَها إليه ، فلم يَقْبلْ ، فقال : اقْبَلْ ؛ ففيه عِتْقي . فقال أبو ذر : إن كان فيه عِتْقُكَ ففيه رِقِّي .

* * *

أخشى خمساً

عن أبي هريرة أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعاه ليستعمله فأبى أن يعمل له ، فقال : أتكره العمل وقد طلبه مَن كان خيراً منك ؟ قال : مَن ؟ قال : يوسف بن يعقوب عليهما السلام . فقال أبو هريرة : يوسف نبيُّ الله ابن نبي الله ، وأنا أبو هريرة ابن أمية فأخشى ثلاثاً واثنتين . فقال عمر : أفلا قلتَ خمساً ؟ قال : أخشى أن أقول بغير علم ، وأقضي بغير حكم ، وأن يُضرب ظهري ، ويُنتزع مالي ، ويُشتم عرضي .

* * *

نعيم الجنّة لا يزول

في حاشية الأمير على « مُغْني اللبيب » لابن هشام آخرَ بحث « أم » وقبيل

بحث « إلى » ترجمة لَبيد بن ربيعة الصحابي رضي الله عنه ، وما في قصته من الأجوبة البديهيّة التي تُكْتَب ويُحدَّث بها : أنَّه قَبْل الإسلام أنشأ قصيدته التي فيها :

« أَلاَ كُلُّ شَيءٍ مَا خَلاَ ٱللهَ بَاطِلُ »

وكان بمجلس من قريش فيهم عثمان بن مَظْعون فقال له : صدقت . ثمَّ قال لبيد :

« وَكُلُّ نَعِيْمٍ لاَ مَحَالَةَ زَائِلُ »

فقال له : كذبت ، نعيمُ الجنَّة لا يزولُ أبداً .

فقال لبيد : يا معشر قريش ؛ والله ما كان يُؤْذَى جليسُكم ، فمتى حَدَث هذا فيكم ؟

فقال رجل : إنَّ هذا سفيهٌ من سفهاء معه ، قد فارقوا ديننا ، فلا تجدَنَّ في نفسك من قوله .

فردَّ عليه عثمان ، واتَّسع أمرهما حتَّى لطمَ الرجلُ عينَ عثمان ، فقال الوليد بن المغيرة لعثمان : إنَّه كانت عَيْنُكَ لغَنِيَّةً عمَّا أصابها !!

فقال عثمان : والله ؛ إنَّ عينيَ الصحيحةَ لفقيرةٌ إلى مثل ما أصابَ أُخْتَها في الله .

* * *

فيَّ فضلةٌ

دخل عمرو بن العاص على معاوية وهو يتغدَّى فقال : هلم يا عمرو . فقال : هنيئاً يا أمير المؤمنين ؛ فإنِّي لم يبقَ فيَّ فَضْلةٌ للأكل . فقال معاوية : ما أقبحَ الرجل وأملأ جوفه ، حتَّى لم يبق فيه فَضْلة ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ فيَّ فضْلةٌ ، ولكنْ أخشى أن أصيرَ إلى ما استقبَحَهُ أمير المؤمنين .

* * *

واحدة بواحدة

أخرج البَغَوِي من طريق هشام بن سعد ؛ عن زيد بن أسلم ؛ عن أبيه ؛ قال : استعمل عمر المغيرة على البحرَيْن فكرهوه وشكَوْا منه ، فعزله ، فخافوا أن يعيدَهُ عليهم ، فجمعوا مئة ألف فأحضرَها الدِّهْقَانُ إلى عمر ، فقال : إنَّ المغيرة اختانَ هذه فأودعَها عندي . فسأله ، فقال : كَذَب ، إنها كانت مئتي ألف . فقال : وما حَملك على ذلك ؟ قال : كثرةُ العيال .

فسُقط في يد الدِّهقان ، فحلف وأكَّد الأيمان أنَّه لم يُودِع عنده قليلاً ولا كثيراً .

فقال للمغيرة : ما حملك على هذا ؟ قال : إنَّه افترى عليّ فأردتُ أن أُخْزيَه . اهـ .

* * *

أنا ما أنصفته

دخل عَدِيُّ بن حاتم بن عبد الله الطائي على معاويةَ ؛ فقال له معاوية : ما فعل الطَّرَفات ؟ يعني طَرِيْفاً وطرافاً وطَرَفَة ، قال : قُتلوا مع عليّ بن أبي طالب ، فقال : ما أنصفك ابنُ أبي طالب ، قدَّم بَنِيكَ وأخّرَ بَنِيه !! فقال عدي : بل ما أنصفْتُه أنا أنْ قُتِلَ وبَقِيتُ .

* * *

لم تعطِ أحداً أفضل منا

عن عبد الله بن بُرَيْدَة قال : قدم الحسنُ بن عليٍّ على معاوية ؛ فقال له : لأُجِيزَنَّكَ بجائزةٍ لم يُجِزْها أحدٌ كان قبلي . فأعطاه أربع مئة ألف .

ووفد إليه مرَّةً الحسنُ والحسين فأجازهما على الفور بمئتي ألف ؛ وقال لهما : ما أجازَ بهما أحدٌ قبلي . فقال له الحسين : ولم تعطِ أحداً أفضلَ منَّا !! .

أنت خير لي من أخي

قدم عقيلٌ بن أبي طالب على معاوية ، فأكرمه وقرَّبَه وقضى عنه دَيْنَه ، ثمَّ قال له في بعض الأيام : يا عقيل ؛ أنا خيرٌ لكَ من أخيك عليٍّ !! قال : صدقت ؛ أخي آثَرَ دينَهُ على دُنْياه ، وأنتَ آثَرْتَ دُنياكَ على دِينكَ ، فأنتَ خيرٌ لي من أخي ، وأخي خيرٌ لنفسه منكَ لنفسك .

* * *

سيد العرب

ذكر الآلوسيُّ في كتابه « بلوغ الأرَب في أحوال العرب » في ذكره حُكَّام العرب .

عن حاجب بن زُرارة بن عُدس التميمي أنَّه وَفَدَ على كِسْرى ، فلمّا استأذن عليه أوصل كسرى إليه : أنْ سيدُ العربِ أنت ؟ قال : لا .

قال : فسيدُ مُضَر ؟ قال : لا . قال : فسيِّدُ بني أبيك ؟ قال : لا .

ثمَّ أذِنَ له ، فلمَّا دخل عليه قال له : مَن أنت ؟ قال : سيِّد العرب . قال : أليس قد أوصلتُ إليك : أسيِّدُ العرب ؛ فقُلتَ : لا ، حتى اقتصرتُ على بني أبيك ؛ فقُلتَ : لا ؟!

قال له : أيُّها الملك ؛ لم أكن كذلك حتَّى دخلتُ عليك ، فلمَّا دخلتُ عليك صرتُ سيِّدَ العرب .

قال كسرى : آه ؛ املؤوا فاه دُرّاً . اهـ.

* * *

لا ترد على من قبلك

زار أبو سفيان معاوية في الشام ، فلمَّا رجع من عنده دخل على الإمام عمر رضي الله عنه فقال له الإمام : أجْدِنا[1] . قال : ما أصبنا شيئاً فنُجْدِيَكَ . فأخذ

---

(١) أجدنا : أي أعطنا . وهو من الجدوى ، وهي العطية .

الإمام عمرُ خاتمه ، فبعث به إلى هند ؛ وقال للرسول : قل لها يقول لكِ أبو سفيان : انظري الخُرجَيْن اللذين جئتُ بهما من عند معاوية فأحضريهما . فلم يلبثْ عمر أن أُتِيَ بالخُرْجَيْنِ ، فيهما عشرةُ آلاف درهم ، فألقاها عمر في بيت المال . فلمَّا وُلِّيَ عثمان بن عفان رضي الله عنه أراد ردَّها إليه ! قال : ما كنتُ لآخُذَ مالاً عابَهُ عُمَرُ عَلَيَّ ، والله إنَّ لنا إليه حاجة ، ولكن لا تردَّ على من قبلَكَ فيردَّ عليكَ مَنْ بعدكَ .

❊ ❊ ❊

أفضل من الحق

في بعض الكتب القديمة حكى العتبيُّ قال : وقعتْ دماءٌ بين حيَّيْن من قريش ، فأقبل أبو سفيان ، فما بقي أحدٌ واضعٌ رأسه إلاَّ رفعه ! فقال : يا معشر قريش ؛ هل لكم في الحقِّ ، أو فيما هو أفضلُ من الحقِّ ؟

قالوا : وهل شيءٌ أفضلُ من الحقِّ ؟ قال : نعم ، العفو .

فتبادر القومُ واصطلحوا .

❊ ❊ ❊

ما بلغ من عقلك ؟

قال معاوية لعَمْرو بن العاص : ما بلغ مِن عقلك ؟ قال : ما دخلتُ في شيءٍ قطُّ إلاَّ وخرجتُ منه . فقال معاوية : لكنْ ما دخلتُ في شيءٍ قطُّ وأريدُ الخروجَ منه .

❊ ❊ ❊

لو زادوه فعل !؟

في كتاب « أدب الدنيا والدين » لأبي الحسن علي بن حبيب البصري الماوردي قال : استعمل معاوية رجلاً من كَلْب ، فذُكِر المَجُوس يوماً عنده ؛

فقال : لعن الله المجوس يَنْكِحون أمَّهاتِهِم ، والله لو أُعْطيتُ عشرةَ آلاف درهم ما نكحتُ أمي .

فبلغ ذلك معاوية ؛ فقال : قبَّحَهُ الله ؛ أفتَرَوْنَهُ لو زادوهُ فعل !؟ وعَزَلَه .

* * *

البصرة في داري

ذُكر أنَّ رجلاً سأل معاويةَ أن يساعده في بناء دارِه باثني عشر ألف جِذْع من الخشب ، فقال له معاوية : أين دارُك ؟ قال : بالبصرة ، قال : وكم اتساعها ؟ قال : فرسخان في فرسخين ، قال : لا تقلْ داري بالبصرة ، ولكن قل : البصرةُ في داري .

* * *

جعل الله في الكره خيراً كثيراً

قال رجل لمعاوية : والله لقد بايعتك وأنا كاره !! .

فقال معاوية : قد جعل الله في الكره خيراً كثيراً .

* * *

أجبان أم شجاع ؟

قال عَمرو بن العاص لمعاوية ذات يوم : قد أعياني أن أعلم أجَبان أنت أم شجاع !! لأنّي أراك تتقدَّم حتَّى أقول : أراد القتال ، ثمَّ تتأخَّر حتَّى أقول : أراد الفرار !!

فقال له معاوية : والله ؛ ما أتقدَّم حتَّى أرى التقدُّم غُنْماً ، ولا أتأخَّر حتَّى أرى التأخُّر حَزْماً ، كما قال القطامي :

شُجَـاعٌ إِذَا مَـا أَمْكَنَتْنِـيَ فُـرْصَـةٌ وَإلا تَكُـنْ لـي فُـرْصَـةٌ فَجَبَـانُ[1]

* * *

---

(١) مروج الذهب للمسعودي في ذكر خلافة معاوية بن أبي سفيان .

اعتبر بغيرك

في « المواهب » أنَّ رسول الله ﷺ أرسل كتابه مع حاطِب ابن أبي بَلْتَعَة إلى عظيم القِبْط في مصر ، فقال لحاطب : ما منعه إن كان نبيّاً أن يدعوَ عليَّ فيُسَلَّط عليَّ ؟

فقال له حاطب : وما منعَ عيسى أن يدعوَ على مَنْ خالفَهُ أن يُسلَّطَ عليه !! فاستعاد الكلام منه مرَّتَين ثمَّ سكت .

فقال له حاطب : إنَّه قد كان قبلَكَ رجلٌ يزعُمُ أنَّه الربُّ الأعلى ، فأخذَهُ الله نكالَ الآخرةِ والأولى ، فانتقم به ؛ ثمَّ انتقم منه ، فاعتبِرْ بغيركَ ولا يعتبِرْ غيرُكَ بكَ .

قال : إنَّ لنا ديناً لن ندَعَهُ إلاّ لما هو خيرٌ منه .

فقال حاطب : ندعوكَ إلى دينِ الله ، وهو الإسلام الكافي به الله فَقْدَ ما سواه ، إنَّ هذا النَّبيَّ ﷺ دعا الناس فكان أشدَّهم عليه قريش ، وأعداهم له اليهودُ ، وأقربهم منه النصارى ، ولعمري ما بِشارةُ موسى بعيسى إلاّ كبشارةِ عيسى بمحمَّد ﷺ ، وما دعاؤنا إيَّاكَ إلى القرآن إلاّ كدعاء أهل التوراة إلى الإنجيل ، وكلُّ نبيٍّ أدركَ قوماً فهم من أمَّتِه ، فالحقُّ عليهم أن يطيعوه ، وأنتَ ممَّن أدركَ هذا النبيَّ ، ولسنا ننهاك عن دينِ المسيح ! ولكنَّا نأمرُكَ به .

فقال المقوقس : إنِّي قد نظرتُ في أمرِ هذا النَّبيِّ ، فوجدتُه لا يأمر بمزهودٍ فيه ، ولا ينهى عن مرغوبٍ فيه ، ولم أجِدْهُ بالساحر الضالِّ ، ولا الكاهن الكاذب ، ووجدتُ معه آلة النبوَّة بإخراج الخَباء ، والإخبار بالنجوى ، وسأنظر اهـ.

وتمامه في « المواهب » وشرحها للزرقاني رضي الله عنهما .

* * *

إنّ من البيان لسحراً

ذكر المُناوي في شرح « الجامع الصغير » تحت قوله ﷺ : « إِنَّ مِنَ ٱلْبَيَانِ لَسِحْرَاً » قال : وهذا قاله ﷺ حين قَدِمَ وَفْدُ تميم ، وفيهم الزِّبْرِقان ، وعمرو بن الأَهْتَم فخطَبا ببلاغة وفصاحة ، ثمَّ فَخَر الزِّبْرِقان فقال : يا رسول الله ؛ أنا سيِّدُ بني تميم ، والمُطاع فيهم ، والمُجاب لديهم ، أمنعهم من الظلم ، وآخذ لهم بحقوقهم . وهذا يعلم ذلك .

فقال عمرو : إنَّه لشديد العارضة ؛ مانعٌ لجنبه ، مُطاعٌ في أَدْنَيْه .

فقال الزِّبْرِقان : والله لقد علم مني أكثرَ ما قال ؛ ما منعه أن يتكلَّم إلا الحسد !! فقال عمرو : أنا أحسدُك ! والله إنَّكَ للئيم الخال ، حديث المال ، ضَيِّقُ العَطَن ، أحمقُ الولد ؛ والله يا رسول الله ؛ لقد صدقتُ فيما قلتُ أوَّلاً ، وما كذبتُ فيما قلتُ ، ولكنِّي رجلٌ إذا رضيتُ قلتُ أحسنَ ما علمت ، وإذا غضبتُ قلتُ أقبحَ ما وجدت ؛ ولقد صدقتُ في الأولى والأخرى جميعاً ، فقال ﷺ : « إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْراً » اهـ.

* * *

وفي كتاب « مجمع الأمثال » للميداني أوَّلَ حرف الهمزة ؛ قال تحت قوله ﷺ : « إِنَّ مِنَ ٱلْبَيَانِ لَسِحْرَاً » . . قال : قاله النَّبيُّ ﷺ حين وَفَدَ عليه عمرو بن الأَهْتَم ، والزِّبْرِقان بن بدر ، وقيس بن عاصم فسأل عليه الصلاة والسلام عمروَ بن الأَهْتَم عن الزِّبْرِقان ؛ فقال عمرو : مُطاعٌ في أَدْنَيْه ، شديدُ العارضة ، مانعٌ لما وراء ظهره .

فقال الزِّبْرِقان : يا رسول الله ؛ إنَّه ليعلمُ مني أكثرَ من هذا ، ولكنَّه حسدَني . فقال عمرو : أما والله إنَّه لزَمِرُ المروءة[1] ، ضيِّقُ العَطَن ، أحمقُ الولد ، لئيمُ الخال ، والله يا رسول الله ؛ ما كذبتُ في الأولى ، ولقد صدقتُ

---

(١) زَمِرُ المروءة : قليلُها .

في الأُخرى ، ولكنِّي رجلٌ رضيتُ فقلتُ أحسنَ ما علمت ، وسخطتُ فقلتُ أقبحَ ما وجدت .

فقال عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ مِنَ ٱلبَيَانِ لَسِحْرَاً » يعني أنَّ بعض البيان يعمل عَمَل السِّحر ، ومعنى السحر : إظهار الباطل في صورة الحق ، والبيان اجتماعُ الفصاحة والبلاغة وذكاء القلب مع اللسان ، وإنَّما شُبِّه بالسحر !! لحدَّة عمله في سامعه ، وسرعة قبول القلب له . اهـ .

* * *

لا عدمتُ رجلًا

عن حبيب بن يساف قال : أتيتُ النَّبيَّ ﷺ . . وهو يُريد غزواً ، أنا ورجلٌ من قومي ، ولم نُسلم !! فقلنا : إنَّا نستحي أنْ يَشهدَ قومُنا مشهداً لا نشهده معهم ، فقال ﷺ : « أَسْلَمْتُمَا !؟ » قلنا : لا . قال : « فَإِنَّا لاَ نَسْتَعِينُ بِٱلْمُشْرِكِينَ » قال : فأَسلمنا وشهدنا معه ، فقتلتُ رجلاً ، وضربني ضربةً ، فتزوَّجتُ بابنته بعد ذلك !! فكانت تقول : لا عدمتُ رجلاً وشَّحَكَ هذا الوشاح ! فأقول : لا عدمتِ رجلاً عجَّلَ أَباكِ إلى النار .

* * *

ما زودتني زادي

دخل أبو الطُّفَيل عامرُ بن واثلة الصحابيُّ على معاويةَ ، فقال له معاويةُ : أَلستَ مِنْ قَتَلةِ عثمان ؟! قال : لا ، ولكنِّي مِمَّنْ حضرَه فلم يَنْصُرْه . قال : وما مَنَعكَ من نصره ؟ قال : لم ينصره المهاجرون والأنصار . فقال معاوية : أَمَا لقد كان حقُّه واجباً عليهم أن يَنصروه ، قال : فما مَنَعَكَ يا أميرَ المؤمنين مِن نصره ومعكَ أهلُ الشام !! فقال معاوية : أَمَا طلبي بدمِهِ نُصْرَةٌ له ؟

فضحك أبو الطُّفيل ، ثمَّ قال : أنت وعثمان كما قال الشاعر :

لاَ أُلْفِيَنَّكَ بَعْدَ ٱلمَوْتِ تَنْدُبُنِي ... وَفي حَيَاتِيَ مَا زَوَّدْتَنِي زَادِي !!

لأني يمينه

قال رجلٌ لمحمَّد بن الحنفيَّة بن عليٍّ رضي الله عنه : لِمَ غرَّ بكَ أبوكَ في الحروب وما غرَّ بالحسن والحسين !؟ قال : لأنَّهما عيناه وأنا يمينُه ، فهو يدفعُ بيمينه عن عينيه .

* * *

من كلام النبوة

كتبَ ملكُ الرُّوم إلى عبد الملك بن مروان : أكلتَ لحمَ الجملِ الذي هربَ عليه أبوك من المدينة ، لأُغْزينَّكَ جنوداً مئة ألفٍ ومئة ألفٍ .

فكتب عبد الملك إلى الحجَّاج أن يبعثَ إلى عليِّ بن الحسين ؛ يكتبُ إليه بما يقولُ ويتوعَّد ، ففعل ، فقال : إنَّ لله عزَّ وجلَّ لوحاً مَحفوظاً يَلحظُهُ كلَّ يوم ثلاث مئة لحظة ، ليس منها لحظةٌ إلاّ يُحيي فيها ويُميت ، ويعزُّ ويُذلُّ ، ويفعلُ ما يشاء ، وإنّي لأَرجو أن يَكْفِتَكَ منها بلحظةٍ واحدةٍ .

فكتب به الحجَّاجُ إلى عبد الملك بن مروان ، وكتب به عبدُ الملك إلى ملكِ الرُّومِ ، فلمَّا قرأه قال : ما خرجَ هذا إلاّ من كلامِ النُّبوة .

* * *

أوَ ما يكفيك ؟

لمَّا أمعن داودُ بن يعقوب في قتل بني أميَّة بالحجاز قال له الإمام عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنه : إذا أفرطت في قتل أكفائك فمن تباهي بسلطانك ؟ أوَ ما يكفيك في كيد أعاديك أن تستمرَّ غادياً ورائحاً فيما يسرُّكَ ويسوؤهم !؟

* * *

إنَّ وركابها

قيل : إنَّ أعرابياً قال لابن الزبير :إنَّ ناقتي قد نَقِبَتْ[1] ، فقال له : أرحْها . قال وأعطَشَها الطريق . فقال : اسقِها . قال : ما جئتُكَ مستطبّاً بل مُستَمْنِحاً ، لَعَنَ الله ناقةً حمَلَتْني إليكَ .

فقال له ابنُ الزُّبير : إنَّ ؛ وراكِبَها . أي : نعم ، لعنَها الله وراكبَها ؛ لكونه رأى عدم استحقاقِه .

وخُرِّج على أنَّ « إنَّ » بمعنى نَعَمْ ، وما بعدها جملةٌ مستقلَّة .

* * *

سيِّد تميم

لمّا استقر الأمر لمعاوية دخل عليه الأحنف يوماً ، فقال له معاوية : والله يا أحنف ؛ ما أذكر يومَ صفِّين إلاَّ كانت حزازة في قلبي إلى يوم القيامة .

فقال الأحنف : والله يا معاوية ؛ إنَّ القلوب التي أبغضناك بها . . لفي صدورنا ، وإنّ السيوف التي قاتلناك بها لفي أغمادها ، وإنْ تَدْنُ من الحرب فِتْراً نَدْن شبراً ، وإنْ تمشِ إليها نهرول إليها .

ثمَّ قام وخرج وكانت أخت معاوية من وراء حجاب تسمع كلامه فقالت : يا أمير المؤمنين ؛ مَن هذا يتهدَّد ويتوعَّد ؟!

قال : هذا الذي إنْ غضب غضب لغضبه مئةُ ألف من بني تميم ؛ لا يدرون فيمَ غضب . اهـ .

* * *

---

(١) نقبت : تعبت .

إنك أعلمنا به

ولمَّا عزم معاوية على البَيْعة إلى يزيد كتب إلى زياد أن يوجِّه إليه بوفد أهل العراق ، فبعث إليه بوفد البصرة والكوفة ، فتكلَّمت الخطباء في يزيد والأحنفُ ساكت !! فلمَّا فرغوا : قال : قل يا أبا بحر ؛ فإنَّ العيون إليك أشرعُ منها إلى غيرك .

فقام الأحنف فحمد الله وأثنى عليه ؛ وصلَّى على نبيه ﷺ ، ثمَّ قال :

يا أمير المؤمنين ؛ إنَّك أعلمُنا بيزيد في ليله ونهاره ، وإعلانه وإسراره ، فإن كنتَ تعلمه لله رضاً فلا تشاور فيه أحداً ، ولا تُقِم له الخطباء والشعراء ، وإن كنتَ تعلم بُعْدَه من الله ؛ فلا تُزَوِّده من الدنيا ، وترحل أنتَ إلى الآخرة ، فإنَّك تصير إلى يوم يفرّ المرء من أخيه ، وأمِّه وأبيه ، وصاحبته وبنيه .

فكأنَّه أفرغ على معاوية ذَنُوب ماء بارد !! فقال له : اقعد يا أبا بحر ؛ فإنَّ خيرة الله تجري ، وقضاءَ الله يمضي ، وأحكامه تنفذ ، لا معقِّب لحكمه ولا رادَّ لقضائه ، وإن يزيد فتىً قد بلوناه ، ولم نجد في قريش فتىً هو أجدرُ بأن يُجْتَمَع عليه منه .

فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أنت تحكي عن شاهد ، ونحن نتكلَّم على غائب ، وإذا أراد الله شيئاً كان .

* * *

حلت بيننا وبين عطاء الله

خطب معاوية يوماً فقال : إنَّ الله تعالى يقول : ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[1] فعلامَ تلومونني إذا قَصَّرْتُ في عطاياكم ؟!

---

(١) الآية : ٢١ ؛ من سورة : الحجر .

فقال له الأحنف : إنَّا والله لا نلومُكَ على ما في خزائنِ الله ، لكن على ما أنزلَهُ الله لنا من خزائنه فجعلتَهُ في خزائِنكَ ، وحُلْتَ بيننا وبينه .

* * *

لم يجعل الله البكاء عاراً

لمَّا بكى الحسنُ البِصري على ابنه سعيد رحمهما الله تعالى لاموه على ذلك !!

فقال : رحمَ اللهُ سعيداً ، والحمدُ لله الذي لم يجعل بكاءَ يعقوب على يُوسف عليهما الصلاة والسلام عاراً ، ولم يُعاتبُه الله على ذلك !! .

* * *

أتراه لو رجع ؟

قال الحسن البصري لرجل حضر جنازة : أتُراه لو رجع إلى الدنيا لعمل صالحاً ؟! قال : نعم . قال : فإن لم يكن هو فكن أنت !!

وبُشِّرَ حسنُ البصري بابن فقال : لا مرحباً بمن إن كنت غنياً أذهلني ، وإن كنت فقيراً أتعبني ، ولا أرضى كدِّي له كدّاً ، ولا سعيي له في الحياة سعياً ، أهتمُّ بفقره بعد وفاتي حين لا ينالني به سرورٌ ولا يهمُّه لي حَزَن .

وأصحر يوماً فرأى صيّاداً فقال : ما أكثرُ ما يقعُ في شركك ؟ فقال : كُلُّ طير زاقّ[1] ، فقال الحسن : هَلَك المعيلون .

* * *

أنا اليوم أعزّ

ولى معاوية كثيرَ بن شهاب المُذْحِجي خُراسان فاختانَ مالاً كثيراً ، ثمَّ

---

(١) زقَّ الطائر فرخه : أطعمه بفيه .

هرب ، فاستتر عند هانىء بنِ عروة المُراديّ ، فبلغَ ذلك معاوية ، فأهدر دَمَ هانىء ، فخرج هانىء فكانَ في جوار معاوية ، ثمَّ حضر مجلسَه ومعاوية لا يعرفه ، فلمَّا نهضَ النَّاسُ ثبتَ مكانه ، فسأله معاوية عن أمره ؛ فقال : أنا هانىءُ بن عروة ، فقال : إنَّ هذا اليوم ليسَ بيومٍ يقولُ فيه أبوك :

أُرَجِّــلُ جُمَّتِــي وأَجُــرُّ ذَيْلِــي ... وَتَحْمِــلُ شَكَّتِــي أفُــق كُمَيْــتُ
أُمَشِّــي فِــي سَــرَاة بَنِــي غُطَيْــفٍ ... إذا مَــا سَــامَنــي ضَيْــمٌ أَبَيْــتُ

فقال له هانىء : أنا اليومَ أعزُّ مني ذلك اليوم ، فقال له : بِمَ ذاك ؟ فقال : بالإسلام ؛ يا أمير المؤمنين ، فقال له : أينَ كثير بن شهاب ؟ قال : عندي في عسكَرِكَ ؛ يا أميرَ المؤمنين ، فقال له معاوية : انظرْ إلى ما اختانه ، فخذْ منه بعضاً وسوّغْه بعضاً .

* * *

أعرف نفسي بالشؤم

كان جعفَرُ بنُ أميّة قد خرج مع مَصْعَبِ بن الزُّبير ، وكان صَديقاً لعبد الملك ، فلمّا أُتي به بعد قتل مُصْعب ؛ قال عبد الملك : لا أنعمَ اللهُ بك ، خرجْتَ مع مُصْعَب ؟ قال : نعم ، قال : ونعم أيضاً ؟ فلا أنعم الله بك ، قال : إني أعرف نفسي بالشؤم ؛ فأردت أن أصيب مُصْعباً بشؤمي .

فضحِك وخَلّاه .

* * *

كيف لا أصاحبه

كان حارثة بن بدر العدواني فارسَ بني تميم ، وكان شاعراً أديباً ظريفاً ، وكان يعاقرُ الشراب ، ويصحب زياداً ، فقيل لزياد : إنَّك تصحب هذا الرجل ؛ وليس من شاكلتك !! إنّه يُعاقر الشراب ! .

فقال : كيف لا أصحبه ولم أسأله عن شيءٍ قطُّ إلا وجدتُ عنده منه

علماً ، ولا مشى أمامي فأضطرُّ أن أناديَه ، ولا مشى خلفي فاضطرَّني أن ألتفتَ إليه ، ولا راكبني فمسَّت ركبتي ركبته !! .

* * *

أنت أحسن

قيل : دخل عروةُ بن الزُّبير بستاناً لعبد الملك بن مروان ، فقال عروة : ما أحسن هذا البستان !! فقال له عبد الملك : أنتَ أحسَنُ منه ، هذا يؤتي أُكُلَهُ كلَّ حين ، وأنتَ تؤتي أُكُلَكَ كلَّ يوم .

* * *

سرور لولا أنه غرور

حكي أن سليمان بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز ، وقد أعجبه سُلطانُه : كيف ترى ما نحن فيه ؟ فقال عمر : سرورٌ لولا أنَّه غُرور ، وحُرَمٌ لولا أنَّه عَدَم ، ومُلْكٌ لولا أنَّه هُلْك ، وحياةٌ لولا أنَّه موت ، ونعيمٌ لولا أنَّه عذاب أليم .

فظهر في وجه سليمان الكآبة من كلام عمر ، ولم ينتفع بنفسه بعد ذلك ، وتوفي سنة ثمان وتسعين وهو ابن خمس وأربعين سنة ، وكانت ولايته سنة ست وتسعين .

* * *

اجعله حيث أحببت

يزيد ابن أبي مسلم دينار الثقفي ، يكنىٰ « أبا العلاء » . . كان مولى الحجَّاج بن يوسف الثَّقفي وكاتبَه ، وكان فيه كفايةٌ ونهضة ؛ قدَّمه الحجَّاج بسببهما ، ولمَّا ماتَ الحجَّاج قال الوليد يوماً : مَثَلي ومَثَل الحجَّاج وابن أبي مسلم مثَلُ من ضاعَ منه درهمٌ فوجد ديناراً .

ولمَّا مات الوليد وتولَّى أخوه سليمان أُحْضِرَ إليه يزيد ابن أبي مسلم في جامعة[1] وكان رجلاً قصيراً دميماً قبيحَ الوجه عظيم البطن تحتقرُه العَيْن .

فلمَّا رآه سليمان قال : أنتَ يزيدُ ابن أبي مسلم ؟ قال : نعم ؛ أصلح الله الأمير .

قال : لعن الله مَنْ أشركك في أمانته ، وحكَّمك في دينه .

قال : لا تفعل يا أمير المؤمنين ؛ فإنَّك رأيتني والأمور مُدْبِرةٌ عنِّي ، ولو رأيتني والأمور مُقبلةٌ عليَّ لاستعظمتَ ما استصغرت ، ولاستجللتَ ما احتقرت !! .

فقال سليمان : قاتله الله ؛ ما أشدَّ عقله وأعْضَبَ لِسانه ! ثم قال سليمان : يا يزيد ؛ أترى صاحبَكَ الحجَّاج يهوي في نار جهنَّم ؛ أم استقرَّ في قعرها ؟!

فقال يزيد : لا تقل ذلك يا أمير المؤمنين ؛ فإن الحجَّاج عادَى عدوَّكم ووالىٰ وليَّكم ، وبَذَل مُهْجتَه لكم ، فهو يوم القيامة عن يمين عبد الملك ، وعن يسار الوليد فاجْعله حيثُ أحببتَ .

وفي رواية أخرى : إنَّه يُحشَرُ بين أبيكَ وأخيك ؛ فضعهما حيث شئت .

فقال سليمان : قاتله الله ، فما أوفاه لصاحب إذا اصطُنِعَتِ الرجال ! ثمَّ كشف عنه سليمان فلم يجد عليه خيانة درهماً ؛ ولا ديناراً فهمَّ باستكتابه ، فقال له عمر بن عبد العزيز : أنشُدُكَ الله يا أمير المؤمنين ، لا تُحي ذكر الحجَّاج باستكتابه . قال : يا أبا حفص ؛ لم أجد عليه خيانة !!

فقال عمر : أنا أجد لكَ مَن هو أعفُّ عن الدينار والدرهم منه .

قال سليمان : مَن هو ؟ قال إبليس . فتركه سليمان .

ثم في سنة إحدى ومئة تأمَّر على إفريقية ، ثم في سنة اثنتين ومئة كَثُر ظلْمه

---

(١) أي غُلّ لأنها تجمع اليدين إلى العنق .

فقتلوه ، واعتذروا إلى يزيد بن عبد الملك ، فقَبِلَ منهم وولَّوا مَن كان قبله والياً عليهم .

* * *

قد أوغلت

لما بَلَغَ قتيبةُ بن مسلم الباهلي حدَّ الصين ؛ قيل له : قد أوْغَلتَ في بلادِ التُّرك ، والحوادِثُ بينَ أجنِحَة الدّهر تُقْبِلُ وتُدْبِر ، فقال : بثقتي بنَصْرِ الله توغّلتُ ، وإذا انقضتِ المدَّةُ لم تنفعِ العُدَّة .

قال الرجلُ : اسلُكْ حيثُ شئتَ ، فهذا عزْمٌ لا يفُلُّه إلا الله .

* * *

ذلك القليل أطلب

وهَرَبَ الوَليدُ بن يزيد من الطّاعون ، فقيل له : ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية : ١٦ ؛ من سورة : الأحزاب] . فقال : ذلك القليلَ أَطْلُبُ .

* * *

محتاج لما يزيد عقلي

قيل : لمَّا أتى عبد الرحمن الداخل الأموي إلى الأندلس أتوه بخمر فقال : أنا الآن محتاجٌ لما يزيد في عقلي ، لا لما يُنقصه ، ثمَّ أتوه بجاريةٍ حسناء ، فقال : إنَّها قُرَّة القلب والعين ، ولكنْ إن لَهَوْتُ بها عمَّا أنا فيه ضاع ، وإنْ لَهَوْتُ عنها بما أنا فيه ضاعت ، فلا حاجةَ لي بها الآن .

* * *

المقادير صيَّرت العَييَّ خطيباً

اعلم أنَّ الحَسَبَ في اللغة الشرف الثابت للمرء وآبائه ، وهو الاتِّصاف

بالصفات الحميدة ، قال الشاعر :

وَمَنْ كان ذَا نَسَبٍ كَرِيْمٍ وَلَمْ يَكُنْ لَـهُ حَسَـبٌ كَـان اللَّئِيـمَ المُـذَمَّـا

فالمفتَخِرُ بالأنساب يُقال لصاحبه « عظامي » ، والمفتخِرُ بالأخلاق الكريمة يُقال لصاحبه « عصامي » .

يُحكى أنَّ رجلاً كان له إلى الحجاج حاجة ، وكان موصوفاً بالجَهْل ، فقال الحجَّاج في نفسه : لأختبِرَنَّه . فلمَّا دخل عليه قال له الحجَّاج : أعِصاميٌّ أنت أم عِظامي ؟ أراد شَرُفْتَ بنفسِكَ ؛ أم تفتخرُ بآبائك الذين صاروا عِظاماً ؟!

فقال : أنا عِصاميٌّ وعِظامي . فقال الحجَّاج : هذا أفضلُ الناس . وقضى حاجته ، ثمَّ اختبَره فوجدَه أجهلَ الناس ؛ فقال : أُصدُقني ؛ وإلا قتلتُكَ !! فقال : قُلْ ما بدا لك أُجِبْكَ . فقال له : كيفَ أجبتَني لمَّا سألتُكَ عما سألتُك ؟ فقال : لم أعلم ، أعِصاميٌّ خيرٌ أم عِظامي ؟ فقلت : كليهما . فإن أخطأتُ بواحدةٍ أصبْتُ بالأخرى . فقال الحجَّاج : المقادير صَيَّرتِ العَيِيَّ خطيباً .

ويُقال : نَفْسُ عِصام سَوَّدت عصاماً ، يُضرَبُ مثلاً لِمَنْ يَشْرُفُ بنفسه لا بالانتساب ، وهو الباهليُّ الذي قال فيه النابغة :

نَفْـسُ عِصَـام سَـوَّدت عِصـاَمـا وَعَلَّمَتْـــهُ الكَـرَّ والإقــداما

وَجَعَلَتْـــه مَلِكَـــا هُمَـــامَـــا

وكان عصام هذا صاحبَ النُّعمان بنِ المُنْذر .

* * *

تبذروا أتعمّر لكم

في « روح البيان » في أوائل سورة آل عمران تحت قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [الآية : ٢٦ ؛ من سورة : آل عمران] قال الحجّاج بن يوسُف حين قيل له : لم لا تَعدِلُ مثل عمر رضي الله عنه . وأنت قد أدركت خلافتَه ؟ ألم تَرَ عدْلَهُ وَصلاحهُ ؟ .

فقال في جوابهم : تبذَّروا أتعمَّرْ لكم . أي كونوا كأبي ذرٍّ في الزُّهد والتقوى أُعامِلْكُم معاملةَ عمر في العَدْل والإنصاف . اهـ .

* * *

الأمير أطول

قال الحجَّاج للمهلَّب وهو يماشيه : أأنا أطول أم أنت ؟

قال : الأمير أطول وأنا أبسَطُ قامةً . أرادَ الطَّوْل وهو الفَضْل .

* * *

ضيَّعت العقل

حكى ابن الجوزي في « كتاب الأذكياء » أنَّ يزيد بن المهلَّب وقعت عليه حيَّة فلم يدفعها عن نفسه ؛ فقال له أبوه : ضيَّعتَ العقل من حيث حفظت الشجاعة .

* * *

ما تقول في أخوالي ؟

دخل خالد بن صفوان على أبي العباس السفَّاح وعنده أخواله من بني الحارث بن كَعْب ، فقال : ما تقولُ في أخوالي ؟ فقال : هم هامة الشرف ، وعِرْنِينُ الكرم ، وغَرسُ الجود ، إنّ فيهم لخصالاً ما اجتمعَتْ في غيرهم من قومهم ؛ إنهم لأطولهم أمماً ، وأكرمهم شِيَماً ، وأطيبهم طعماً ، وأوفاهم ذمماً ، وأبعدهم همماً ، الجمرة في الحرب ، والرِّفْد في الجَدْبِ ، والرأس في كل خَطْب ، وغيرهم بمنزلة العَجْب[1] .

فقال : وصفت أبا صفوان فأحسنْتَ ، فزادَ أخوالُه في الفخر !!

فغضب أبو العبَّاس لأعمامه ؛ فقال : أَفخرٌ يا خالدُ ؟ قال : أعلى أخوالِ

---

(١) العَجْبُ : أصل الذَّنَب ، ومؤخّر كلّ شيء . لسان العرب (عجب) .

المؤمنين ! قال : وأنتَ من أعمامه ؟ قال : كيف أفاخر قوماً بين ناسج برد ، وَسَائس قِرْد ، ودابغ جِلْد !! دلَّ عليهم هدهُد ، وغرّقهم جُرَذ ، وملكتهم أمّ ولد[1] ! فأشرق وَجْهُ أبي العبَّاس .

قال يموت ابن المزرّع : سمعتُ خالي الجاحظ ، وذكر كلام خالد هذا ، فقال : والله لو فكر في جَمْع معايبهم ، واختصار اللفظ في مَثَالبهم ، بعد ذلك المدحِ المهذب سَنَةً لكان قليلاً ، فكيف على بديهته لم يَرُضْ له فكراً ؟

* * *

استَطَلْتَ عليَّ بثلاث

خاصم رجل خالد بن صفوان وكان قد كُفَّ بصرُه ! فترافعا إلى بلال ابن أبي بُرْدة وكان أميرَ الكوفة وقاضيَها ، فقضى على خالدٍ . ثمَّ مرّ به مركب بلال . فسأل : من هذا ؟ قالوا : بلال فقام خالد وهو يقول : سَحابَةُ صَيْفٍ عن قليل تقشَّعُ !

فسمعه بلالٌ فقال له : واللهِ لا تَقَشَّعُ حتى يُصيبَكَ منها شؤبوبُ بَرَد ، ثم أمرَ به فضُرب مائتي سوط وأمَرَ بحبسه ، فقال له خالد : علامَ تفعل بي هذا ولم أَجنِ جناية ؟! فقال بلال : يُخبرُكَ بذلك بابٌ مُصمت وأقيادٌ ثقال ، وقيِّمٌ يقال له حفص .

ثم ضربَ الدهرُ ضرباته ، فنُكِب بلالُ بعد ذلك وأحضره يوسف بن عمر الثَّقَفي عامل هشام في قيوده ، وكان خالدٌ جالساً عنده ، فقال له : أيُّها الأمير ؛ إنَّ بلالاً عدوَّ الله ضربني وحبسني ، ولم أُفارقْ جماعةً ، ولا خلعتُ يداً من طاعةٍ !

ثم التفتَ إلى بلال وقال : الحمدُ لله الذي أذلَّ سُلطانَكَ ، وهدَّ أركانَكَ ، وأزالَ جمالَكَ ، وغيَّر حالك ، فواللهِ ؛ لقد كنتَ شديدَ الحجاب ، مُسْتَخِفّاً بالشريف ، مُظهراً للمعصية !

---

(١) ومراده بأم الولد بلقيس وبه يعرف أنهم من اليمن .

فقال بلال : يا خالد ؛ إنَّما استطلتَ عليَّ بثلاث : الأميرُ عليك مُقبلٌ . . وعنِّي مُعرِض ، وأنتَ طليقٌ وأنا عانٍ[1] ، وأنتَ في وطنك وأنا غريب . فأفحمه .

الكلام المطبوع

ذكر ابنُ خَلِّكان في ترجمة المُهلَّب ابن أبي صُفرة أنه بعث إلى مالك بن بشير ، فقال : إنِّي موفِدُك إلى الحجَّاج فَسِرْ ، فإنَّما هو رجلٌ مثلُكَ . وبعثَ إليه بجائزةٍ فردَّها ؛ وقال : إنَّما الجائزة بعد الاستحقاق . وتَوجَّه فلمَّا دخل على الحجَّاج قال : ما اسمك ؟ قال : مالك بن بشير . فقال : مُلكٌ وبشارة .

ثمَّ قال : كيف تركتَ المُهلَّب ؟ قال : أدْرَك ما أمَّل ، وأَمِنَ ما خاف .

قال : فكيف هو بجنده ؟ قال : والدٌ رؤوف .

قال : كيف رضاهم عنه ؟! قال : وسِعَهُم بالفضل ، وأقنعهم بالعَدْل .

قال : كيف تصنعونَ إذا لَقِيتُم عدوَّكم ؟ قال : نلقاهم بجدِّنا فنقطع فيهم ، ويلقوْننا بجدِّهم فيطمعون فينا .

قال : فما حالُ قَطَرِيٍّ بن الفُجاءة ؟ قال : كادنا بمثل ما كِدْناه به .

قال : فما منعكم من اتِّباعه ؟ قال : رأينا المقام من ورائه خيراً من اتِّباعه .

قال : فأخبرني عن ولد المُهلَّب . قال : رعاة اليباب حتَّى يؤمنوه ، وحماة السَّرْح حتَّى يردُّوه .

قال : أيُّهم أفضل ؟ قال : ذاك إلى أبيهم . قال : لتقولَنَّ . قال : هم كحَلْقَة مُفْرَغَة ؛ لا يُعْلَمُ طَرَفاها .

فقال الحجَّاج لجلسائه : هذا والله الكلامُ المطبوع ؛ لا الكلام المصنوع .

* * *

---

(١) أسير .

إنما أعطيته على قوله

في « النجوم الزاهرة » لابن تَغْري بَرْدي في حوادث سنة ١٥٢ :

قيل : إنَّ مَعْناً دخل مرَّة على الخليفة أبي جعفر المنصور ؛ فقال له المنصور : هِيهِ يا معن ؛ تُعطي مروان ابن أبي حفصة مئة ألف درهم على قوله :

مَعْـنُ بـنُ زَائِـدةَ ٱلَّـذي زِيْـدَتْ بِـهِ ... شَـرَفَـاً عَلَـىٰ شَـرَفٍ بَنُـو شَيْبَـانِ !!

فقال : لا يا أمير المؤمنين ؛ إنَّما أعطيتُه على قوله في هذه القصيدة :

مَـا زِلْـتُ يَـوْمَ ٱلهَـاشِمِيَّـةِ مُعْلِنَـاً ... بِـٱلسَّيْـفِ دُونَ خَلِيْفَـةِ ٱلـرَّحْمَـنِ

فَمَنَعْـتُ حَـوْزَتَـهُ وَكُنْـتُ وِقَـاءَهُ ... مِـن وَقْـعِ كُـلِّ مُهنَّـدٍ وسِنَـانِ

فقال : أحسنتَ يا معن ؛ ما أكثر وقوعَ الناس في قومك !

فقال : يا أمير المؤمنين :

إِنَّ ٱلعَـرَانِيْـنَ تَلْقَـاهَـا مُحَسَّـدَةً ... وَلاَ تَـرَىٰ لِلِئَـامِ ٱلنَّـاسِ حُسَّـادا

ودخل عليه يوماً وقد أَسَنَّ ؛ فقال : كبِرْتَ ؛ يا معن !

فقال : في طاعَتِكَ ؛ يا أمير المؤمنين .

قال : وإنَّكَ لجَلْدٌ ! قال : على أعدائك ؛ يا أمير المؤمنين .

قال : وفيكَ بقيَّة ؛ قال : هي لكَ يا أمير المؤمنين .

وعُرِض هذا الكلام على عبد الرحمن بن يزيد زاهدِ أهل البصرة ؛ فقال : ويح هذا ما ترك لربِّه شيئاً .

* * *

خليفة وقميصه مرقوع

عن محمَّد بن سلَّام قال : رأَتْ جاريةُ المنصور قميصَه مرقوعاً ؛ فقالت :

خليفة وقميصُه مرقوع ! فقال : ويحكِ ؛ أما سمعتِ قول ابن هَرْمَة :

قَـدْ يُـدْرِكُ الشَّـرَفُ الفَـتَـىٰ وَرِداؤُهُ   خَلِـقٌ وَجَيْـبُ قَمِيْصِـهِ مَـرْقـوعُ !!

* * *

لا نشغل عابداً

وأُدخِلَ على المنصور رجلٌ أرادَ أنْ يوَلِّيَهُ قضاءَ ناحيةٍ من العراق ، قد جعل السجودُ بين عينيه كرُكْبَةِ الجمل ، فقال له المنصور : إنْ كنتَ أردتَ الله بهذا فما ينبغي لنا أن نشغلَكَ عنه ، وإن كنتَ أردتَنا ؛ فما ينبغي لنا أن ننخدِعَ لك !! ولم يولِّه شيئاً .

* * *

اكتفِ بالبلاغة

كتب زياد بن عبد الله الحارثي إلى المنصور يسأله الزيادة في عطائه وأرزاقه ، وأبلغ في كتابه ، فوقَّع المنصور في القصَّة : إنَّ الغِنى والبلاغة إذا اجتمعا في رجل أبطرتاه ، وأمير المؤمنين يُشفِقُ عليك من ذلك ، فاكتفِ بالبلاغة .

* * *

فساد الرأي

لما عزم المنصور على الفتك بأبي مسلم فزع من ذلك عيسى بن موسى ؛ فكتب إليه :

إذا كنـتَ ذا رأيٍ فكُـنْ ذا تَـدَبُّـرٍ   فـإنَّ فَسَـادَ الـرَّأيِ أنْ تَتَعَجَّـلا

فأجابه المنصور :

إذا كُنْـتَ ذَا رأيٍ فكُـنْ ذا عَـزِيمـةٍ   فَـإنَّ فَسَـادَ الـرَّأيِ أنْ تَتَـرَدَّدا

ولا تُمْهِـلِ الأعـدَاءَ يَـوْماً بِغُـدْوَةٍ   وَبـادِرْهُـمُ أنْ يَمْلِكُـوا مثْلِهـا غـدَا

وهذا في موضعه كقول الإمام عليّ كرّم الله وجهه : مَنْ فَكَّرَ فِي العَوَاقِبِ لَمْ يَشْجُعْ .

* * *

ما الله أردت بها

عن الأصمعيِّ وغيره : أنَّ المنصور صَعِدَ المنبر ؛ فقال : الحمد لله أحمده ، وأستعينُه وأؤمن به وأتوكَّل عليه ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له . فقام إليه رجل . . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ اُذْكُر مَنْ أنت في ذكْره . فقال : مرحباً ، مرحباً ، لقد ذكرتَ جليلاً وخوَّفت عظيماً ، وأعوذُ بالله أن أكونَ ممَّن ﴿ إِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾ ؛ والموعظةُ منَّا بدَتْ ، ومن عندنا خَرجَتْ ، وأنتَ يا قائلَها ، فأَحْلِفُ بالله : ما الله أردتَ بها ! وإنما أن يُقال : قامَ فقال ؛ فعوقِبَ فصبر !! فأهْوِنْ بها مِن قائلها ، واهتَبِلْها من الله ويلك ؛ إنِّي قد غفرتُها ، وإيَّاكم معشرَ الناس وأمثالَها . وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسوله .

فعاد إلى خطبته ، فكأنَّما يقرؤها من قِرْطاس .

* * *

رسول الله ﷺ خير الأولين والآخرين

كتب مُحمد بن عبد الله بن حسن بن عليٍّ بن أبي طالب رحمهم الله إلى أمير المؤمنين المنصور : اعلم أنّي لستُ من أولاد الطُّلقاء ، ولا أولاد اللُّعناء ولا أَعْرَقَتْ فيَّ الإماء ، ولا حضنتني أُمَّهات الأولاد ، ولقد علمتَ أنَّ هاشماً وَلَدَ عليًا مرتين ، وأنَّ عبد المطلب وَلَدَ الحسنَ مرَّتين ، وأنَّ رسولَ الله ﷺ وَلَدني مرَّتين من قِبَلِ جَدَّيَّ الحسنِ والحسين .

فكتبَ إليه المنصور : أَمَّا ما ذكرت من ولادة هاشم عليّاً مرَّتين ، وولادة

عبد المطلب الحسن مرَّتين ، فخيرُ الأولين والآخرين رسولُ الله ﷺ لم يَلدْهُ هاشمٌ إلا مرَّة واحدةَ ، ولا عبد المطلب إلا مرَّةً واحدةً ، وله السبق إلى كلِّ خير ، ولقد علمتَ أنَّه بُعثَ رسول الله ﷺ وعمومته أربعةٌ ، فآمن به اثنان أحدُهما أبي ، وكفرَ به اثنان أحدُهما أبوك .

وأمَّا ما ذكرت أنَّه لم تعرقْ فيك الإماء !! فقد فخرتَ على بني هاشم طُرًّا أوَّلهم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، ثمَّ عليّ بن الحسين الذي لم يُولد فيكم بعد وفاة رسول الله ﷺ مولود مثلَه .

❊ ❊ ❊

وَصَلْتُه وأدَّبْتُه

يحكى أنَّ رجلاً استأذن على هارون الرشيد وقال : إنِّي أصنعُ ما تعجُزُ الخلائق عنه .

قال الرشيد : هات . فأخرج أنبوبة قصب فيها إبَرٌ عِدَّة ، ثم وضع واحدةً في الأرض وقام على قدميه ، وجعل يرمي إبْرةً إبْرَةً من قامته ، فتقع كلُّ إبرَةٍ في عين الإبرة الموضوعة ، حتى فرغ دَسْتُه . فأمر الرشيد بضَرْبه مئة سَوْط ، ثم أمرَ له بمئة دينار . فسُئِلَ عن جمعه بين الكرامة والهوان ؟ فقال : وَصَلْتُه لجوْدة ذكائه ، وأدَّبته كي لا يصرف فرطَ ذكائه في الفضول .

❊ ❊ ❊

الأدب أحبُّ إلينا

يُحكى أنَّه تكلَّم اليزيدي مع الكِسَائي بين يدي الرشيد ، فظهر كلامُه على كلام الكسائي ، فرمى بقَلَنْسُوَتِه فرحاً بالغلَبة ، فقال الرشيد : لأَدَبُ الكِسائي مع انقطاعه أحبُّ إلينا من غلبتك مع سوء أدَبِك .

❊ ❊ ❊

جعلت معجزة موسى عليه السلام لخصيب

وكان الرشيد جيّد المعرفة ، ثاقب الفِطْنة ، قال لأبي نواس : لمَ وثب بك أهل مصر ؟ قال لقولي :

فإن يَكُ باقي إفْكِ فِرْعون فيكمُ فإنّ عصا موسى بكَفّ خَصيبِ[1]

قال : فوثبوا بي وأرادوا قتلي ، وقالوا : جعلت معجزة موسى لخصيب !

فقال له الرشيد : ألا قلت :

فإن كان باقي إفكِ فرعون فيكمُ فباقي عصا موسى بكفّ خصيبِ !!

* * *

هكذا فَكُنْ

عن الأصمعيّ قال : دخلتُ على الرشيد هارون ومجلسُه حافل ! فقال : يا أصمعي ؛ ما أَغْفَاكَ عنّا وأجفاكَ لحضرتنا ؟! قلت : والله ؛ يا أمير المؤمنين ما لاقتني بلاد بعدك حتّى أتيتك ، فقال : فأمرني بالجلوس ، فجلستُ وسكتَ عني ، فلمّا تفرّق الناس إلا أقلّهم . . نهضتُ للقيام ، فأشار إليَّ أن اجلس ، فجلست حتّى خلا المجلس ؛ ولم يبق غيري ، ومَنْ بين يديه من الغلمان ، فقال : يا أبا سعيد ؛ ما معنى قولك (ما لاقتني بلاد بعدك)! قلت : ما أَمْسَكَتْني ؛ يا أمير المؤمنين ، وأنشدتُ قول الشاعر :

كَفَّاك كَفٌّ مَا تَلِيقُ دِرْهَمَا جُوداً وأُخرىٰ تُعْطِ بالسَّيْفِ دَمَا

أي : ما تُمسِكُ درهما ! فقال : هذا أحسنُ ، وهكذا فَكُنْ ، وقِّرْنا في الملا ، وعلِّمْنا في الخلا ، فإنّه يَقْبُح بالسلطان أن لا يكون عالماً ؛ أمّا إن سكتُّ فيعلمُ الناس أنّي لا أفهم إذا لم أُجِب ، وإمّا أن أُجيب بغير الجواب فيعلم مَنْ حولي أنّي لم أفهمك .

قال الأصمعي : فعلَّمني أكثر مما علَّمتُه .

---

(١) الخصيب : أحد أمراء مصر .

وفي كتاب « أدب الدنيا » للماوردي

حكى الأصمعيُّ رحمه الله قال : قال لي الرشيد : يا عبد الملك : أنت أعلمُ منّا ، ونحن أعقلُ منك ، لا تعلِّمنا في ملأٍ ، ولا تُسرِع إلى تذكيرنا في خلا ، واتْرُكنا حتَّى نبتدِئَكَ بالسؤال ، فإذا بلغتَ من الجواب حدَّ الاستحقاق فلا تَزِدْ ، إلا أن يُستدعى ذلك منكَ . وانظُرْ إلى ما هو ألطفُ في التأديب ؛ وأنصفُ في التعليم ، وبَلِّغ بأوجز لفظ غاية التقويم ، ولْيَخرُجْ تعليمك مخرجَ المذاكرةِ والمحاضرة ؛ لا مخرجَ التعليم والإفادة ، لأنَّ لتأخير التعلُّم خَجْلَةَ تقصير يَجِلُّ السلطان عنها ؛ فإن ظَهَر منه خطأٌ ؛ أو زَلَلٌ في قولٍ ؛ أو عمل لم يجاهِرْهُ بالرَّدِّ ، وعرِّضَ باستدراك زَلَلِه ، وإصلاح خَلَلِه .

ويَقْرُب من هذا ما رأيتُه في بعض الكتب أنَّ أبا جعفر المنصور حين استقرَّت له الخلافة . . دعا مالكا ؛ وقال له : يا مالك ؛ إنَّه ليس على وجه الأرض أحدٌ أعلمَ منك بعدي ، وإنّه قد شغلتني الخلافة ، فضع للناس كتاباً تَجَنَّبْ فيه شدائدَ ابنِ عمر ورُخَص ابن عبَّاس وشواذَّ ابن مسعود ، واقصد أوسط الأمور وما أجمع عليها الصحابة والأئمة .

قال الإمام مالك : فوالله لقد علَّمني التأليف يومئذ ، وهذا هو السبب في تأليفه « الموطَّأ » .

* * *

وللأبناء آباء

في « روح البيان » من سورة البقرة تحت قوله تعالى : ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ ﴾[1] ما نصُّه :

رُوي أنَّ المأمون بن الرشيد لمّا طلب الخلافة عابَهُ هشامُ بن علي ؛ فقال : بلغني أنَّك تريد الخلافة ، وكيف تصلحُ لها وأنتَ ابنُ أمة ؟! .

---

(١) الآية : ٢٣٣ ؛ من سورة : البقرة .

فقال : كان إسماعيل عليه السلام ابنَ أَمَة ، وإسحاق ابن حُرَّة ، فأخرج الله من صلْبِ إسماعيل خيرَ ولدِ آدم ﷺ ؛ وأنشد :

لا تُـزْرِيَـنَّ فَتَـىً مِـنْ أنْ يَكُـونَ لَـهُ ... أمٌّ مِـنَ الـرُّومِ أَوْ سَـوْداءُ دَعْجَـاءُ

فَـإنَّمـا أُمَّهـاتُ النَّـاسِ أوْعِيَـةٌ ... مُسْتَـوْدَعـاتٌ وَلِـلأبنـاءِ آبَـاءُ

* * *

أصبح جهلك مُركَّباً

قيل: أُعجبَ المأمون برجل حتَّى حسده الحاضرون ، وقالوا له : يا أمير المؤمنين ؛ لئن أعجبكَ مَنْطِقُه فهو أمِّيٌّ لا يقرأُ ولا يقول الشِّعر . إنَّما هو قَصَّاص .

فساء ذلك أمير المؤمنين حتَّى جاءه الرجل فقال له : لقد وُشِيَ إليَّ بعَيْبَيْن لكَ ! وذكَرَهُما .

فقال : أجل يا أمير المؤمنين ؛ أمَّا الأُمِّيَّة فإنَّ رسول الله ﷺ أُمِّي ولم يَعِبْهُ ذلك ! وأمَّا عدمُ روايتي الشعر ، فقال الله في حقِّ نبيِّه : ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾[1] وكانت له مَحْمَدَة !!.

فقال له المأمون : يا جاهل ؛ أما كفاكَ جهلُكَ حتى عَدَدْتَه من مفاخرِك ، لئن كانَ ما ذكرتَ مَحْمَدَةً في رسول الله فهو في غيره جَهالة ، وأصبح جهلُكَ مُرَكَّباً ؛ فلا أصاحبكَ .

* * *

أنعم بالاً

دخل الفتح بن خاقان على المتوكِّل ، فوجدَه مُطْرِقاً مُفكِّراً ؛ فقال له : يا أمير المؤمنين ؛ هل أنْعَمُ منكَ بالاً ! فما لكَ مُطرقٌ مُفكِّر ؟

---

(١) الآية : ٦٩ ؛ من سورة : يس .

قال : فرفع رأسه ؛ وقال له : أنْعَمُ منِّي بالاً مَنْ له دارٌ واسعةٌ تؤويه ، وزوجةٌ صالحةٌ تُرْضيه ، وَمعيشَةٌ حاضِرةٌ تَكْفيه ، لا يعرِفُنا فنؤذيه ، ولا يحتاجُنا فنزدريه .

* * *

لو عرفناك لأجبناك

في أوَّل « تاريخ الخلفاء » للسيوطي في ذمِّه للخلفاء العُبَيْدِيِّين بمصر قال :

وكتب العزيز إلى الأموي صاحب الأندلس كتاباً سَبَّه فيه وهجاه ، فكتب إليه الأموي :

أمَّا بعد ؛ فإنَّك قد عرَفْتَنا فهجَوْتَنا ؛ ولو عرفناك لأجبناك .

فاشتدَّ ذلك على العزيز فأفحمه عن الجواب .

يعني أنه دَعِيٌّ لا تُعرَفُ قبيلتُه ، وإنَّما سمَّاهم بالفاطميين جَهَلَةُ العوامِّ ، وإلا فجدُّهم مجوسيٌّ .

قال القاضي عبد الجبار البصري : اسم جدِّ الخلفاء المصريين سعيد ، وكان أبوه يهوديًّا حدَّاداً نَشَّابة . وقال القاضي أبو بكر الباقِلَّاني : القداح جَدُّ عبيد الله الذي يُسَمَّى بالمهدي كان مجوسيًّا ، ودخل عُبيد الله المغرب وادَّعى أنه علويّ ، ولم يعرفْه أحدٌ من علماء النَّسب ، وسمَّاهم جهَلَةُ الناس الفاطميين . . إلى آخر ما أطال السيوطي رحمه الله في القَدْح بهم وبنسبهم .

* * *

استعنتُ بألسِنَةِ الناس

لام السفاحُ خالدَ بن بَرْمَك على كثرة عطائِه وصلاته !

فقال له خالد : لم أرَ شكري يُحيطُ بِنعَمِ أميرِ المؤمنين ، فاستعنتُ بألسِنةِ الناس عليها .

* * *

المال مال الله

قال المنصور لعامل بلغَهُ عنه خيانة : يا عدوَّ الله ، وعدوَّ أمير المؤمنين ، وعدوَّ المسلمين ؛ أكلتَ مالَ الله ، وخنتَ خليفةَ الله !

فقال : يا أمير المؤمنين ؛ نحن عيالُ الله ، وأنت خليفته ، والمالُ مالُ الله ، فمِنْ أينَ نأكُل إذاً ؟

فضحك منه وأطلقه ، وأمر أن لا يُولَّى عملاً بعدها .

❋ ❋ ❋

لولا الموت لم تقعد هاهنا

قال المنصورُ يوماً للربيع : ويحك يا ربيع ؛ ما أطيب الدنيا لولا الموت ! . قال له : ما طابت إلا بالموت . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لولا الموت . . لم تقعد هاهنا !!

قال : صدقت[1] .

❋ ❋ ❋

ما كان أغناك

أمَرَ هارونُ الرشيد يحيى بن خالد بهَدْم إيوان كسرى ، فقال يحيى : يا أمير المؤمنين ؛ ما الحاجةُ إلى هَدْم بنيانٍ يدلُّ على فخامةِ شأنِ بانيه ؟

فقال : اهدِمْهُ ؛ ولا تراجعْني فيه .

فحسَب مقدارَ ما يُصرف على هدمه ؛ فجاء جملةً كثيرة ! فرجع الرشيدُ عن ذلك ؛ فقال له يحيى : ما كان أغناكَ عن ظهورِ عَجْزِك في هَدْمِ ما بناهُ غيرُك[2] !

---

(١) (مروج الذهب) للمسعودي .

(٢) « نوادر الأخبار » للأنباري .

ما انتقلت عني نعمة

كان الفَضْل وجعفر ابني يحيى البرمكي ؛ والفَضْل أكبرهما ، وقد أراد هارون نقل ديوان خاتم الملك من الفضل إلى جعفر ، فقال لأبيهما يحيى : أحببتُ أن أنقلَ ديوانَ الخاتم من الفضل ، وقد استحييْتُ من مكاتبته في هذا المعنى ، فاكتُبْ أنتَ إليه .

فكتب يحيى إلى الفضل : قد أمر أمير المؤمنين أعلى الله أمرَه أن تُحوِّلَ الخاتم من يمينك إلى شمالك . فأجابه الفضل : قد سمعتُ ما أمر به أميرُ المؤمنين في أخي ، وما انتقلَتْ عني نعمةٌ صارَتْ إليه ، ولا غربَتْ عني رتبةٌ طلعَتْ عليه .

وقال جعفر لمَّا قرأ كتاب شقيقه : لله درُّ أخي ما أكبرَ نفسَه ، وأظهرَ دلائلَ الفضل عليه ، وأقوى مِنَّةَ العقل عنده ، وأوسعَ في البلاغة ذرعه .

* * *

وجه الكذوب لا يقابلك

كان الفَضْلُ بن الربيع صادقَ العروبة ، وفيّاً لقوميَّته وجنسيَّته ، اعتمدَه الرَّشيدُ غايةَ الاعتماد ، وقال له الرَّشيدُ يوماً في كلام جرى : كذبتَ .

فقال له : وجهُ الكذوب لا يقابلك ، ولسانُه لا يُخاطبك . (يعني : إنك أنت الكذَّاب ؛ لأنَّ وجه الإنسان لا يقابله) .

وهذا منه غايةٌ في شجاعة الجَنان وبداهة البَيَان ، وفيه على الاعتداد بالنفس والأنفة والتعاظم شاهدٌ بليغ .

* * *

تعوَّدنا أن نُسأل

وقيلَ : سارَ الفَضْلُ بن الرَّبيع إلى عَبَّاد في نكبْتَهِ يسألُهُ حاجَةً فأُرْتِجَ عَلَيه ،

فقال له : يا أبا العَبّاس ؛ بهَذَا اللّسانِ خَدَمْتَ خليفَتَيْن ؟ فقال : إنا تعَوَّدنا أن نُسأَلَ لا أَنْ نَسأَل .

* * *

نوالك قبول قولك

ألّف سهل بن هارون كتاباً يمدح فيه البخل ويذمُّ الجود ليظهر قدرته على البلاغة ، وأهداه للحسن بن سهل في وزارته للمأمون ! !

فوقَّع عليه : لقد مدحت ما ذمَّه الله ، وحسَّنتَ ما قبَّح اللهُ ، وما يقوم صلاحُ لفظك بطلاح معناك ، وقد جعلنا نوالك عليه قبولَ قولك فيه .

* * *

ما دينك ؟

سُئِلَ الحسن بن سهل بن دينار بن عبد الله : ما دينُك ؟

فقال : ما ظننتُ أنَّ حيّاً يسأل عن هذه المسألة ، لأنَّها مسألة مُنكر ونكير للميت ، ثمَّ قال : ديني الإسلام وطاعةُ أميرِ المؤمنين .

* * *

ما مُدح من هُجي قومه

قال محمد بن سلام : أخبرني سلام أبو المنذر عن عليٍّ بن زيد ؛ قال : ما سمعتُ الحسن متمثلاً شعراً قطّ إلاّ بيتاً واحداً ؛ وهو قوله :

الْمَـوتُ بَـابٌ وَكُـلُّ ٱلنَّـاسِ دَاخِلُـهُ   فَلَيْتَ شِعْرِيَ بَعْدَ ٱلبَابِ مَا ٱلدَّارُ ! !

قال : وقال لي يوماً : ما قول الشاعر :

لَـوْلاَ جَـرِيْـرٌ هَلَكَـتْ بَجِيلَـهْ   نِعْـمَ ٱلفَتَـىٰ وَبِئْسَـتِ ٱلقَبِيلَـهْ

هجاه أم مَدَحه ؟ قلت : مَدَحَهُ وهجا قومَه . قال : ما مُدح من هُجِيَ قومُه ! .

أعطني لتقدّمي

وقد ذُكر في « حوادث الزمان » أنَّ بعض الأشراف زار سيفَ الدولة ابن حمدان ، فبلغه أنَّ بعض الناس قال لسيف الدولة : أعطِهِ لشرفِهِ ونسبه وقديمِه ، فأنشد لسيف الدولة هذه الأبيات :

قَـدْ قَـالَ قَـوْمٌ : أَعْطِـهِ لِقَـدِيمِـهِ ... كَـذَبُـوا ؛ وَلَكِـنْ أَعْطِنِـي لِتَقَـدُّمِـي

حَـاشَـىٰ لِمَجْـدِيَ أَنْ أَرَاهُ ذَرِيْعَـةً ... فَيُبَـاعُ بِـٱلـدِّيْنَـارِ ؛ أَوْ بِـٱلـدِّرْهَـمِ

فَأَنَا ٱبنُ عِلْمِي لاَ ٱبْنُ مَجْدِي أَجْتَدِي ... بِـٱلفَضْـلِ لاَ بِـرَمِيـمِ تِلْـكَ ٱلأَعْظُـمِ

* * *

أولاد الرجال

رُوي أنَّ الإسكندر كان عنده جمعٌ من ندمائه ؛ فقال واحدٌ منهم : إنَّ الله تعالى أعطاك مملكةً كثيرة ، وشوكة وقُوَّة . أكْثِرْ من النِّساء حتى يَكْثُر أولادُك ويبقوا بعدك .

قال الإسكندر : أولاد الرِّجال ليست ما ذكرتَ ، بل هي العادات الحَسَنة ، والسِّيرُ المُرضية ، والأخلاق الكريمة ؛ وليس ممّا يليق بالرَّجل الشَّجيع أن تَغْلِب عليه النِّساء بعد أن غَلَبَ هو في الدُّنيا .

* * *

كثرة الأغنام

قيل : أُخْبِرَ الإسكندر بوفرة عسكر دارا[1] ! فقال: إنَّ الذِّئب والأسد لا تَهولُهُ كَثرةُ الأغنام .

ثمَّ كرَّ عليهم وهزمهم .

* * *

---

(١) القائد الفارسي ، وكان ذلك حين غزو الإسكندر المقدوني بلاد الفرس .

غيّر اسمك أو فعلك

رأى الإسكندر سَمِيًّا له لا زال ينهزم ! فقال له : يا رجل ؛ إمَّا أن تُغيِّر اسمكَ ، أو أن تُغيِّرَ فِعْلَكَ .

* * *

جيش النساء :

قصد الإسكندرُ موضعاً ، فخرج لحربه جيش من النساء ، فكفَّ عنهن ، فسُئل ، فقال : هذا جيشٌ كَسْرُهُ ليس بفخر ، ونصره فضيحةُ الدَّهر .

* * *

تسلية ثكلىٰ

في « أوائل » السيوطي أنَّ الإسكندر لمَّا مرِضَ وتيقَّن ارتحاله كتب لأمِّه يُعْلِمُها بحقيقة حاله ، وأن تعمل إذا نزلَ به الموتُ وَليمَةً لا يحضُرُها مَنْ أصيبَ بمصيبَةٍ أليمةٍ ؛ فلم يَحْضُرْها أحد ، فكانت أعظمَ تسليةٍ على فَقْدِ الولد .

* * *

لا أجعل غلبتي سرقة

وأشير على الإسكندر بتبييت الفُرس[1] فقال : لا أجعل غَلَبَتي سرقة .

* * *

لا تغلبني امرأة :

وقيل له : لو تزوَّجتَ بنت دارا ! فقال : لا تغلبُني ٱمرأة غَلَبَتُ أباها .

* * *

---

(١) التبييت : الهجوم على العدو ليلاً وهم بائتون .

أخذه من لا يرده

سرق رجلٌ في مجلس أنُوشِرْوان جامَ ذهب ، وهو يراه ، فلمَّا فقدَه الشَّرابيُّ ؛ قال : والله ؛ لا يخرجُ أحدٌ حتَّى يُفَتَّشَ .

فقال أنوشروان : لا تتعرَّض لأحد ، فقد أخذه مَنْ لا يَردُّه ، ورآهُ من لا يَنُمُّ عليه .

* * *

الازورار أفضل

يُحْكَى عن أنوشروان العادل ؛ وهو من أهل الكفر ، لمَّا أراد المهندسون تسوية إيوانه بإدخال قطعة أرض لعجوز بعد أن بذلوا لها أضعاف ثمن أرضها فأبت ، فأمر بعدم التعرُّض لأرضها !! فبقي في إيوانه ازْورارٌ بسبب ذلك ، فقيل : هذا الازورارُ خيرٌ من الاستقامة ، وصار ذلك مثلاً يُذْكرَ بعد ألوف من السنين وقال :

وَإِنَّمـــا المَـــرْءُ حَـــدِيْـــثٌ بَعْـــدَهَ   فَكُـــنْ حَـــدِيْثـاً حَسَنـاً لِمَـــنْ رَوَىٰ[1]

* * *

النية

قيل لبعض الملوك : إنَّ فلاناً سيِّىءُ النِّـيَّـة نحو المَلِك !! فقال : إنَّ الله تعالى تجاوز عن النِّية وهو يعلمُها ، فكيف لا نتجاوز عنها ونحن لا نعلَمُها ؟!

* * *

إذا رتعْتَ رتَعُوا

قيل : لما أُتيَ سيدُنا عمر رضي الله عنه بتاج كسرى وسواريه نظر لذلك ؛ وقال : إنّ مَن أدَّى هذا إلينا لأمين .

---

(١) (تاريخ مكة) لقطب الدين الحنفي .

فقال له رجل : أنت يا أمير المؤمنين أمين الله ؛ يُؤَدُّون إليك ما أَدَّيت إليه ؛ فإذا رَتعتَ رتَعُوا . قال : نعم .

* * *

إنها لا تُفرك ولا تترك

ذكر الدَّميري في « حياة الحيوان » بلفظ (المهَا) قال : روى هشام بن عروة بن الزبير ؛ عن أبيه قال : بينما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يطوف بالبيت إذا هو برجلٍ يطوف وعلى عُنُقه مثل المهاة ـ يعنى حُسناً وجمالاً ـ وهو يقول :

عُـــدْتُ لَهَـــذِي جَمَـــلاً ذَلـــولاً   مُـــوَطَّـــأً أَتَّبـــعُ السُّهُـــولا
أَعْـــدِلُهـــا بـــالكَـــفِّ أَنْ تَمِيْـــلا   أَحْـــذَرُ أَنْ تَسقَـــطَ أَوْ تَـــزُولا
أرْجُـــو بِـــذَاك نَـــائِـــلاً جَـــزِيْـــلاَ

فقال له عمر رضي الله عنه : يا عبد الله ؛ مَنْ هذه التي وهَبْتَ لها حجَّك ؟

قال : امرأتي يا أمير المؤمنين ؛ وإنَّها لحمقاء مِرْغامة[1] ، أكولٌ قُمامة ، لاتبقى لها خامة .

فقال رضي الله تعالى عنه : ما لك لا تُطلِّقْها ؟!

قال : يا أمير المؤمنين ؛ إنَّها حسناءُ لاتُفْرَك ، وأمٌّ صبيانٍ لا تُتْرَك .

قال : فشأنَكَ بها .

* * *

صلَّيْتُها خوفاً من الدرَّة

قال العلائيُّ في سورة براءة : دخل أعرابيٌّ المسجد ، فصلَّى صلاةً خفيفة ! فقام إليه عليٌّ رضي الله عنه بالدِّرَّة وقال : أعِدِ الصلاة . فأعادَها

---

(١) المِرغَامة : المُغضِبَة لزوجها .

مُطمئناً ، فقال : أهذه خيرٌ أمِ الأولى ؟

فقال الأعرابي : الأولى ؛ لأنِّي صلَّيتُها لله ، والثانية صلَّيْتُها خوفاً من الدِّرة .

* * *

هي خير لي

عيّر رجل ابنه بأمه ، فقال : هي والله خير لي منك ، لأنها أحسنت لي الاختيار فولَدَتْنِيْ من حرّ ، وأنت أسأتَ الاختيار فَوَلَّدْتَنِيْ من أَمَة .

* * *

ما نطقت ولكن رمقت

وأنكر بعضُهُم لَمْحةَ جَليس له ، فنسبه إلى النميمة ، فقال : ما نطقتُ !! فقال : ما نطقتَ ؛ ولكن رمقتَ ! وربَّ عين أنمُّ من لسانٍ ، وَطْرفٍ أشدُّ من سَيْف وأوْجع من حَتْف .

* * *

هل من خلل ؟

قيل : خطبَ معاوية خُطبة حسنةً ، فقال : هل من خلل ؟ فقال رجل من عرض الناس : خلل كخلل المُنْخُلِ .

فاستدعاه ، وقال : ما ذاك الخلل ؟ فقال : إعجابك به ومدحُك له .

* * *

عظة المستقبل

لمَّا قتل عبد الملك بن مروان عمرَو بن سعيد بعد أن أمَّنه قال لرجل كان يستشيرُه : ما رأيكَ في الذي فعلت ؟ قال : أمرٌ قد فات . قال : لتقولَنَّ . قال : حَزْمٌ لو قتلتَهُ وحييتَ . قال : أوَلستُ بحيّ ؟ قال : ليس بحيٍّ مَوْقِفُ مَنْ

لا يوثَقُ له بعهْدٍ ؛ ولا بعَقْد .

قال عبد الملك : كلامٌ لو سَبق سماعُه فِعلي لأمسكت ؛ وهو عِظة المستقبل .

* * *

من أخصب تخيّر :

حضر أعرابيٌ سفرةَ سُليمان بن عبد الملك فجعلَ يمرُّ إلى ما بين يديه ، فقال له الحاجبُ : ممَّا يَليكَ فكُلْ يا أعرابي ، فقال : من أجدبَ انتجَع ، فشقَّ ذلك على سُليمان ، وقال للحاجب : إذا خرج عنَّا فلا يَعُدْ إلينا .

وشهدَ بعد هذا سفرتَه أعرابيٌّ آخرُ ، فمرَّ إلى ما بين يديه أيضاً ، فقال له الحاجب : ممّا يَليكَ فَكُلْ يا أعرابيّ ، قال : من أخصبَ تخيَّر ، فأعجب ذلك سُليمان ، فقرَّبه وأكرمَه ، وقضى حوائجَهُ .

* * *

ذكّرتك نعم الله

مدح رجلٌ هشام بن عبد الملك ؛ فقال له : يا هذا ؛ إنَّه قد نُهي عن مدح الرجل في وجهه !!

فقال : ما مدحتُك ؛ ولكنْ ذكَّرْتك نعمَ الله عليك لتجدِّد لها شكراً .

فقال له هشام : هذا أحسنُ من المدح . ووصَلهُ وأكرمه .

* * *

أدخل الله أشدَّنا بغضاً لصاحبه الجنَة :

قال الحجَّاجُ لرجلٍ من أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث : والله ؛ إنِّي لأبْغِضُكَ . فقال الرجل : أدخَلَ الله أشدَّنا بُغضاً لصاحبِه الجنَّةَ .

* * *

أغنيت الناس

ذَكر في « روح البيان » عند قوله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1] ما نصُّه :

رُوي أنَّ الحجَّاج لمَّا وُلي العراق كان يُطْعِمُ في كلِّ يوم على ألف مائدة ، يجمعُ على كلِّ مائدة عشرةَ أنفس ، وكان يُرسل الرسل إلى الناس لحضور الطعام ، فكثُرَ عليه ذلك ، فقال : أيُّها الناس رسولي إليكُم الشمسُ إذا طلعَتْ ، فاحضُروا للغداء ، وإذا غربَتْ ؛ فاحضُروا للعشاء . فكانوا يفعلون ذلك ، واستقلَّ الناس يوماً ؛ فقال : ما بال الناس قد قلُّوا ؟ فقال رجل : أيها الأمير ، إنَّك أغنيتَ الناسَ في بيوتهم عن الحضور إلى مائدتك ، فأعجَبه ذلك وقال : اِجلس باركَ الله عليك . اهـ .

* * *

الدنيا بمثابة طائر

حُكي أن الرشيد هارون رحمه الله لمَّا حضر بين يديه بعضُ أهل المغرب ؛ قال الرشيد : يقال : إنَّ الدنيا بمثابةِ طائر ذنبه المغرب ، فقال الرجل : صدقوا يا أمير المؤمنين ؛ وإنَّه طاووس .

فضحِك أميرُ المؤمنين الرشيد ، وعجِب من سرعة جواب الرجل وانتصارِه لقُطْره[2] .

وحسن هذا الجواب أنَّ جمال الطاووس بذنبه الطويل المزركش .

* * *

ولِّه بلداً بلداً

تظلَّم أهلُ الكوفة من واليهم ، فشكَوْه إلى المأمون ؛ فقال : ما علمتُ في

---

(١) الآية : ١٩٥ ؛ من سورة : البقرة .

(٢) كذا في الكتاب الثاني أوائله من كتاب « نفح الطيب » للمَقَّري .

عمّالي أعدلَ ولا أقومَ بأمر الرعية وأعودَ بالرِّفق عليهم منه .

فقال رجل منهم : يا أمير المؤمنين ؛ ما أحدٌ أولى بالعَدْل والإنصاف منك ، فإنْ كان بهذه الصفة فعلى أمير المؤمنين أن يولِّيَهُ بلداً بلداً حتَّى يلحقَ كلَّ بلد من عدله مثلُ الذي لحقَنا ، ويأخذَ بقسطِه منه كما أخذنا ، وإذا فعل ذلك لم يُصبْنا منه أكثر من ثلاث سنين .

فضحك المأمون من قوله ، وعَزَله عنهم .

* * *

كتاب إلى أمير المؤمنين

حُكي أنَّ المأمون ولَّى عاملاً على بلاد ؛ وكان يُعرف منه الجَوْر في حُكمه !! فأرسل إليه رجلاً من أرباب دولته ليمتحنه ، فلمَّا قَدِم عليه أظهر له أنَّه قدم في تجارةٍ لنفسه ، ولم يُعلمْه أنَّ أمير المؤمنين عنده علْمٌ منه ، فأكرم نُزُله ، وأحسنَ إليه ، وسأله أن يكتب كتاباً إلى أمير المؤمنين المأمون يشكرُ سيرتَهُ عنده ليزدادَ فيه أميرُ المؤمنين رغبةً ؛ فكتب كتاباً فيه بعد الثناءِ على أمير المؤمنين :

أمَّا بعد ؛ فقد قدِمنا على فلان فوجدناه آخذاً بالعَزْم ، عاملاً بالحَزْم ، قد عَدَلَ بين رعيَّته ، وساوى في أقضيتِه ، أغنى القاصد ، وأرضى الوارد ، وأنزلهم منه منازل الأولاد ، وأذهب ما بينهم من الضغائن والأحقاد ، وعمَّر منهم المساجد الداثرة ، وأفرغهم من عمل الدنيا ، وشَغَلهم بعمل الآخرة ، وهم مع ذلك داعون لأميرِ المؤمنين يريدون النظرَ إلى وجهه ، والسلام .

فكان معنى قوله : (آخذاً بالعَزْم) أي : إذا عزم على ظُلْم أو جَوْر فعَلَهُ في الحال .

وقوله : (قد عدل بين رعيته وساوى في أقضيته) أي : أخذ كلَّ ما معهم حتَّى ساوى بين الغنيِّ والفقير .

وقوله : (عمر منهم المساجد الدائرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة) يعني أنَّ الكلَّ صاروا فقراء لا يملِكون شيئاً من الدنيا .

ومعنى قوله : (يريدون النظر إلى وجه أمير المؤمنين) أي : ليشكوا حالهم وما نزل بهم .

فلمَّا جاء الكتاب إلى المأمون عزله عنهم لوقته ، وولَّى عليهم غيره .

* * *

أحبُّ الجنن

سئل بعضهم : في أيّ الجُنَنِ[1] تحبُّ أن تلْقى عَدُوَّك ؟ قال : في أَجَلٍ مُسْتَأخر .

* * *

أحمدُ النبيَّ

أُتي المأمون برجل ادَّعى النبوَّة ؛ فال له : ما اسمك ؟ قال : أنا أحمدُ النَّبي . فقال له : لقد ادَّعيتَ زوراً ، ثم أمر به ليُضرب !! فلمَّا رأى الرجل الأعوان قد أحاطَت به ؛ قال : يا أمير المؤمنين ؛ أنا أحمَدُ النبيَّ ، فهل تذمُّه أنتَ !

فتدارك المأمون ما بقي من رَمَق المِنَّة بالمنَّة ، وأورى له زَنْد المحبَّة بالمحنة .

* * *

هل أكرهوك على أخذ الأجرة ؟

في « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحَديد في الجزء السابع عشر في

---

(١) الدروع .

حكايات في القضاء قال : شهد رجلٌ عند سوَّاد القاضي ؛ فقال : ما صناعتك ؟ فقال : مؤدِّب . قال : إنَّا لا نجيزُ شهادتك ، لأنَّك تأخذُ على تعليم القرآن أجراً . قال : وأنت أيضاً تأخذ على القضاء بين المسلمين أجراً . قال : إنَّهم أكرهوني . قال : نعم ؛ أكرهوك على القضاء ، فهل أكرهوك على أخذ الأجرة ؟! قال : هلمَّ شهادتك .

* * *

ومن أنتما ؟

من أغرب بداهة الكذَّابين ما قيل أنَّ أحمد بن حنبل ؛ ويحيى بن مَعِين حضرا وعْظَ بعضِ الواعظين ، فسمعاه يحدِّث عنهما حديثاً لا علم لهما به ، فسأل أحدهما الآخر عنه فقال : لا علم لي به . فقال أحدهما للواعظ : أيُّها الرجل ، إنَّك تحدِّث بهذا الحديث ، وترويه عن أحمد بن حنبل ، ويحيى بن مَعِين ، وهذا هو وأنا يحيى ، وليس لنا علمٌ بما تحدِّث به عنَّا . فقال : ومن أنتما بين المحدِّثين حتى تستقلاَّ بهذين الاسمين ، وإني لأحفظ أكثر من عشرين محدِّثاً كلُّهم أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين !! . فانصرفا .

نعوذُ بالله من الكذب على رسول الله ﷺ .

* * *

أصلَحتَ بعدنا أم فسدنا بعدك ؟

مِن أحسن التعريض ما قيل : إنّ رجلاً معروفاً بسوء السِّيرة قدِم إلى شيء من الأعمال فأتقنَهُ أيَّ إتقان ، فقال له رجلٌ مَن أعقل الرجال : لا أدري أصَلَحْتَ بعدَنا ، أم فسَدْنا بعدَك ، حتى استحسنَّا عملك .

* * *

جعلك الخضر

أساء رجلٌ لآخر ، فصار الآخر يسبُّه بالغيبة بحيث يبلُغُه ، فلمَّا اجتمعا

للعتاب قال الرجل للآخر : هل أنا كذا وكذا ؟ ممَّا بلغه عنه من السِّباب !؟ قال له الآخر : حيث إنَّك خرَقْتَ السفينة لتغرقَها ولم أكُ موسى حتَّى أصبرَ صبرَه ؛ فقد يكونُ لي بعضُ العُذْر .

فكاد أن يغضب الرجل لقول الآخر خرقتَ السفينة لتغرقها . فقالوا له : لقد جعلك الخَضِر ، ولم يجعلْ لنفسِهِ الموسويَّة . فقبِل منه وعفا عنه .

❋ ❋ ❋

صيام الأيام البيض

روي أنَّ رجلاً كان يجلسُ إلى بعض العلماء ولا يتكلَّمُ ، فقيل له يوماً : ألا تتكلّم ؟

قال : نعم ؛ أخبرني لأيِّ شيءٍ يُستحبُّ صيام الأيام البيض من كلِّ شهرٍ ؟ فقال : لا أدري ، فقال الرجل : لكنّي أدري . قال : وما هو ؟ .

قال : لأنَّ القمر لا يَنكسفُ إلا فيهن ، فأحبَّ الله تعالى أن لا يُحدثَ في السماء آيةً إلا حدثَ في الأرض مثلُها .

وهذا أحسن ما قيل فيه .

❋ ❋ ❋

كل قرين بالمقارن يقتدي

قدم أناس إلى بلدة ، فسألهم أهلها : كيف وجدتموها ؟

قالوا : عرفنا خياركم من شرارِكم . قالوا : كيف ولم يَطُلْ عندنا أيامُكم ؟!

قالوا : لحق خيارُنا بخياركم ، وشرارُنا بشرارِكم ، فذكرْنا قولَ القائل :

عَنِ المَرْءِ لا تَسَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِيْنِهِ   فَكُلُّ قَرِيْنٍ بالمُقَارَنِ يَقْتَدِي

❋ ❋ ❋

من بلَّغك فقد سبَّك

قيل لبعضهم : فلان عابك بكذا ، فقال : لقد لقيتُك نفحْتَني بما اسْتَحَىٰ الرجُلُ من استِقْبالي به .

وقيل : ما ضَرَّت كلمةٌ ليس لها مخاطَب .

* * *

لو خدمت الملوك

ولقي صاحِبُ سُلطانٍ رجلاً يَلْتَقِطُ الحَشيش ويأكله ، فقال له : لو خَدَمت الملوك لم تحْتَج إلى أكل الحَشيش ، فقال : وأنْتَ لو أكلت الحشيش لم تحتج إلى خِدْمة المُلوك .

* * *

أمسكني الذي أمسكك

دخل رجلُ إلى المسجد ليُصلِّي ، وانتظره رفيقُه خارجَه ، فأطال الداخل إطالة !!

فلمَّا خرج قال رفيقه : ما الذي أمسكك داخلَه ؟ قال له : الذي أمسكك خارجه .

* *

لواء الغزو

كان بعض الملوك لا يعقِد لواءَ الغزو في الأندلس إلا بمسجد قرطبة ، فصادف أنْ عقدَهُ هناك ، فعلِقَ بثريَّا المسجد فوقعَتْ وانكسرت ، وسقط منها الزيت على اللواء ، فتطيَّر الأمير ، فقال له بعض الحاضرين : لقد بلغَتْ أعلامُك الثريَّا أيها الأمير ، وسقاها الله من شجرة مباركة ، فطِبْ نفساً ، فستُحمَدُ الغزوة ! فكان كما قيل ، وحصل النَّصرُ من عند الله عزَّ وجلَّ .

* * *

متى أجلك ؟

اغتاظ أحد الملوك من بعض المنجِّمين بما يتنبَّأ به من الحروب ، فاستحضره ليبطِشَ به ، فقال له : أنت تتنبَّأ بالمستقبل ، فهل تعلمُ متى أجَلك ؟ ففطِن لما يهمُّ به .

فقال : نعم ، قبل أجلِ مليكِنا بشهر . فتركه وأكرمه .

* * *

من كان عنده واحدة

كتب بعض ملوكِ فارس على بابه : تحتاجُ أبوابُ الملوك إلى عقلٍ ومالٍ وصبرٍ ، فكتب بعضهم تحته : من كان عنده واحدة من هذه الثلاث لمْ يحتجْ إلى أبواب الملوك .

فرُفع خبره إلى الملك فقال : زه[1] وأمرَ بإجازته ، ومحو الكتابة من الباب .

* * *

دخلنا بظلامة

دخل رجلٌ على أحد الملوك يشكوهُ غَصْبَ أرضه من بعض عمّال الملك ؛ فقال : كم هي بيدك ؟ قال : منذ أربعين سنة ، قال : فلْيأكُلْها عاملنا سنة .

قال له الرجل : ولْيكُن وزيرك ملكاً سنةً أيضاً . فأمر بإخراجه .

فقال : دخَلْنا بظُلامة وخرَجْنا باثنتين .

فناداه الملك وأزال ظُلامته .

* * *

---

(١) معناه بالفارسية : أحسنت .

أحسنت

حُكي في « شرح المقامات » أن كسرى أنوشِرْوان مرَّ على شيخ يغرِسُ من شجر الزيتون فقال : ليس هذا أوانُ غرسكَ الزيتون ، لأنَّه شجرٌ بطيءُ الثمر وأنت شيخٌ هَرِم !!

فقال : أيُّها الملك ؛ قد غَرَسَ مَنْ قَبْلَنا فأكَلْنا ، ونغرِسُ ليأكُلَ مَنْ بعدَنا .

فقال كسرى : أحسنت . وكان إذا قالها يُعطىٰ مَنْ قيلَت له أربعةُ آلاف درهم ، فُدفِعَتْ له ؛ فقال : أيُّها الملك كيف رأيت غرْسي ؟ فما أسرعَ ما أثمر !

فقال : أحسنت . فزيد أربعة آلاف . فقال : أيُّها الملك ، كلُّ شجرةٍ تُثمِرُ في كلِّ عام مرَّةً وشجَري أثمَرَ في ساعةٍ مرَّتَيْن !!

فقال : أحسنت . فزيد مثلها ، فمضى كسرى ؛ وقال : انصرفوا فلئن وقَفْنا ؛ لم يكفِهِ ما في خزائِننا .

* * *

أحسنت إلى العصفور

صحب أحدَ الملوك البطَّاشين وزيرُه في رحلة صيد ، فضرب الملكُ صيداً فأخطأه ؛ فقال له الوزير : أحسنت ، فنظر إليه الملك نظرةً مُنكرة ! .

فقال : يا سيِّدي ؛ أحسنتَ إلى العُصفور بإبقاء حياته ، فما تمالك الملك أن ضحك .

* * *

رُدَّ شبابي

غضب ملكٌ على وزيره وأراد صرفَه عن خلافته ؛ فقال للملك : رُدَّ عليَّ ما أنفقتُه في خدمتك لأستعينَ به على دهري .

قال : وماذا أنفقت ؟ قال له : شبابي حتَّى كبرت .

فأعجبه جوابه ورضي عنه .

* * *

نقداً بنقدٍ

طلب فارسٌ من أمير جُعالة ليقاتل معه ، فقال الأمير : قاتلْ نُعْطِك .

قال : أأجعلُ نفسي نقداً ودرهمَك نسيئة ؟! لا يكون إلا نقداً بنقد .

* * *

كانت في منازل أصحابها

عزَلَ أحد الملوك أميراً له وولى غيره ، فأرسل الثاني له هدايا عظيمة !!

فقال الملك للأول : أين كانت هذه الهدايا حين كنتَ ؟ قال له : كانت في منازل أصحابها ؛ يا أمير المؤمنين .

* * *

أنا من غَزِيَّةَ

وقال رجل لصديقه : ما رأيُك في كذا ؟ فقال : أنا من غَزِيَّة ، يريد أني تابعٌ لك ، إشارة إلى قول دُرَيْد :

وهل أنا إلا منْ غَزِيَّةَ إن غَوَت غَوَيْتُ ، وإنْ تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أرْشُدِ

* * *

بالتَّوقّي

اجْتاز كِسْرى في بعض حُروبه برجل قد استظلَّ بشَجَرةٍ وألْقى سلاحَه وربط دابَّته ، فقال له : يا نذلُ نحْن في الحرب وأنْت بهذه الحُلَّة ؟

فقال : أيُّها الملكُ ؛ إنما بلغتُ هذه السِّن بالتّوقي !

فقال : أحسنت . وأعطاه مالاً .

* * *

أخطأت يا لحنة

قيل : لحن بعض الوعاظ وإلى جانبه نحوي ، فقال له : أخطأت يا لحنة ، فقال الواعظ بديهة : أيها المعرب في أقواله ، اللاحن في أفعاله ، مالي أراك تائهاً منكراً ، أَكلُّ ذلك لأنك رفعت ونصبت وخفضت وجزمت . هلا رفعت يديك بالدعاء في جميع الحاجات ، ونصبت بين عينيك ذكر الممات ، وخفضت نفسك عن الشهوات ، وجزمتها عن اتباع المحرمات .

* * *

سلَّمَ فرددتُ

سلَّم رجلٌ على آخر بسوطِه فلم يُجبْه ، فقيل له في ذلك !! .

فقال : سَلَّم عليَّ بالإيماء فَرددْتُ عليه بالضمير .

* * *



العلمـــــاء

أ ـ الأجوبة البديهية

أحسنتن

مرَّ أبو حنيفة وابن أبي ليلى على نسوةٍ يُغنِّينَ ، فحين رأيْنَهما . . سكَتْنَ ! !

فقال لهنَّ أبو حنيفة : أحسنتُنَّ .

فقال له أبو ليلى : أتُقِرُّهُنَّ على الغناء ! فقال : متى قلتُ لهنَّ ذلك ؛ أحين الغناء أم حين السكوت ؟ !

قال له : بل حين السكوت . قال : فذاك الجواب .

* * *

أنفذ الحق

كان أبو العبَّاس الطُّوسيُّ سيِّىءَ الرَّأي في أبي حنيفة ، وكان أبو حنيفة يعرفُ ذلك ! ! فدخل أبو حنيفة على المنصور ، وكثُر الناس ؛ فقال الطُّوسيُّ : اليوم أقتلُ أبا حنيفة .

فأقبل عليه ؛ فقال : يا أبا حنيفة ؛ أميرُ المؤمنين يدعو الرجل فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدري ما هو ! ! أيسعه أن يضرب عنقه ؟

فقال : يا أبا العبَّاس ؛ أميرُ المؤمنين يأمرُ بالحقِّ أم بالباطل ؟

فقال : بالحقِّ . قال : أنفذِ الحقَّ حيثُ كان ولا تسأل عنه .

ثمَّ قال أبو حنيفة لمن قَرُبَ منه : إنَّ هذا أراد أن يوثقَني فربطتُه .

* * *

أردت أن تشيط بدمي

دعا أبو جعفر المنصورُ أبا حنيفة ، فقال الربيع ـ صاحبُ المنصور وكان يُعادي أبا حنيفة ـ : يا أمير المؤمنين ؛ هذا أبو حنيفة يُخالفُ جدَّك ! كان عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما يقول : إذا حلف على اليمين ثمَّ استثنى بعد ذلك بيوم ؛ أو يومين جاز الاستثناء .

وقال أبو حنيفة : لا يجوز الاستثناء إلا مُتصلاً باليمين !!

فقال أبو حنيفة : يا أمير المؤمنين ؛ إنَّ الرَّبيع يزعمُ أنَّه ليس لك في عُنق جندك بيعة .

قال : وكيف ؟ قال : يحلفون لك ثمَّ يرجعون إلى منازلهم فيستثنون ، فتبطُل أيمانُهم !!

فضحك المنصور ؛ وقال : يا ربيع ؛ لا تتعرَّض لأبي حنيفة .

فلمَّا خرج أبو حنيفة قال له الربيع : أردتَ أن تشيط بدمي ؟ فقال : لا ؛ ولكنك أردتَ أن تشيط بدمي فخلَّصتُكَ وخلَّصتُ نفسي[١] .

* * *

لا أصلح للقضاء

دعا أبو جعفر المنصور أبا حنيفة إلى القضاء ، فأبى عليه فحبَسَهُ ، ثمَّ دعا به ؛ فقال : أترغَبُ عمّا نحن فيه ؟! فقال أبو حنيفة : أصلحَ اللهُ أميرَ المؤمنين ؛ لا أَصلحُ للقضاء ، فقال له : كذبتَ .

ثم عرِضَ عليه الثَّانية ؛ فقال أبو حنيفة : قد حكم عليَّ أميرُ المؤمنين أنّي لا أَصلحُ للقضاء، لأنَّه نسبني إلى الكذب، فإنْ كنتُ كذَّاباً؛ فلا أَصلحُ للقضاء، وإنْ كنتُ صادقاً فقد أخبرتُ أميرَ المؤمنين أنّي لا أَصلحُ ! فردَّه في الحبس .

وعن يحيى بن عبد الحميد ؛ عن أبيه قال : كانَ أبو حنيفةَ كلَّ يوم ؛ أو

---

(١) ابن خلكان في ترجمة أبي حنيفة .

يَومين من الأيام يُضرب ليَدخلَ في القضاء فيأبى ، ولقد بَكَى في بعضِ الأيام ، فلمَّا أُطلِقَ قال لي : كانَ غمُّ والدتي أَشدَّ عليَّ من الضَّربِ .

* * *

نستعد للبلاء

حُكي أنَّ قتادة رحمه الله تعالى ـ صاحب التفسير ـ قَدِم الكوفة ؛ وجلس للناس ، وقال : سلوني عن الفقه ، فقام الإمام أبو حنيفة رحمه الله ؛ وقال : ما تقول في رجل غاب عن امرأته فنُعي إليها زوجُها ، وتزوَّجت بزوج آخر وولدت له أولاداً ، ثمَّ جاء الزوج الأوَّل ، فقال لها : يا زانية ؛ تزوّجتِ . . وأنا زوجُك !! وقال الآخر : يا زانية ؛ تزوجت ولك زوج !! هل يجب الحدُّ ؟ ولمن تكون الأولاد !؟ فبقي متفكِّراً .

ثمَّ قال : هل وقعت هذه المسألة ؟ فقال أبو حنيفة رحمه الله : لا ؛ ولكن نستعدُّ للبلاء قبلَ نزوله .

فقال قتادة رحمه الله : لا أجلس في الكوفة ما دام هذا الغلام فيها ، فما علمت أنَّ أحداً يسألني هذه المسألة .

* * *

إنما أرزق بقدر علمي

في « روح البيان » عند قوله تعالى ﴿ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾[1] قال :

سُئل أبو يوسف القاضي عن مسألة ؛ فقال : لا أدري . فقالوا : تُرزق من بيت المال كلَّ يوم كذا وكذا ، ثمَّ تقول (لا أدري) !! فقال : إنَّما أرزق بقدْرِ علمي ، ولو أُعطيتُ بقدْرِ جَهْلي لم يسَعْني مالُ الدنيا .

* * *

---

(١) الآية : ٣٣ ؛ من سورة : البقرة .

إنما علوت بقدر علمي

وحُكي أنَّ عالماً سُئل عن مسألة ، وهو فوق المِنْبر ؛ فقال : لا أدري[1] . فقيل له : ليس المنبرُ موضعَ الجُهَّال . فقال : إنَّما علوتُ بقدْرِ علمي ، ولو علوتُ بقَدْر جهلي لبلغتُ السماء .

* * *

عبد أمير المؤمنين

حُكي عن أبي يوسف رحمه الله أنَّه أُشهد عنده أميرٌ من عظماء جيش أمير المؤمنين هارون الرشيد ، وكانَ من أقربائه ؛ فلم يقبلْ شهادتَهُ !! فشكا إلى هارون ، فقال هارون : لِمَ رددتَ شهادتَهُ ؟ قال : لأنّي سمعتُهُ يوماً بين يديك يقول : أنا عبدُ أميرِ المؤمنين ، فإنْ كان صادقاً فلا شهادةَ للعبد ، وإنْ كان كاذباً فلا شهادة للكاذب .

* * *

الفتوى بالعلم

في « روح البيان » تحت قوله تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ

---

(١) وفي الخبر : « الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ : كِتَابٌ نَاطِقٌ وسُنَّةٌ قَائِمَةٌ ، وَ(لا أدْرِي) » .

قال الشعبيُّ : « لا أدري » نصف العلم ، ومَن سكت حيث لا يدري لله تعالى فليس بأقل أجراً ممَّن نطق ، لأنَّ الاعتراف بالجهل أشدُّ على النفس ، فهكذا كانت عادةُ الصحابة والسَّلَف رضي الله عنهم .

كان ابن عمر إذا سئل عن الفتيا قال : اذهب إلى هذا الأمير الذي تقلَّد أمور الناس فضعها في عنقه .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : إنَّ الذي يفتي الناس في كلِّ ما يستفتونه لمجنون .

وقال : جُنَّة العالم (لا أدري) فإن أخطأها ، فقد أصيبت مقاتله .

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله : ليس شيء أشدَّ على الشيطان من عالم يتكلَّم بعلم ويسكت بعلم . . يقول : انظروا إلى هذا سكوته أشدُّ عليَّ من كلامه . (من إحياء علوم الدين للإمام الغزالي) .

تَقۡوِيمٖ﴾[1] عن يحيى بن أكثم القاضي أنّه فسَّر التقويم بحُسنِ الصُّورة ، فإنّه حُكيَ أنَّ ملك زمانه خلا بزوجته في ليلةٍ مُقمرةٍ ، فقال لها : إن لم تَكونْي أحسنَ من القمر فأنتِ كذا[2] فأفتى الكلُّ بالحنث إلاّ يحيى بن أكثم ، قال : لا يَحنثُ ، فقالوا : خالفتَ شيوخَك ، فقال : الفَتوى بالعلمِ . . ولقد أَفتى من هو أَعلمُ منّا وهو الله تعالى ، قال : ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾[3] فالإنسان أحسنُ الأشياءِ ولا شيءَ أحسن منه !! .

* * *

قول قاطن وعمل ظاعن

لقي رجلٌ يحيى بن الأكثم وهو يومئذٍ على القضاء ؛ فقال :

أصلحَ اللهُ القاضي ، كم آكلُ ؟ قال : فوق الجوع ، ودُون الشِّبَع .

فقال : فكم أضحكُ ؟ قال : حتَّى يُسفرَ وجهُك ، ولا يعلو صوتك .

قال : فكم أبكي ؟ قال : حتى لا تملَّ من البُكاء من خشية الله تعالى ، قال : فكم أخفي عملي ؟ قال : ما استطعتَ .

قال : فكم أُظهرُ منه ؟ قال : مِقدارُ ما يَقتدي بك البَرُّ الخَيِّر ، ويؤمَن عليك قول الناس ، فقال الرجل : سُبحان الله ، قولُ قاطنٍ ، وعملُ ظاعنٍ .

* * *

علامة ما قلتُ فيك بيّنة

ذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة في « أخبار الحكماء » أنَّ الحجَّاج وجد في رأسه صُداعاً ، فبعث إلى تياذوق الطبيب وأحضره ؛ فقال : اغسل رِجْلَيْكَ بماءٍ حارٍّ ، وادهنهُما . . وخَصِيٌّ للحجَّاج قائمٌ على رأسه ؛ فقال : والله ما رأيتُ

---

(١) الآية : ٤ ؛ من سورة : التين .

(٢) طالق .

(٣) الآية : ٤ ؛ من سورة : التين .

طبيباً أقلَّ معرفةً بالطبِّ منكَ !! شكا الأميرُ الصُّداعَ في رأسه فتصفُ له دواءً في رجليه !

فقال له : أما إنَّ علامةَ ما قلتُ فيكَ بيِّنَة .

قال الخَصيُّ : وما هي ؟ قال : نُزِعَتْ خصيتاك فذهب شعر لحيتك .

فضحك الحجَّاج ومَنْ حضر .

* * *

عزيمة مثلك

ومن أخباره مع الحجَّاج أنَّه دخل عليه يوماً ؛ فقال له الحجَّاج : أيُّ شيء دواءُ أكل الطين ؟ فقال : عزيمَةُ مِثلكَ أيُّها الأمير .

فرمى الحجَّاج بالطين من يده، ولم يَعُدْ إليه أبداً .

* * *

لم خلق الله الذُّباب ؟

حُكِي أنْ خطَبَ المأمون ؛ فوقَعَ ذبابٌ على عينه فطرده ، فعاد مِراراً حتَّى قطع عليه الخطبة ، فلمَّا صلَّى أحضر أبا هُذَيل شيخَ البصرتين في الاعتزال ؛ فقال له : لِمَ خلقَ الله الذُّباب ؟ قال : ليُذِلَّ به الجبابرة .

قال : صدقت . وأجازه بمال .

كذا في « روضة الأخبار » كما في « روح البيان » في سورة البقرة تحت قوله تعالى ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[1] .

* * *

---

(١) الآية : ٢٦ ؛ من سورة : البقرة .

العيب يقع على الصانع

في كتاب « الحَيْدَة » للإمام عبد العزيز يحيى الكناني المتوفى سنة : ٢٤٠ هـ ذكر في أثناء مناظرته أمام المأمون مع بِشْرٍ المريسي أنَّه سمع رجلاً ؛ يقول : يا أمير المؤمنين ؛ يكفيكَ من هذا قبحُ وجهه ، لا والله ما رأيتُ خَلْقاً لله قطُّ أقبحَ وجهاً منه .

وكان المأمون يؤانسه بكلام يُخَفِّفُ عنه ممَّا لاقاه من تهيُّبِه وخَوْفِه ورِعْدَته ووحدته بين من يريدون إيقاعه بالمناظرة ليقتله .

وممَّا قاله المأمون لبعض جلسائه، وقد وقعَ نظرُه على انتفاخ نقشٍ جصٍّ في الغرفة فقال : ما هذا ؟ قال مَن يخاطبه الخليفة : قطع الله يدَيْ صانعه ، فإنَّه قد استحقَّ العقوبة .

وقد طالت المناظرة بينهما بحضرة المأمون ، وكان ممَّا قاله له : يا أمير المؤمنين ؛ مَنْ بَلَغَكَ أنَّه كان أجملَ البشرِ من بني آدم عليه السلام ؟ فقال : يوسف عليه السلام .

فقال : صدقت ؛ فو الله ما أُعْطِيَ على حُسنِ وجهه حياتَيْن ، ولقد سُجِن وضُيِّقَ عليه من أجل حُسْنِ وجهه بعد أن وُقِف على براءته بالشاهد الذي أنطقه الله بتصديقه ؛ وبعد إقرار امرأة العزيز أنَّها هي التي راودَتْهُ عن نفسه فاستعصم ، فحُبِسَ بعد ذلك كلِّه لحُسْنِ وجهه ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾[1] .

فدلَّ على أنَّه حُبِسَ بغيرِ ذنب ليُغَيِّبوهُ عنها وعن غيرها ، وما أُخرِجَ إلاَّ بعد تعبيره الرُّؤيا ووقوفهم على علمه ومعرفته إلى آخر ما قصَّ الله من سيرته . فسأله المأمون : أيَّ شيء أردتَ بهذا الكلام ؟ قال : ما سمعتَهُ من تقبيح وجهي ، فما يضرُّني مع ما رزقني الله تعالى به من فهم كلامه والعمل بسُنَّةِ

---

(١) الآية : ٣٥ ؛ من سورة : يوسف عليه الصلاة والسلام .

نبيِّه !! . وقد رأيتُكَ تنظر إلى النَّقْشِ وانتفاخه ، وسمعتُ مَن خاطبك يدعو على صانعه ولا يَعيبُ الجَصَّ !! .

قال المأمون : لأنَّ العَيْبَ يقعُ على الصَّانع لا على المصنوع .

قال : صدقت يا أمير المؤمنين ؛ فهذا يَعيبُ ربِّي لِمَ خلَقَني قبيحاً .

فتبسَّمَ المأمون حتَّى ظهرت ثناياه .

وقد اختصرتُ القصَّةَ بما أمكن ، وإطالتُها هناك .

❊ ❊ ❊

أحوال العبد

شكا ابنُ عطاء الله لشيخه رضي الله عنهما ما يَجدُهُ من هموم وأحزان !!

فقال له شيخُهُ : أَحوالُ العبدِ أربعةٌ لا خامسَ لها : النِّعمةُ ، والبليَّةُ ، والطّاعة ، والمَعصية .

فإنْ كنتَ بالنَّعمةِ فمقتضى الحقِّ منك الشُّكر ، وإنْ كنتَ بالبليَّةِ فمقتضى الحقِّ منك الصَّبرُ ، وإنْ كنتَ بالطَّاعةِ فمقتضى الحقِّ منك شهودُ المِنَّةِ عليك ، وإنْ كنتَ بالمعصية فمقتضى الحقِّ منك وجودُ الاستغفار .

قال : فقمتُ من عنده وكأنَّما كانتْ تلك الهمومُ والأحزانُ ثوباً نزعته .

قال : ثمَّ سألني بعد ذلك بمدَّةٍ : كيفَ حالُكَ ؟ فقلت : أُفتّشُ عن الهمّ فلا أجده !!

فقال : الزم ؛ فوالله إنْ لزمتَ لتكوننَّ مفتياً في المَذهبين ، يُريد مذهَب أهلِ الشَّريعةِ أهلِ العلمِ الظاهر ، ومذَهَب أهلِ الحقيقةِ أهلِ العلمِ الباطن .

❊ ❊ ❊

مَنِ الشَّهيدُ ؟

حكى الشيخ العلاَّمة ابن الشِّحنة : أنَّ تيمورلنك كان يتعنَّت على العلماء

في الأسئلة ويجعل ذلك سبباً لقتلهم وتعذيبهم ! فلمَّا دخل حلب فتحها عنوة وقتل وأسر كثيراً من المسلمين ، وصعد نوَّاب المملكة وسائر الخواصِّ إلى القلعة وطلبَ علماءَها وقضاتها ؛ فحضرنا إليه وأَوقَفَنا ساعة بين يديه ، ثمَّ أمرنا بالجلوس ؛ فقال لمقدَّم أهل العلم عنده ؛ وهو المولى عبد الجبار ابن العلاَّمة نعمان الدين الحنفي : قل لهم : إنِّي سائلُهم عن مسألة سألت عنها علماء سمرقند وبخارى وهراة وسائر البلاد التي افتتحتها ولم يفصحوا عن الجواب ، فلا تكونوا مثلهم ، ولا يجاوبني إلاَّ أعلمُكم وأفضلُكم ، وليعرفْ ما يتكلَّم به !!

فقال لي عبد الجبَّار : سلطانُنا يقول : بالأمس قتل منا ومنكم فمَن الشهيد قتيلنا ؛ أم قتيلكم ؟ ففتح الله عليَّ بجواب حسن بديع ؛ فقلت : جاء أعرابيٌّ إلى النَّبيِّ عليه السلام ؛ فقال : « الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله » . ومن قتل منا ومنكم لإعلاء كلمة الله ؛ فهو الشهيد .

فقال تيمورلنك : أحسنت .

وقال عبد الجبار : ما أحسن ما قلتَ ! فتكرَّرت الأسئلة والأجوبة وانفتح باب المؤانسة . وتمامه في « روح البيان »[1] .

* * *

لا تفتح الخِزانة ولا تكسر القَصْعة

ذكر ابن عابدين في أوَّل حاشية « الدُّرِّ » **فائدةً** : من لطائف المفتي أبي السعود ، أنَّه سُئِلَ عن الخِزانة والقَصْعَة أيُقرأانِ بالفتح أو بالكسر ؟

فأجابه بقوله : لا تفتَحِ الخِزانةَ ولا تكسرِ القَصْعَة .

* * *

---

(١) تحت قوله تعالى : ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [١٢/ يوسف] .

أَمِنَ الزُّهْد ألاّ نراكم

كان أحدُ الملوك سفَّاكاً للدماء ، وكان بزمنه رجلٌ عابدٌ زاهدٌ ، لا يكترثُ بأحدٍ من أهل الدنيا !! فقيل له : لو كلَّمْتَ المَلِكَ في هذه المظالم !! قال : نعم .

فذهبَ إليه ؛ قال له الأمير : ما جاءَ بكَ إليَّ وأنتَ زاهدٌ عابد ؛ وكنتُ أودُّ زيارتَكَ ؟!

أجابه العالِمُ : لقد ذهَبَ مَنْ هو خيرٌ منِّي : موسى وهارون إلى مَنْ هو شرٌّ منكَ : وهو فِرْعون ، أفيكون من الزُّهْدِ أن لا نراكم ؟! لا حول ولا قوَّة إلاّ بالله .

* * *

ما مالك ؟

ذكر ابنُ حجر العسقلانيُّ في كتابه « الإصابة » في ترجمة : يزيد بن الأسود رضي الله عنه ما نصُّه : قال المبرّد : كان عبد الله بن يزيد في الثقات من عقلاء الرجال ، قال له عبد الملك بن مروان : ما مالُك ؟ قال : شيئان لا عيلة عليَّ معهما : الرِّضا عن الله تعالى ، والغنى عن الناس .

* * *

تركته يأمر وينهي

قيل : مرض زياد فدخل عليه شريحٌ القاضي يعودُه ، فلمَّا خرج بعث إليه مَسْروقُ بنُ الأجْدَع يسأله : كيف الأمير ؟ فقال : تركتُ الأمير يأمرُ وينهَى .

فقال مسروق : إنَّ شُريحاً صاحبُ تعريض فاسألوه . قال : تركتُه يأمرُ بالوصيّة وينهى عن البُكاء .

* * *

اللهُ أعدل من أن يولّي زِنْديقاً

وذكر ابن خلدون في مقتل الوليد بن يزيد وترجمته قال : قال شبيب بن شبّة : كنّا جلوساً عند المهدي ، فذُكِر الوليد ، فقال المهدي : كان زِنْديقاً . فقال ابنُ عُلاَثَة الفقيه : يا أمير المؤمنين ؛ إنَّ الله عزَّ وجلَّ أعدلُ من أن يولّي خلافة النبوّة وأَمْرَ الأمَّة زِنْديقاً ، لقد أخبرَني عنه مَن كان يشهَدُه في ملاعبه وشربه ، ويراه في طهارته وصلاته ، فكان إذا حضرتِ الصلاة يطرحُ الثياب التي عليه المُصَبّية المصبَّغة ، ثم يتوضأ فيُحسِن الوضوء ، ويؤتى بثياب بيض نظيفة ، فيلبَسُها ويشتغلُ بربّه ، أترى هذا فِعْلَ من لا يؤمن بالله ؟ .

فقال المهدي : باركَ الله عليكَ يا ابن عُلاثة ، وإنما كان الرجلُ محسوداً في خِلالِه ، ومُزاحَماً بكبار عشيرة بيته من بني عمومته ، مع لهوٍ كان يُصاحبُه أوْجَدَ لهم به السبيلَ على نفسه ، من خِلالِه قَرْضُ الشعر الوثيق ، ونَظْمُ الكلامِ البليغ .

ثم ذكر من بليغ كلامه يُعزّي هشاماً في أخيه مَسْلَمة :

إنَّ عُقْبى من بقي لحوقُ من مضى ، وقد أقفر بعد مَسْلَمة الصيدُ لمن رمى ، واختلَّ الثُّغْر فهوى ، وعلى أثر مَن سلف يمضي مَن خلف ، فتزوَّدوا فإنَّ خير الزاد التقوى . فأعرض هشام وسكت القوم .

قال في « حياة الحيوان » : وكان أكملَ بني أمية أدَباً وفصاحةً وظَرْفاً ، وأعرفَهم بالنحو واللُّغة والحديث ، وكان جواداً مِفْضالاً ، ثم ثُلب ثلبة بكلِّ كذبة يجلُّ عنها أسافلُ الناس .

وأقام في الخلافة سنةً ، ثم قُتِل في جُمادى الأولى سنة ١٢٦ هـ ، واضطربت على بني أمية أمورُهم ، ولم تقم لهم بعده قائمة[1] .

---

(١) وقيل للوليد بن يزيد بن عبد الملك لَمَّا غلبت عليه لذَّاته ، وملكته شهواته : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ الرعيّة ضاعت بتضييعك أَمْرَها ، وتركك ما يجب عليك من مصْلحتها . فقال : ما الذي=

إنْ لم تكرمه انصرف

سأل بعضُ الأمراء أبا حيَّان المُفسِّر عن صرف اسمه فقال : إن لم تكرمه انصرَفَ ، وإن أكرمته فلا . يُريد الأخذ من الحَيْن ـ بفتح الحاء ؛ وهو الهلاك ـ أو من الحياة ، فإنِ اشتُقَّ من الأول كان مصروفاً ؛ لأن النون فيه أصلية ، وإنِ اشتُقَّ من الثاني كان ممنوعاً ؛ لزيادة الألف والنون فيه .

وهذا معنى قوله : وإن أكرمتَهُ فلا ، فإنَّ جعلَهُ من الحياة إكرامٌ له .

توفي سنة ٧٤٥ هـ وهو غير أبي حيَّان التوحيدي المتوفَّى سنة ٣٨٠ هـ تقريباً .

قلت : هو بعكس حسَّان ، فإنَّه إن أكرمتَهُ صرفتَهُ ، وإن أهْنتَهُ مَنعْتَهُ . يعني إن كان من الحُسْنِ انصرَفَ ، وإن كان من الحَسِّ ـ وهو الاستئصال ـ منعتَهُ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾[1] .

* * *

خلط وحجز

قال أبو العباس بن العريف : كنتُ أقرأ القرآنَ على بعض مشايخي ، وكان كثيراً ما يتفقَّدني ، فقرأتُ يوماً قولَه عزّ وجل : ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ

= أَغفلْناه من واجب حقّها ، وأسقطناه من مفروض ذمامها ؟ أَمَا كَرمُنا دائم ، ومعروفُنا شامل ، وسلطانُنا قائم ؟ وإنما لنا ما نحن فيه ، بُسِط لنا في النعمة ، ومُكِّن لَنا في المكرمة ، وأذلّت لنا الأمة ، ومُدَّ لنا في الحُرمة ، فإن تركتُ ما به وسع ، وامتنعت عمّا به أنعم ، كنت أنا المزيل لنعمتي بما لا ينال الرعيّة ضرّه ، ولا يؤودُهم ثِقْلُه . يا حاجب ، لا تأْذَنْ لأحد في الكلام .

وقال عمرو بن عتبة للوليد بن يزيد ، وكان خاصّاً به : يا أمير المؤمنين ، أنطقتني بالأُنْس ، وأنا أَسكت بالهَيْبَة ، وأَراك تأمرنا بأَشياء أنا أخافُها عليك ، أفأَسكت مطيعاً أم أَقُول مشفقاً ؟ قال : كلٌّ مقبولٌ منك ، معلوم فيه ثقتك ، ولله فينا عِلْمُ غيب نحن صائرون إليه ! وتعود فتقول ! فقتل الوليد بعد ذلك بشهر .

(١) الآية : ١٥٢ ؛ من سورة : آل عمران .

لَا يَبْغِيَانِ ﴾[1] فقال لي : يا أحمد ، أيُّ شيءٍ (مَرَج) في اللغة ؟ فقلت : خَلَطَ . فقال : والبَرْزَخ ؟ قلتُ : الحاجز . فقال : خلط حجز كيف هذا ؟ فأطرقتُ ثم قلت : يا سيدي ، خلطهما في رأي العين ، وحجزهما في عين القدرة .

فاستحسن الشيخ ذلك مني .

* * *

من الأفضل ؟

في كتاب « المِخْلاة » لبهاء الدين العاملي صاحب « الكشكول » قال :

حكاية ما اتفق لابن الجوزي رحمه الله ، وذلك أنَّه وقع النزاعُ بين أهل السُّنَّة والشيعة ببغداد في المفاضلة بين أبي بكر وعليٍّ رضي الله عنهما ، فرضِيَ الكُلُّ بما يُجيبُه الشيخ أبو الفرج . وأقاموا شخصاً يسأله عن ذلك ، وهو على الكرسي في مجلس وَعْظِه ؛ فقال : أفضلُهما مَن كانتِ ابنتُه تحته . ثمَّ نزلَ في الحال لئلا يسأله ويعاوِد في ذلك !!

فقال أهل السُّنَّة : هو أبو بكر ، لأنَّ ابنته عائشة كانت تحتَ النَّبيِّ ﷺ .

وقالت الشيعة : هو عليٌّ ، لأنَّ فاطمة بنتَ النَّبيِّ ﷺ كانتْ تحتَه .

وهذا من لطيف الأجوبة ، وفي غاية الحُسْنِ فضلاً عن البداهة .

* * *

أيُّ شريعة حَكَمتْ

غضب بعضُ الخلفاء على شخص فانهزم ، فلمَّا انهزم أمر بأخذ جميع ما كان له من الأموال ، وكان له أخٌ فأمر أيضاً أن يؤخذ جميعُ ماله ، فحضر

---

(١) الآية : ١٩ ـ ٢٠ ؛ من سورة : الرحمن .

ذلك الأخ عند أرباب الدولة وسألهم الشفاعة ، فاعتذروا له في ذلك ، فجاء إلى العلاَّمة ابن الجوزيِّ وسأله عن ذلك فقال له : إذا صعدتُ المنبر فاحضر عندي ، وقِفْ بإزاء المنبر . قال : فلمَّا صعد العلامة ابن الجوزيِّ على المنبر ، حضر ذلك الرجل والتصق بالمنبر، والخليفةُ قاعد تجاه المنبر !! فألقى ابن الجوزي رقعة من يده إلى الخليفة وفيها هذه الأبيات ، وأنشد أيضاً وهو على المنبر :

قِفِي ثُمَّ أَخْبِرِيْنَا يَا سُعَادُ ... بِذَنْبِ ٱلطَّرْفِ لِمْ سُلِبَ ٱلفُؤَادُ ؟

وَأَيُّ شَرِيْعَةٍ حَكَمَتْ إِذَا مَا ... جَنَىٰ زَيْدٌ بِهِ عَمْرٌو يُقَادُ !

فحين قرأ الخليفة الرقعةَ ؛ ورأى ذلك الرجل وهو ملتصقٌ بالمنبر عرفه ، وأمر بأن يردَّ عليه جميع ماله ورجع الرجل مسروراً بحقِّه .

* * *

بعت به ديني

ذكر ابنُ خَلِّكان في ترجمة أبي عبد الله شَريك بن عبد الله ابن أبي شَريك النَّخَعي : أنَّه تولَّى القضاء بالكوفة أيَّام المهدي وكان عالِماً فقيهاً فَهِماً ذكيّاً ، ولقد كتب له برزقه على الصَّيْرَفي ، فضايقه في النقد ؛ فقال له الصَّيْرَفي : إنَّكَ لم تبع به بَزّاً .

فقال له شريك : بل والله ؛ بعتُ به أكثرَ من البَزِّ ! بعتُ به ديني .

وقال له رجلٌ يوماً : ما تقول فيمن أرادَ أن يقنُتَ في الصُّبح قبل الركوع فقنت بعده ؟ فقال : هذا رجلٌ أرادَ أن يُخطِىء فأصاب .

* * *

حلّ معضلة بمعضلة أشد

في « المنتقى من أخبار الأصمعي » للإمام ضياء الدين المقدسي الذي نشره

العلامة الأديب عزُّ الدين التنوخيُّ رحمه الله قال :

حدَّثَنا أبو عثمان الأُشناندانِي ؛ قال : كنَّا يوماً في حَلْقة الأصمعي إذْ أقبلَ أعرابيٌّ ؛ فقال : أين عميدُكم ؟ فأشَرْنا إلى الأصمعي .

فقال : ما معنى قول الشاعر :

لاَ مَالَ إلاَّ ٱلعِطَافُ تُؤْزِرُهُ ... أُمُّ ثَلاثِينَ وَٱبْنَةُ ٱلجَبَلِ

لاَ يَرْتَقِي ٱلنَّزُّ فِي ذلاذِلِهِ ... وَلاَ يُعَدِّي نَعْلَيْهِ عَنْ بَلَلِ

قال : فضحك الأصمعيُّ ؛ وقال :

عُصْرَتُهُ نُطْفَةٌ تَضَمَّنَهَا ... لَصْبٌ تَلَقَّىٰ مَوَاضِعَ ٱلسَّيَلِ

أَوْ وَجْبَةٌ مِنْ جَنَاةِ أَشْكَلَةٍ ... إِنْ لَمْ يُرُعْهَا بِٱلقَوْسِ لَمْ تُنَلِ

قال : فأدبَرَ الأعرابيُّ ، وهو يقول : تالله ؛ ما رأيتُ كاليوم عُضْلَةً !

ثمَّ أنشدَنا الأصمعيُّ القصيدةَ لرجل من بني عَمْرو بن كلاب .

وفي « المزهر » للسيوطي :

قال أبو بكر : هذا يصفُ رجلاً خائفاً لجأَ إلى جبلٍ ؛ وليس معه إلا قوسُه وسيفُه !! والسَّيفُ هو العطاف ، وأمّ ثلاثين يعني : كنانة فيها ثلاثون سهماً ، وابنة الجبل : القوس ؛ لأنَّها من نبعٍ ، والنبع لا ينبت إلاَّ في الجبال .

ومعنى البيت الثاني : أنَّه في جبلٍ لا نزَّفيه يتعلَّقُ بأذياله ، ولا بَللَ يصرفُ نعليه عنه .

والعصرة : الملجأ ، والنّطفة : الماء ، واللصب : كالشق يكون في الجبل ، وتلقّى : قبل ، والسيل : المطر ، والوَجْبة : الأَكلةُ في اليوم ، والجناة : ما اجتنى من الثمر . والأشكلة : سِدْرٌ جبلي لا يطول .

* * *

استغنيت عنك بمن أغناك

قيل : إنَّ بعضَ العلماء[1] دخلَ على بعضِ الخلفاء ، فقال له الخليفة : لِمَ لا تَجيئني ، وتُكثر عندي المقام ؟! قال : إنّي أَخافُ إنْ قرَّبتني فتنتني ، وإنْ أَقصيتني أَخزيتني ، وليس في يدكَ ما أُريدُه ، ولا في يدي ما أَخافُكَ عليه ، وإنَّما أتاكَ مَن أَتاك ليستغنيَ بكَ عمَّن سواك ، وقد استغنيتُ عنكَ بمَنْ أَغناك .

* * *

العدل يكفي

حُكي أنَّ ذا القرنين سأل أَرسطاليس : أيُّ شيءٍ أفضل للملوك : الشجاعةُ أم العدل ؟

فقال : إذا عدَلَ السلطان لم يحتَجْ إلى الشجاعة .

* * *

(١) هو أبو حنيفة مع أبي جعفر المنصور .

ب ـ حلّ المسائل الفقهية

مسائل أجاب عنها علي كرم الله وجهه بداهة

المسألة المنبرية :

أغربُ الذّكاء في العلم ما رُوي من علم باب مدينة العلم عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه وهي المسألة المنبرية .

فقد رُوي أنَّه سُئل وهو على المنبر بالكوفة ، وكان صدرُ الخطبة التي سئل فيها :

الحمد لله الذي يحكم بالحقِّ قطعاً ، ويَجزي كلَّ نفسٍ بما تسعى ، وإليه المعادُ والرُّجْعى .

فسُئِلَ حينئذٍ ؛ فقال ارتجالاً : صار ثُمْنُ الزوجة تسعاً . ومضى في خطبته ، ولذلك تُسمَّىٰ بـ « الحَيْدَرِيَّة » ، لأنَّ اسم سيِّدنا عليٍّ رضي الله عنه « حَيْدَرَه »[1] .

أمَّا المسألة فهي : زوجةٌ وأبوان وبنتان ، حيث تؤول المسألة بثُمْنِها إلى سبعة وعشرين ، للبنتين الثلثان ، ولكلِّ واحدٍ من الأبوين السُّدُس ، وللزوجة الثُّمُن . ثلاثة صار تسعاً ، حيث صار من سبعة وعشرين .

* * *

ثلاثة قتلهم الأسد :

واستُفتِي عليٌّ رضي الله عنه في ثلاثة قَتَلهم الأسدُ في زُبْيَتِهِ ، حيث اجتمع الناس لصيده ، فتدافعوا عليه ، فدفعوا له رجلاً فتعلَّق بآخر ، والأخر تعلَّق بآخر ، فقَضى عليٌّ للأول بربع ديَته ، وللثاني بنصفها ، وللثالث الدِّيَة كلَّها ؛

---

(١) ذكره الخضري على الشنشوري في باب التصحيح .

والتوجيه ظاهر ، وهو مَبنيٌّ على أصلَيْن :

أحدهما : لا يأخذ أحدٌ أكثرَ من دِيَةٍ واحدة .

والثاني : إنَّما تُؤخَذُ الدِّيَةُ كاملةً من المباشر ، ونصفُها من ذي الواسطة ، وربُعها من واسطةِ الواسطة ؛ فالأوَّل قتله القومُ مباشرةً ، فيأخذُ دِيَتَهُ كاملة ، ويُعطِي نصفها لمن فوقَه ، وربعها للأعلى فيبقىٰ له الربُع . والثاني بواسطة ؛ فيأخذُ نصفَها من القوم ، ويأخذ نصفاً ممَّن جذَبَه ؛ وهو الأسفل كمل له دِيَةٌ تامَّةٌ أَعطى نصفها لمن جذَبَه وبقي له النصف فقط ؛ والثالث قتله القوم بواسطتين فيأخذ ربعها من القوم ، ونصفَها ممَّن جذبه وربعها من الأوَّل .

* * *

وفي كتاب « الأمثال » للميداني قال المؤرِّخ : حدَّثَني سعيد بن سماك بن حرب ؛ عن أبيه المعتمر ؛ قال : أُتِي مُعاذُ بن جبل بثلاثة نفر قتلهم أسد في زُبْيَة ؛ فلم يدرِ كيف يُفتيهم !! فسأل عليّاً رضي الله عنه ، وهو محتبٍ بفناء الكعبة ؛ فقال : قُصُّوا عليَّ خبركم .

قالوا : صدنا أسداً في زُبْيَة فاجتمعنا عليه فتدافع الناس عليها ، فرمَوْا برجل فيها ، فتعلَّق الرجلُ بآخر ، وتعلَّق الآخر بآخر ، فهوَوْا فيها ثلاثتُهم . فقضىٰ فيها عليٌّ رضي الله عنه أنَّ للأوَّل ربع الديَة ، وللثاني النِّصف ، وللثالث الدِّيَةُ كلُّها ، فأُخبِرَ النَّبيُّ ﷺ بقضائه فيهم ؛ فقال : « لَقَدْ أَرْشَدَكَ ٱللهُ لِلحَقِّ » . اهـ .

* * *

قال سيِّدي محمد أبو عبد الله بن يوسف السَّنُوسي في شرح عقيدته الكبرى[1] : ولقد أدرك عليٌّ رضي الله عنه زمنَ المبتدعة وأفحمهم بما لم

---

(١) قلت : أبو عبد الله محمد ابن الولي الصالح يوسف السنوسي المالكي المغربي التِّلِمْسَاني منسوب لبني سَنُوس ؛ قبيلةٍ معروفةٍ بالمغرب ، ولا أصل لقول من نسبه إلى سنوسة ، وهي=

يقدروا أن يُجيبوا معه جواباً .

وحُكِي عنه رضي الله عنه أنَّه قال : لو أَذِن لي رسول الله ﷺ أن أضع على الفاتحة وِقْرَ سبعين بعيراً لفعلت .

وقد نُقِلَ عنه رضي الله عنه في كلِّ علم العجبُ العُجاب ، حتَّى افتتنَتْ به طوائفُ من المبتدعة ، وادَّعى بعضُهم فيه ما ادَّعته النصارى في عيسى عليه السلام !

ومِن عجيب أمره رضي الله عنه أنَّ معضلات المسائل التي لا يُتوصَّلُ إلى جوابها إلا بالأنظار المتطاولة ، إذا سئل هو عنها أجاب بديهةً من غير تأمُّل ، ولا تعظيم لشأنها ، كأنَّها عنده سؤالٌ من الأمور الضروريَّة ؛ ككون الاثنين مثلاً أكثر من الواحد .

وقضاياه في ذلك مشهورة مسطورة في الكتب ، وتأمَّل جوابه رضي الله عنه على المنبر في الفريضة المنبرية ، وهي : زوجة وابنتان وأبوان ، وقوله على البديهة بلا تأمُّل ولا تأخُّر في ذلك الموقف ؛ وهو يقول : الحمد لله الذي يحكم بالحق قَطْعا ، ويجزي كلَّ نفسٍ بما تسعى ، وله المآب والرُّجْعى . ثم قال : والزوجة صار ثُمْنُها تسعاً ، ثم اعْرض على عقول أكثر الناس ذلك ، وانظر أين هم من ذلك ؟!



= بلدته التي نشأ بها لعدم وجود بلدٍ بالمغرب تسمَّى بذلك .

وهو حَسَنيّ نسبةً إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما من جهة أُمِّ أبيه .

توفي يوم الأحد بعد عصر الثامن عشر من جمادى الآخرة سنة خمسٍ وتسعين وثمان مئة ، وعمره ثلاث وستون سنة ؛ كذا في حاشية الشرقاوي على شرحه على « العقيدة الصغرى » المسماة « أمِّ البراهين » ، وله عقيدة أخرى كبرى شرَحها أيضاً .

خمسة لثلاثة

وكذا فتواهُ في رجلين لأحدهما ثلاثةُ أرغفة وللآخر خمسة هَجَم عليهما ثالث فقدَّما له ما معهما واستوعبوا ثلاثتهم ذلك أكْلاً ، فلمَّا قام عنهما جازاهما بثمانية دراهم ؛ فقال صاحب الثلاثة : هي بيننا نِصفَيْن . وقال الآخر : بل على عدد أرغفة كلٍّ واحد . فحلف الأوَّل أن لا يأخذ إلاَّ ما أعطاه صميمُ الحقِّ ؛ فرفعه إلى عليٍّ رضي الله عنه ؛ فقال : خذ ما أعطاك . فقال : إن كان صميم الحقّ ؛ فقال عليٌّ بديهة : إذاً ليس لك إلاَّ درهم واحد[1] .

أمّا توجيه المسألة أنَّه قال لهم عليٌّ رضي الله عنه : مجموعُ الأرغفة ثمانية أكَلَها ثلاثةٌ ؛ فتضرب بثلاثة تكون أربعة وعشرين ، فكلُّ واحد أكَلَ منها ثمانية أثلاث ؛ فيكون قد أخذ من صاحب الأرغفة الثلاثة ثُلُثَ واحد ، ويكون قد أخذ من صاحب الخمسة سبعةَ أثلاثٍ ؛ فله سبعةُ دراهم .

المسألة المأمونية

ذكر السيوطيُّ في « تاريخ الخلفاء » عن ذكاء المأمون فيما أخرجه ابنُ عساكر ؛ عن ابن عُيَيْنَة قال : جمع المأمونُ العلماء وجلس للناس ، فجاءت امرأةٌ فقالت : يا أمير المؤمنين ؛ مات أخي وخلَّف ستَّ مئة دينار ، أعطَوْني

---

(١) في كتاب « الدعوى » من « الفتاوى البزَّازيَّة » في الباب الثالث عشر في تنازع الرَّجلَيْن ما نصُّه : وفي التقاط السُّنبُلَة إذا التقطا فهو بينهما أنصافاً ، والتفاوتُ ساقطة ، لما رويَ أنَّ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه حكم في رجلين لأحدهما خمسة أرغفة ، وللآخر ثلاثة أرغفة جَلَسا للأكل ، فحضر ثالث فأكل معهما ، وأعطى لهما ثمانية دراهم عوضاً ممّا أكل ، فأعطى صاحب الخمسة خمسة دراهم ، وثلاثة دراهم لصاحب ثلاثة أرغفة ، فغضب ، واختصما إلى أمير المؤمنين ؛ فقال : اِرضَ بالمعروض . فأعرض فقال : إذن لك درهم وسبعةٌ لصاحب الخمسة ، لأنَّ كلَّ رغيف ثلاثة أثلاث ، فالثمانية أربعةٌ وعشرون ، والظاهر مساواتكم في الأكل ، أكل لك ثلثاً ، ولصاحبك سبعة أثلاث ، فيكون لك واحدٌ من الثمانية . فرضي الرجل بالصلح ؛ لا بمُرِّ الحق . كذلك التسوية في الالتقاط هو الظاهر . اهـ .

ديناراً ؛ وقالوا : هذا نصيبُك .

قال : فحَسَبَ المأمون ثمَّ كسر الفريضة ، ثمَّ قال لها : هذا نصيبُك .

فقال له العلماء : كيف علمتَ ، يا أمير المؤمنين ؟ فقال : الرجل هذا خَلَّفَ ابنتَيْن ؟ قالت : نعم . قال : فلهُنَّ الثلثان أربع مئة ، وخلَّف والدة فلها السُّدسُ مئة ، وخلَّفَ زوجة فلها الثُّمن خمسة وسبعون ، وبالله عليكِ أَلَكِ اثنا عشر أخاً ؟ قالت : نعم . قال : أصابَهُم ديناران ديناران ، وأصابَكِ دينار .

ذكر هذه القصَّة البخاري في فتاواه في الثالث عشر في تنازع الرجلَيْن : وقد رُوى أنَّه جاءَتْهُ امرأةٌ تشكو له ؛ قالت : مات أخي وخلَّفَ ستَّ مئة درهم ، ولم يعطوني إلاَّ درهماً واحداً !!

فقال لها رضي الله عنه على الفور : لعلَّ أخاكِ خلَّف من الورثة كذا وكذا !!

وفي رواية أنَّه قال لها : لعلَّ أخاكِ خلَّفَ سواكِ زوجة وأُمّاً وابنتَيْن واثني عشر أخاً ؟! فقالت : نعم . فقال : ذلك حقُّكِ ؛ فلم يظلموكِ . اهـ.

* * *

وفي آخر « شرح الملتقى » للعلائي ما نصُّه :

ومن ألطفها المسألةُ المأمونية ، وسُمِّيَت بذلك لوقوعها في خلافةِ المأمون ؛ وهو أبو العبَّاس عبد الله بن هارون الرشيد ، فإنَّه كلمَّا أراد أن يولِّيَ القضاء أحداً يسألُه عنها ، فلم يُجِبْ عنها أحدٌ حتَّى وُصِفَ له يحيى بن أكثم ، فاستحضرَهُ الخليفة ليولِّيَهُ قضاء البصرة ؛ فلمّا دخلَ عليه ـ وكان دميمَ الخِلْقَة ـ فاستحقرَهُ ، فأحسَّ يحيى بن أكثم بذلك فقال : يا أمير المؤمنين ؛ سَلْني فإنَّ المقصودَ عِلْمي لا جِسْمي ، وصوتي لا صورتي .

وكان من عادة الخلفاء أن يمتحنوا القضاة والعمال والأمراء بالفرائض ؛

فقال : ما تقولُ في أبوين وابنتَيْن لم تُقسم التركة حتَّى ماتَتْ إحدى البنتين وخلَّفَتْ مَن في المسألة ، أو زوجاً ومن في المسألة ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ؛ هل الميت الأوَّل رجل ؛ أو امرأة ؟

فأُعجِبَ المأمون من فطنته ؛ وقال : إذا عرفتَ الفرق عرفت الجواب .

فكتب له عهده وولاه على البصرة .

فإنَّه إن كان الميت الأوَّل امرأةً؛ يكون الجَدُّ فاسِداً ؛ فلا يرث .

قيل : فاستحقره مشايخ البصرة واستصغروه فامتحنوه ؛ فقالوا : كم سِنُّ القاضي ؟ فقال : سِنَّ عتَّابِ بنِ أُسَيد حين ولاّه النَّبيُّ ﷺ مكَّة . فسكتوا . اهـ.[1] .

وذكر هذه القصَّة ابنُ خِلِّكان ! وذكر عن الخطيب في « تاريخ بغداد » أنَّ يحيى بن أكثم وُلِّي قضاء البصرة وسِنُّه عشرون سنة ؛ أو نحوها ، فاستصغرَهُ أهل البصرة ؛ فقالوا : كم سِنُّ القاضي ؟ فعَلِم أنَّه قد استُصغِرَ ! فقال :

أنا أكبرُ من عتَّاب بن أُسَيد الذي وجَّه به النَّبيُّ ﷺ قاضياً على اليمن !

وأنا أكبر من كعب بن سور الذي وجَّه به عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاضياً على أهل البصرة .

فجعل جوابَهُ احتجاجاً . اهـ.

وفي حِفْظي أنَّه ذُكر في القصَّة أنَّه بسِنِّ أُسامة بن زيد حين ولاَّه رسول الله ﷺ إمْرَةَ الجيش . . وفي عسكره أبو بكر وعمر .

قلت : وفي وقعة اليرموك حين أشار خالدٌ رضي الله عنه أن يتعاوروا

---

(١) وفي « الخازن » في تفسير سورة النساء عند قوله تعالى : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ [النساء : ٧٥] قال : واستعمل عليهم عتَّاب بن أسيد . . وكان ابن ثمان عشرة سنة ، فكان ينصرُ المظلومين على الظالمين ، ويأخذ للضعيف من القوي . اهـ.

الإمارة ، فجعل الجيش يومئذٍ كراديس ، وقال : ليس من التعبية تعبيةٌ أكثر في رأي العين من الكراديس ، وكان خالد على كُرْدوس ، وأبو عبيدة على كُرْدوس ، وعبد الرحمن بن خالد على كُرْدوس وهو يومئذ ابن ثمان عشرة سنة ، وذلك في خلافة أبي بكر رضي الله عنه سنة ثلاث عشرة ؛ ذكره ابن جرير في « تاريخه » .

* * *

أخطأ القاضي

يُحكى أنَّ محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى انصرفَ يوماً من مجلسه ، فسمع امرأةً تقولُ لرجلٍ : يا ابن الزَّانيَيْنِ ، فأمرَ بها فأُخذتْ ، ورجعَ إلى مجلسه ، وأَمَرَ بها فضُربتْ حدَّينِ وهي قائمة ، فبلغَ ذلك أبا حنيفة ؛ فقال : أخطأَ القاضي في هذه الواقعة في ستَّةِ أشياء :

١ـ في رجوعه إلى مجلسه بعد قيامه منه ؛ ولا يَنبغي له أن يرجعَ بعد أن قامَ منه في الحال !

٢ـ وفي ضربه الحدَّ في المسجدِ ؛ وقد نهى رسول الله ﷺ عن إقامةِ الحدود في المَساجد !!

٣ـ وفي ضربه المرأةَ قائمةً ؛ وإنَّما تُضربُ النِّساء قاعدات كاسيات .

٤ـ وفي ضربه إيَّاها حدَّين ؛ وإنَّما يجبُ على القاذفِ إذا قذَف جماعةً بكلمةٍ واحدةٍ حدٌّ واحدٌ ؛ ولو وجب أيضاً حدَّان لا يُوالىٰ بينهما ، بل يُضرب أوَّلاً ثم يُترك حتى يَبرأ أَلمُ الضَّربِ الأوَّلِ .

٥ـ وفي إقامة الحدِّ عليها بغيرِ طالبٍ[1] .

فبلغ ذلك محمد ابن أبي ليلى فسيَّر إلى والي الكوفة ، وقال : ههنا شابٌّ

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان . وقد أغفل ابن خلكان رحمه الله الخطأ السادس وهو أنَّ المرأة كانت مختلة ؛ كما في (الخيرات الحسان في مناقب النعمان) لابن حجر الهيتمي .

يُقال له أبو حنيفة يُعارضني في أحكامي ، ويُفتي بخلافِ حكمي ، ويُشنّع عليَّ بالخطأ ، فأُريدُ أن تزجَرهُ عن ذلك فبعث إليه الوالي ، ومنعه عن الفُتيا .

فيُقال : إنَّه كان يوماً في بيته ، وعنده زوجتُهُ وابنُه حمَّاد وابنتُه !! فقالت له ابنته : إنّي صائمةٌ ، وقد خرجَ من بين أَسناني دمٌ ، وبصقتُهُ حتَّى عادَ الرِّيقُ أبيضَ لا يظهرُ عليه أَثرُ الدَّم ، فهل أُفطرُ إذا بلعتُ الآن الريق ؟! فقال لها : سَلي أخاك حمّاداً ، فإنَّ الأميرَ منَعني من الفُتيا .

وهذه الحكاية معدودة في منَاقب أبي حنيفة وحُسن تمسُّكه بامتثال إشارة الأَمر ، فإنَّ إجابته طاعةٌ حتى إنَّه أطاعَهُ في السرِّ ولم يردَّ على ابنته جواباً !!

وهذا غايةُ ما يكون من امتثال الأمر .

❊ ❊ ❊

لا أدري أيهما أوجع

سأل محمد حالَ صغره أبا حنيفة فيمن قال لآخر : والله لا أُكلِّمُكَ (ثلاث مرَّات) ، فقال أبو حنيفة : ثمَّ ماذا ؟ فتبسَّم محمَّد وقال : انظر حسناً ؛ يا شيخ . فنكس أبو حنيفة ! ثمَّ قال : حَنِثَ مرَّتَيْن . فقال محمَّد : أحسنت[1] . فقال أبو حنيفة : لا أدري أيُّ الكلمتَيْنِ أوْجَعُ لي : « حسناً » أو « أحسنت » !!

ولم يتكلَّم عليه ابنُ عابدين بشيءٍ !!

وأقول : هل يجري عليه ما لو دُيِّن في إرادة التأكيد ، فلا يقع شيءٌ إلا بكلامٍ جديد ، كما لو قال لها : أنتِ طالق ، أنتِ طالق ، أنتِ طالق . يُريد إسماعَها ؛ أو التأكيد لا التأسيس !

قال في « الدر » : ـ كتاب الطلاق ؛ قُبيل باب الكنايات ـ ما نصُّه :

---

(١) أحسنت بالخطاب لا يقال إلا لمن قلَّ صوابه .

« **فروع** : كرَّر لفظ الطلاق ؟ وقع الكلُّ ؛ إن نوى ، وإن نوى التأكيدَ ؟ دُيِّن » .

ورأيتُ في تعليقات الكوثري على كتاب « شروط الأئمة الخمسة » للحازمي أوائلَه عن الخطيب البغدادي في « تاريخه » بسنده إلى مجاشع ؛ قال : كنتُ بالمدينة عند مالك وهو يُفتي الناس ، فدخل عليه محمَّد بن الحسن ـ صاحب أبي حنيفة ـ وهو حَدَث ؛ فقال : ما تقولُ في جُنُبٍ لا يجدُ الماءَ إلا في المسجد ؟

قال مالك : لا يدخل الجُنُبُ المسجد .

قال : فكيف يصنع وقد حضرت الصلاة ؛ وهو يرى الماء ؟

فجعل مالك يكرر : لا يدخل الجُنُب المسجد ، فلمَّا أكثر عليه قال له مالك : فما تقولُ أنتَ في هذا ؟! قال : يتيمَّم ؛ ويدخل فيأخذ الماء من المسجد ، فيخرج فيغتسل .

قال : مِن أين أنتَ ؟ قال : مِن أهل هذه . وأشار إلى الأرض .

فقال : ما من أحدٍ من أهل المدينة إلا أعرِفُه !! فقال : ما أكثرَ مَنْ لا تعرف ، ثمَّ نهض . قالوا لمالك : هذا محمد بن الحسنِ ـ صاحبُ أبي حنيفة ـ . فقال مالك : كيف يكذبُ ؛ وقد ذكر أنَّهُ من أهل المدينة ؟! قالوا : إنَّما قال : من أهل هذه ، وأشار إلى الأرض !! قال : هذا أشدُّ عليَّ من ذاك .

* * *

فتوى أبي حنيفة

وكان أبو حنيفة رحمه الله تعالى في وليمة في الكوفة ؛ وفيها العلماء والأشراف وقد زوَّج صاحبُها ابنيه من أختين ، فغلطت النساء فزَفَفْنَ كلَّ بنت إلى غير زوجها ؛ ودخل بها ، فأفتى سفيانُ بقضاء عليٍّ رضي الله عنه : على كلٍّ منهما المهرُ وتُرجَع كلٌّ إلى زوجها !!

فسُئل الإمام ؛ فقال : عليَّ بالغلامين ! فأُتيَ بهما ؛ فقال : أيحبّ كلٌّ منكما أن تكون المصابة عنده ؟ قالا : نعم ؟ فقال لكلٍّ منهما : طلِّق التي عند أخيك ففعل ، ثمَّ أمر بتجديد النِّكاح .

فقام سفيان فقبَّل بين عينيه .

* * *

حيلة أبي حنيفة

ذُكِر أنَّ بعض اللصوص دخل بيتاً ، ومعه جماعةٌ تحت أمره ونهيه في القتل والسَّرِقَة ؛ فظفِروا بصاحب البيت وأوقفوه للقتل ، فتوسَّلَ إليهم في إبقاء مُهجته ؛ وأَخْذِ ما في البيت بأكمله .

فقال كبيرهم : حَلِّفوه بالطلاق الثلاث وعلى المصحف أنَّه لا يُعْلِمُ بهم أحداً .

فأصبح الرجل يرى اللُّصوص يبيعون متاعه ؛ ولا يقدر أن يتكلَّم لأجل اليمين !

فجاء إلى أبي حنيفة وأعلمه بحاله ، فقال له : أحضِرْ أكابر حَيِّكَ ، وأدْنى جيرانِك ، وإمامَ جماعتك . فلمَّا حضروا قال لهم أبو حنيفة : هل تُحِبُّون أن يردَّ الله على هذا الرجل متاعه ؟ .

قالوا : نعم . فقال : اجمعوا داعريكم فأدخلوهم الجامع ، ثمَّ أخرجوهم واحداً واحداً ، وكُلَّما خَرَج منهم واحد قولوا (هذا لِصُّكَ ؟) فإن كان ليس بلِصِّه ؛ قال : لا ، وإن كان لِصُّهُ فَلْيَسْكُتْ ، فإذا سكت فاقبِضوا عليه .

ففعلوا ذلك ، فرَدَّ الله عليه ما سُرِقَ له .

* * *

بررتَ في يمينك

قيل : إنَّ رجلاً أتى أبا حنيفة ليلاً ؛ وقال له : يا إمام المسلمين ؛ أغثني ، كانت لي امرأة كلَّمتُها فما أجابتني ! فقلت لها : أنت طالق ثلاثاً ؛ إن لم تكلِّميني الليلةَ قبل الصبح؛ فسكتت ، فتوسَّلتُ إليها بوسائل ، ووعدتُها بكلِّ جميل فأبَتْ ، فأخاف أن يطلع الفجر قبل أن تكلِّمَني فتحرُمَ عليَّ !!

فقال : أين دارك ؟ فقال : في الموضع الفلاني عند المسجد الفلاني .

فقال له : عُدْ إلى دارك يأتيك الفرج قبل الصباح إن شاء الله ؛ فعاد الرجل إلى داره ، فخرج أبو حنيفة في الثلث الأخير في الليل ، وذهب إلى ذلك المسجد فأذَّن ، فسمعت المرأة الأذان ، فظنَّت أنَّها أصبحتْ ، فقالت لزوجها : قُمْ ؛ فقد طلقتُ ثلاثاً .

فجاء أبو حنيفة ودَقَّ الباب ؛ وقال : يا فلان ؛ لا تحزن ، فقد بررتَ في يمينك ، فقد أذَّنْتُ في الليل .

* * *

بين أبي حنيفة وأبي يوسف

في آخر « الفتاوى الظهيرية » عن الفضل بن غانم ؛ قال : مرض أبو يوسف رحمه الله مرضاً شديداً ، فعاده أبو حنيفة ؛ وقال : لئن مات أبو يوسف ليموتَنَّ معه علمٌ كثير ، ثمَّ بَرَأَ أبو يوسف وأُخْبِرَ بمقال شيخه فيه فطمحَتْ نفسُه ، وعقد لنفسه مجلساً ، وانصرفَتْ إليه الأنظار ، فأرسل له أبو حنيفة مَنْ يسألُه عن خمس مسائل كانت سبب رجوعه لشيخه رضي الله عنهما :

الأولى : قَصَّارٌ جَحَدَ الثوب ، ثمَّ جاء به مقصوراً ؛ هل يستحقُّ الأجر ؟

فقال أبو يوسف : نعم . فقال له السائل : أخطأت . فقال له : لا . فقال له : أخطأت .

وجوابُه : إن كانتِ القصارَةُ قبل الجحود استحقَّ ، وإلاَّ ! لا ، لأنَّه غاصب .

الثانية : هل الدخول في الصلاة بالفرض ؛ أم بالسُّنَّة ؟

قال : بالفرض . قال له : أخطأت . فقال : بالسُّنَّة . فقال له : أخطأت .

والجواب : إنَّه بهما ، لأنَّ التكبير فرضٌ ورَفْعُ اليدَيْنِ سُنَّةٌ .

الثالثة : طَيرٌ سقطَ في قِدْرٍ على النار ؛ وفيه لحمٌ ومَرَقٌ؛ هل يؤكلان ؛ أم لا ؟

فقال : نعم . فخطَّأه . فقال : لا . فخطَّأه .

والجواب : إن كان اللحمُ مطبوخاً قبل سقوط الطَّير يُغسَل ثلاثاً ويؤكل ؛ وتُرمى المَرَقة ، وإلا ! يُرمى الكُلُّ .

الرابعة : مسلمٌ له زوجة ذِمِّيَّة حامل ماتت ؛ في أيِّ المقابر تُدْفَن ؟

فقال أبو يوسف : في مقابر المسلمين . فخطَّأه ، فقال : في مقابر أهل الذِّمَّة . فخطَّأه .

والجواب : أنَّها في مقبرة على حِدَة ، ويُجعَلُ ظهرُها للقبلة ليكون وجه الولد للقبلة .

الخامسة : أُمُّ ولدٍ لرجل ، تزوَّجت بغير إذن مولاها ، فمات المولى ؛ هل تجِبُ العِدَّة من المولى ؟ فقال : نعم . فخطَّأه . فقال : لا . فخطَّأه .

والجواب : أنَّ الزوج إن دخل بها لا تجبُ ، وإلا وجبَتْ .

أقول : وهذه المسألة وأمثالها تأديب لتلميذه أن يتصدَّى بحياة شيخه للفتيا بدون إجازة وإرجاع له إلى القواعد المقررة .

وفي « الأشباه والنظائر » لابن نجيم : الظاهرُ من حال الإمام أبي حنيفة رحمه الله وزهده أنَّه ما أرسل له ذلك الرجل إلاّ ليحقِّق حاله وصلاحيته للتدريس ، وللتنبيه على أنَّه كان ينبغي له أن يستأذنه في التدريس رعايةً لحقِّ الأستاذ ، فإن له على التلميذ حقوقاً ذكرها المشايخ ، وهي أن لا يفتتح الكلام

قبله ، ولا يجلس مكانه ؛ وإن غاب عنه ، ولا يرد عليه كلامه ولا يتقدَّم عليه في مشيته .

ذكر ذلك في « الخلاصة » نقلاً عن « روضة زندويسي » .

* * *

خرجتَ من يمينك

سُرِقَ من عند الرشيد حُلِيٌّ فاتَّهمَ إحدى جواريه ، وأقسم : إنْ لم تصدُقْهُ ليقتلنَّها ! ثمَّ ندم ، فأحضر أبا يوسف فسأله ؛ وقال له : إنَّا نشكُّ في أمرِها .

فقال : عليَّ بالجارية فخلا بها ؛ فقال : إنْ سألَكِ أمير المؤمنين : أسرقتيه ؟ فقولي : نعم سرقته . فإذا أمركِ بإحضاره ؛ فاحلفي : أنَّكِ لم تسرقيه .

فلمَّا مَثُلَتْ بين يَدَي الخليفة سألها : أسرقتيه ؟ قالت : نعم ؛ سرقتُه . قال : فأحضريه . قالت : والله ؛ إنِّي لم أسرقه .

فسأل أبا يوسف ، فقال : خرجْتَ من يمينك ؛ يا أمير المؤمنين وأنتَ شاكٌّ ، لأنَّها لا بدَّ وأن تكون صادقةً بأحد كلاميها .

* * *

أُردد البستان عليه

خُوصم أمير المؤمنين الهادي إلى القاضي أبي يوسف في بستانٍ ، وكان الحكمُ في الظَّاهر للهادي ، وفي الباطن خلافَ ذلك ، فقال الهادي لأبي يوسف : ما صنعتَ في الأمرِ الذي نتنازعُ إليك فيه ؟

فقال : خصمُ أميرِ المؤمنين يَسألني أَنْ أُحلِّفَ أميرَ المؤمنين : أنَّ شهودَه شَهِدُوا على حقٍّ . فقال له الهادي : وتَرى ذلك ؟ قال : فقد كان ابنُ أبي ليلى يَراه ، فقال : أُردِدِ البُستان عليه ، وإنَّما احتال عليه أبو يوسف لِعلمه أنَّ الهادي لا يَحلف .

ذكاء إياس

رُوي أنَّ رجلاً استودع رجلاً مالاً ، ثمَّ طلبه فجَحَدَه ، فخاصمه إلى **إياس** ؛ وقال المدعي : إنِّي أُطالبُه بمالٍ أودعتُه إيَّاه ، وقَدْرُه كذا وكذا ، فقال **له إياس** : ومَنْ حضَرَك ؟ قال : كان ربُّ العزَّةِ حاضراً . قال : دفعته إليه في أيِّ مكان ؟ قال : في موضع كذا . قال : فأيُّ شيءٍ تعهَدُه من ذلك الموضع ؟ قال : شجرةٌ عظيمة . قال : فانطلق إلى الموضع وانطلقْ إلى الشجرة ؛ لعل الله يُظهرُ لك علامةً يتبيَّن لها حقُّك ، أو لعلك دفنتَ مالك تحت الشجرة فنَسِيت ، فتتذكّره إذا رأيتَ الشجرة .

فمضى الرجلُ مسرعاً ؛ فقال إياس للرجل المدَّعَى عليه : اقْعُدْ حتَّى يرجعَ خصمُك .

فجلس وإياسٌ يقضي بين الناس ، ونظر إليه بعد ذلك ثمَّ قال **له** : يا هذا ؛ أترى صاحبك بلَغَ موضعَ الشجرة التي ذكرها .

قال : لا . فقال له : والله يا عدوَّ الله ؛ إنَّك لخائن . فقال : أقِلْني أقالك الله . فأمر مَن يحتفظُ به حتَّى جاء الرجل .

فقال إياس : قد أقرَّ بحقِّك ؛ فخُذْه .

❊ ❊ ❊

لا تعد لمثله

تزوَّجَ رجلٌ امرأةً ، وكان يُحبُّها حُبّاً شديداً ؛ وهي تبغضهُ بُغضاً شديداً ، وتُنافره حتى أضجرَتْه ! فقال : قلتُ لها : أنتِ طالقٌ ثلاثاً ؛ إن خاطبتيني بشيء ولم أخاطِبْكِ بمثله .

فقالت لي في الحال : أنتَ طالقٌ ثلاثاً بتاتاً. قال : فأبلستُ ؛ ولم أدرِ ما أُجيبُها خوفاً من فِراقِها !! فاستفتيتُ الإمام محمد بن جرير الطبري فقال : أقِمْ معها بعد أن تقولَ لها : أنتِ طالقٌ ثلاثاً ؛ إنْ طَلَّقْتُكِ ، فتكون قد خاطبتَها بمثلِه ، ولا تَعُدْ أنتَ لمثلِه .

❊ ❊ ❊

الأمور بعواقبها

ورد أبو نصر الفارابيُّ إلى دمشق على سيف الدولة بن حَمْدان. . وهو إذ ذاك سلطانُها ! قيل : إنَّه لمَّا دخلَ عليه ـ وهو بزِيِّ الأتراك ـ وكان ذلك زِيَّهُ دائماً ـ وقف ، فقال له سيف الدولة : اجلسْ . فقال : حيث أنا ؛ أو حيث أنت ؟ فقال : حيث أنتَ .

فتخطّىٰ رقابَ النَّاس حتَّى انتهى إلى مسند سيف الدولة وزاحمه فيه حتَّى أخرجه عنه ؛ وكان على رأس سيف الدولة مماليك ، وله معهم لسانٌ خاصٌ يُسارِرُهم به ، فقال لهم بذلك اللسان : إنَّ هذا الشيخ قد أساء الأدب ، وإنِّي مُسائِلُه عن أشياء ، إنْ لم يعرفها فاخرجوا به .

فقال له أبو نصر بذلك اللسان : أيُّها الأمير ؛ اصبِرْ ، فإنَّ الأمور بعواقبها . فعجبَ سيف الدولة منه وعَظُمَ عنده ! ثمَّ صمَتَ الكُلُّ ، وبقي يتكلَّم وحدَه ؛ ثمَّ أخذوا يكتبون ما يقولُه !

فصرفهم سيفُ الدولة وخلا به ؛ فقال له : هل لكَ في أن تأكل ؟ قال : لا . قال : فهل لكَ أن تشرب ؟ قال : لا . فقال : هل تسمع ؟ قال : نعم .

فأمر سيف الدولة بإحضار القِيان ، فحضر كلُّ ماهرٍ في الصنعة بأنواع الملاهي ، فخَطَّأَ الجميع ، فقال له سيف الدولة : هل تُحسِنُ هذه الصنعة ؟ قال : نعم .

ثمَّ أخرج من وسطه خريطةً[١] ففتحها ، فأخرج منها عيداناً وركَّبَها ثمَّ لعب بها ، فضحك كلُّ مَن في المجلس ، ثمَّ فكَّها وركَّبها تركيباً آخر ، فبكى كلُّ مَن في المجلس ، ثمَّ فكَّها وغيَّر تركيبها وحرَّكها ؛ فنام كلُّ مَن في المجلس ؛ حتَّى البواب !! فتركهم نياماً وخرج .

* * *

---

(١) الخريطة : محفظة جلدية كحافظة النقود وخواصِّ الحوائج .

جـ ـ المناظرات

نطقتم بالحجة

قيل : دخل جماعةٌ يُناظِرون أبا حنيفة بالقراءة خلف الإمام ؛ فقال لهم : أكُلُّكُم تتكلَّمون أم تنتخبون واحداً منكم ؟! قالوا : بل نُقدِّم فُلاناً يتكلَّم عنَّا .

قال : سبحان الله ! نطقتُم بالحُجَّة التي أريدُها من أفواهكم ، فالمقدَّم يقرأُ عمَّن خلفه .

* * *

مناظرة بين أبي حنيفة والأوزاعي

قال ابنُ قاسم : مناظرةُ أبي حنيفةَ مع الأوزاعي معروفة ؛ رواها الحازمي ، وقد ذكرها ابنُ الهُمام ؛ وهي : أنَّ الإمام أبا حنيفة اجتمع مع الأوزاعي بمكَّة في دار الخيَّاطين ؛ فقال الأوزاعي : ما لكم لا ترفعون الأيدي عند الركوع والرفع منه ؟ فقال : لأجل أنَّه لم يصحَّ عن رسول الله ﷺ فيه شيءٌ ! أي : ممَّا يوجبُ العملَ به بأن لا يكون له مُعارضٌ أرجَحَ منه . أطْلَقَ لأنَّه أدعىٰ إلى إلزام الخَصْم .

فقال الأوزاعي : كيف لم يصحَّ وقد حدَّثني الزُّهريُّ ؛ عن سالم ؛ عن أبيه ـ أي ابن عمر ـ أنَّ رسول الله ﷺ كان يرفعُ يديه إذا افتتح الصلاة ، وعند الركوع ، وعند الرفع منه ؟!

فقال أبو حنيفة : حدَّثنا حمَّاد ؛ عن إبراهيم ؛ عن علقمة بن الأسود ؛ عن عبد الله بن مسعود أنَّ النبيَّ ﷺ كان لا يرفعُ يدَيْهِ إلاَّ عند افتتاح الصلاة ، ثمَّ لا يعود ؟!

فقال الأوزاعي : أُحدِّثُكَ عن الزُّهريِّ ؛ عن سالم ؛ عن أبيه ، وتقول : حدَّثني حمَّاد ؛ عن إبراهيم ؟!

فقال أبو حنيفة رحمةُ الله عليه : كان حمَّادٌ أفقهَ من سالم ، وعلقمةُ بن الأسود ليس دون ابن عمر في الفقه ؛ وإنْ كانت لابن عمر صحبةٌ ! والأسودُ له فضل كثير ، وعبد الله عبد الله . فرجَّح بفقه الرواة كما رجَّح الأوزاعي بعُلوِّ الإسناد . اهـ.[1] .

* * *

اعترفتم

كان الإمام أبو حنيفة قاعداً في المسجد ؛ فدخل عليه جماعة في مُقَدّمي الخوارج شاهرين سيوفهم ؛ فقالوا : يا أبا حنيفة ؛ نسألك عن مسألتين ، فإن أجبت نجوت ، وإلا قتلناك . فقال : اغمدوا سيوفَكُم ، فإنَّ بريقها يشغل قلبي . فقالوا : كيف نغمدها ونحن نحسب الأجر الجليل في إغمادها في رقبتك ؟! فقال : سَلُوا إذاً .

فقالوا : جنازتان على الباب أحدُهما رجل شرب الخمر فقضى ؛ فمات سكراناً ، وأخرى امرأة حَبِلَت من الزنا فماتت في وِلادتها قبل التوبة ، أهما كافران ؛ أم مؤمنان ؟!

والقوم الذين جاؤوا يسألون ، مذهبُهم التكفيرُ بذنب واحد !! فإن قال : مؤمنان ؛ قتلوه ! فقال : مِن أيِّ فرقة كانا من اليهود !؟ قالوا : لا ، قال : من النصارى !؟ قالوا : لا ، قال : في المجوس ؟! قالوا : لا ، قال : مِن عَبَدة الأوثان !؟ قالوا : لا ، قال : ممَّن كانا قالوا : مِن المسلمين . قال : أجبتم .

قالوا : كيف ؟! قال : اعترفتم أنَّهما كانا من المسلمين ؛ ومَن كان من المسلمين كيف تجعلونه من الكافرين !؟ قالوا : أَهُمَا في الجنَّة ؛ أم في النار ؟! قال : أقولُ فيهما ما قال إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام في حقِّ

---

(١) حاشية العدوي على « النخبة » وشرحها لابن حجر العسقلاني .

مَن هو شرٌّ منهما : ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[1] .
وأقول ما قال عيسى روح الله عليه السلام فيمن هو شرٌّ منهما : ﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[2] فتابوا واعتذروا إليه[3] .

* * *

أسائل أنت ؟

وحكى الخطيب الخوارزميُّ : أنَّ ملك الروم أرسل إلى الخليفة مالاً جزيلاً على يد رسوله ، وأمره أن يسأل العلماء عن ثلاث مسائل ، فإن هم أجابوك أبذل لهم المال ، وإن لم يجيبوك . . فاطلب من المسلمين الخَرَاج !!

فسأل العلماء ؛ فلم يأتِ أحدٌ بما فيه مقنَع ، وكان الإمام إذ ذاك صبيًّا حاضراً مع أبيه ؛ فاستأذنه في جواب الرُّومِّي ؛ فلم يأذن له .

فقام واستأذن من الخليفة ؛ فأَذِنَ له ، وكان الرُّوميُّ على المنبر ؛ فقال : له : أسائلٌ أنت ؟ قال : نعم . قال : اِنزل ؛ مكانك الأرض ومكاني المنبر .

فنزل الرُّوميُّ، وصعد أبو حنيفة رحمه الله تعالى ؛ فقال : سل ، فقال : أيُّ شيء كانَ قبلَ الله تعالى ؟! قال : هل تعرف العدد !؟ قال : نعم .

قال : ما قبل الواحد !؟

قال : هو الأوَّل؛ ليس قبله شيءٌ .

قال : إذا لم يكن قبل الواحد المجازيِّ اللفظيّ شيءٌ ؛ فكيف يكون قبل الواحد الحقيقي ؟!

فقال الروميُّ : في أيِّ جهة وجهُ الله تعالى ؟!

قال : إذا أوقدت السراج؛ فإلى أيِّ وجه نورُه !!

---

(١) الآية : ٣٦ ؛ من سورة : إبراهيم .

(٢) الآية : ١١٨ ؛ من سورة : المائدة .

(٣) مناقب الإمام الأعظم للإمام محمد بن عبد الستار العمادي (تلميذ صاحب الهداية) .

قال : ذاك نور ؛ ويستوي فيه الجهات الأربع . فقال : إذا كان النور المجازي المستفادُ الزائل لا وجه له إلى جهة ؛ فنور خالق السماوات والأرض الباقي الدائم الفيض كيف يكون له جهة ؟ .

قال الرُّوميُّ : بماذا يشتغل وجه الله تعالى ؟! قال : إذا كان على المنبر مشبِّه مثلك أنزله ، وإذا كان على الأرض موحِّدٌ مثلي؛ رفعه ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[1] . فترك المال وعاد إلى الروم .

* * *

الأقرب إلى رسول الله ﷺ

سألَ الرشيدُ الإمامَ موسى الكاظم رضي الله عنه : لِمَ زعمتُمْ أنَّكم أقربُ إلى رسول الله ﷺ منَّا ؟ وأنتم أولاد عليٍّ، ونحن أولادُ ابن عمِّه عبد الله ، وزعمتم أنَّكم ذُرِّيَّتُهُ وجوَّزْتم للناس أن ينسبوكم إليه ، وإنَّما يُنسَبُ الرجل لأبيه ؟!

فقال موسى :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[2] وليس لعيسى أبٌ ، وقد أُلحِقَ بذُرِّيَّةِ الأنبياء من جهةِ أُمِّه ، وكذلك أُلْحِقْنا بذريَّة النَّبيِّ ﷺ من قَبلِ أُمِّنا فاطمة .

وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى

---

(١) الآية : ٢٩ ؛ من سورة : الرحمن .

(٢) الآية : ٨٤ ـ ٨٥ ؛ من سورة : الأنعام .

﴿ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾[1] ولم يدعُ عليه السلام عند مباهَلَةِ النصارى غيرَ فاطمةَ والحسن والحسين ، فهم حينئذ الأبناء . فقال : لله درُّكَ ، فإنَّ العلمَ شجرةٌ نبتت في صدوركم ، فكان لكم ثمرُها ، ولغيرِكُم الأوراق .

* * *

وسع النبي ﷺ ولم يسعكم !!

روي عن الواثق بالله هارون بن المعتصم أنَّه حُمِل إليه رجلٌ[2] فيمن حُمِل مُكَبَّلٌ بالحديد من بلاده ، فلمَّا دخل وابنُ أبي دُؤاد حاضر ؛ قال المُقيَّد : أخبرني عن هذا الرأي[3] الذي دعوتمُ الناس إليه ؛ أعَلِمَهُ رسول الله ﷺ فلم يدعُ الناسَ إليه ، أم شيءٌ لم يعلمْه ؟!

قال ابنُ أبي دؤاد : بل عَلِمَه . قال : فكان يسَعُهُ أن لا يَدعوَ الناسَ إليه وأنتم لا يسعكم !؟

قال : فبُهِتوا ، وضَحِكَ الواثق وقام قابضاً على فمه ، ودخل بيتاً ومدَّ رجلَيْه ؛ وهو يقول : وسع النَّبيَّ ﷺ أن يسكتَ عنه ولا يسَعُنا ! فأمرَ له أنْ يُعْطى ثلاث مئة دينار ، وأن يُرَدَّ إلى بلده . ولم يَمْتَحِنْ أحداً بعدها ، ومقَتَ ابنَ أبي دؤاد من يومئذ .

* * *

الباقلَّاني ورئيس بطاركة الروم

استدعى ملكُ الرُّوم أعلمَ رجلٍ في المسلمين ليُناظره كما كانت عادة الأقدمين في عنايتهم بالأديان والمناظرات ، فأرسل إليهم ملكُ المسلمين

---

(١) الآية : ٦١ ؛ من سورة : آل عمران .

(٢) الرجل المذكور هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد الأزدي ـ شيخ أبي داود والنّسائي ـ . « الإتحاف » ٧٧ .

(٣) هو قولهم بخلق القرآن .

الباقِلاَّني رضي الله عنه ؛ فقال البطاركة لملكهم : إنَّ هذا لا يسجدُ لكَ ، فكيف نعمل لنجبرَه على السجود ؟!

قال لهم الملك : اجعلوا بابَ غرفتي قصيراً فيضطرَّ للانحناء .

فصغَّروه ، فلمَّا دخل على الملك أدار ظهره وانحنى للخارج ، ثمَّ التفتَ نحو الملك ، وبعد أن استقرَّ بالمجلس ؛ قال لرئيس البطاركة : كيف أولادُكَ وكيف أهلُك ؟ قالوا له : إنَّ سيِّدنا لا يتزوَّج ؛ وليس له أولاد !!

قال : كيف يُخالِفُ ربَّه ؟ فقد اتَّخذَ ربُّكم زوجةً وله ولد !!. فأُفحِموا .

ثم قال له الملك : أيُّها الشيخ ؛ هل تحفظُ حديثَ الإفك ؟

قال الشيخُ : نعم ؛ همـا ثنتان قُذِفَتا ورُمِيَتـا بما هُما بريئتان منه ، ثمَّ إنَّ الله برَّأَهُـما ، فأمَّا إحداهما فماتَتْ عقيمة ، وأمَّا الأخرى ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ﴾[1] . قال لهم الملك : أخرجوه ، وإلاَّ ! أفسَدَ علينا أمرَنا .

* * *

خالد بن يزيد والراهب

أخرج مسلم ؛ عن جابر رضي الله عنه ؛ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال : « أَهْلُ ٱلجَنَّةِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَلاَ يَبُولُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونُ وَلاَ يَتَمَخَّطُونَ وَلاَ يَبْزُقُونَ ؛ يُلْهَمُونَ ٱلحَمْدَ وَٱلتَّسْبِيحَ كَمَا يُلْهَمُونَ ٱلنَّفَسَ ، طَعَامُهُمْ جُشَاءٌ ، وَرَشْحُهُمْ كَرَشْحِ ٱلمِسْكِ ـ وفي لفظ : وَرَشْحُهُمُ ٱلمِسْكُ ـ » .

أخرج ابنُ عساكر ؛ عن خالد بن يزيد أنَّه أتى راهباً ، وهو على باب دَيْرِه ؛ فقال له الراهب : مَن أنت ؟ فقال : من المسلمين . قال : مِن أُمَّة محمد ؟ قـال : نعـم . قـال : من علمائهم أنت ؛ أم من جُهَّالِهم ؟ قال : ما أنـا من علمائهم ؛ ولا من جُهَّالِهم . قال : فإنَّكم تزعمون أنَّكم تدخلون الجنَّة فتأكلون

---

(١) الآية : ٢٧ ؛ من سورة : مريم رضي الله عنها .

من طعامها وتشربون من شرابها ولا تبولون ولا تتغوَّطون ؟ قال : هو كذلك ، فإنَّ له مثلاً في الدنيا . قال : فأخبِرْني ما هو ؟ قال : كمثل الجنين في بطنِ أُمِّه يأتيه رزقه في بطنها ولا يبول ولا يتغوَّط .

فتربَّد وجه الراهب ؛ وقال : أما أخبرتَني أنَّك لستَ من علمائهم ؟

قال : ما كذَبْتُكَ . قال : فإنَّكم تزعمون أنَّكم تدخلون الجنة فتأكلون من طعامها وتشربون من شرابها ولا ينقص ذلك منها شيئاً ؟

قال : هو كذلك ، فإنَّ له مثلاً في الدنيا . قال : فأخبِرْني ما هو ؟ قال : كمثل الحكمة ؛ لو تعلَّم الخَلْقُ منها أجمعون لم ينقصْ ذلك منها !

فتربَّد وجه الراهب ؛ وقال : أما أخبرتَني أنَّكَ لستَ من علمائهم ؟ قال : ما كذَبْتُكَ ؛ ما أنا من علمائهم ولا من جُهَّالِهم !!. اهـ.[1] .

* * *

اللص الفقيه

قال أحمدُ بن المعدّل : كنت جالساً عند عبد الملك بن عبد العزيز الماجِشون ؛ فجاءه بعض جلسائه فقال : أعجوبة ! قال : ما هي ؟ قال : خرجت إلى حائطي بالغابة فلمَّا أصحرت وبعدت عن البيوت تعرَّض لي رجل ؛ فقال : اخلع ثيابك .

قلت : وما يدعوني إلى خلع ثيابي ؟

قال : أنا أولى بها منك . قلت : ومن أين ؟ قال : لأني أخوك وأنا عريان ؛ وأنت مكتسٍ !!

قلت : فالمواساة !

قال : كلا قد لبستَها برهة ، وأنا أريد أن ألبسها كما لبستَها .

---

(١) من تفسير سورة البقرة أولها لعبد الغفار عيون السود الحمصي . رحمه الله .

قلت : فتعريني وتبدي عورتي ؟! قال : لا بأس بذلك ؛ فقد روينا عن مالك أنَّه قال : لا بأس للرجل أن يغتسل عرياناً !

قلت : فيلقاني الناس فيرون عورتي !

قال : لو كان الناس يرونك في هذه الطريق ما عرضتُ لك فيها !

فقلت : إنِّي أراك ظريفاً فدعني حتَّى أمضيَ إلى حائطي وأنزع هذه الثياب وأوجِّه بها إليك .

قال : كلا أردتَ أن تُوجِّهَ إليَّ أربعة من عبيدك فيحملوني إلى السلطان فيحبسني ويمزِّق جلدي ويطرح في رجلي القيد !!

قلت : كلا ؛ أَحلفُ لك أيماناً أنِّي أَفِي لك بما وعدتُك ؛ ولا أسوؤك !

قال : كلا ؛ إنَّا رُوينا عن مالك أنَّه قال : لا تلزم الأيمانُ التي يَحْلِف بها اللصوص !

قلت : فأَحلفُ لك أنِّي لا أحتال في أيماني هذه .

قال : هذه يمينٌ مركبة على أيمان اللصوص .

قلت : فدع المناظرة بيننا فوالله لأوجِّهنَّ إليك هذه الثياب طيِّبةً بها نفسي .

فأطرق ثم رفع رأسه وقال : تدري فيم فكَّرت !؟ قلت : لا . قال : تصفَّحتُ أمر اللصوص من عهد رسول الله ﷺ وإلى وقتنا هذا ؛ فلم أجد لصَّاً أخذ نسيئة ، وأكره أن أبتدع في الإسلام بدعة يكون عليَّ وِزرها ووزرُ مَن عمل بها بعدي إلى يوم القيامة ؛ اخلع ثيابك ! فخلعتها ودفعتُها إليه .

* * *

وقد ذكر السُّبكيُّ رحمه الله هذه المناظرة في كتابه « طبقات الشافعية الكبرى » بزيادة منها : قال اللص : ألم يقل القاضي: إنَّه يتفقَّه في الدين ويتصرَّف في فتاوى المسلمين ؟ . قال القاضي : أجل . قال اللص : فَمن صاحبُك من أئمة الفقهاء ؟ قال القاضي : صاحبي محمد بن إدريس الشافعي .

قال اللص : اسمع هذا وتكون بالسراويل حتى لا تذهب عنك السراويل إلا بالفوائد !

قال القاضي : أجل ؛ يا لها من نادرة ما أغربها وحكاية ما أعجبها !

قال : حدَّثني أبي ؛ عن جدّي ؛ عن محمد بن إدريس يرفعه ؛ قال : قال رسول الله ﷺ : « صَلاَةُ ٱلعُرْيَانِ جَائِزَةٌ وَلاَ إِعَادَةَ عَلَيْهِ » ! تأوَّلَ في ذلك غرقىٰ البحر . . إذا سَلِمُوا إلى الساحل !

فنزع القاضي السراويل وقال : خذه ؛ وأنت أشبه بالقضاء مني ، وأنا أشبه باللصوصيّة منك ، يا من دَرَس على أخذ ثيابي « موطَّأ مالك » و« كتاب المزني » . ومدَّ يده ليدفعه إليه فرأى الخاتم في إصبعه اليمنى ؛ فقال : انزع الخاتم .

فقال القاضي : إن هذا اليوم ما رأيت أنحس منه صباحاً ولا أقل نجاحاً ، ويحك ما أشرهك وأرغبك وأشدَّ طَلَبك وكَلَبك ؛ دع هذا الخاتم فإنَّه عارية معي وأنا خرجت ونسيتُه في أصبعي ؛ فلا تُلْزِمني غرامته .

قال اللص : العارية غير مضمونة ما لم يقع فيها شرط عندي ، ومع ذلك أفلم يزعم القاضي أنَّه شافعي ؟ قال : نعم . قال اللِّصُّ : فلم تختَّمتَ في اليمنى ؟ قال القاضي : هذا مذهبُنا . قال اللص : صدقتَ إلاَّ أنَّه صارَ من شعار المضادِّين .

وبعد مناظرة طويلة قال القاضي ـ بعد أن نزع الخاتم ليسلمه إليه ـ: خذ يا فقيه يا متكلم يا أصولي . وتمامه هناك .

* * *

ألا يسعكم ما وسعهما

تناظر سنِّيٌّ مع شيعيٍّ ؛ فقال الشيعيُّ : نحن أوصياءُ عليٍّ على الخلافة .

فقال له السُّنِّيُّ: نعم، هل رفع عليٌّ سيفاً بزمن أبي بكر؟! قال الشيعي: لا.

قال : فهل رفعه بزمن عمر ؟ قال الشيعي : لا .

قال : فهل رفعه بزمن عثمان ؟ قال الشيعي : لا .

قال السُّنِّيُّ : نعم ؛ لقد كان ما كان بينه وبين معاوية ، ونحن نعتقدُ أنَّه أولى بالأمر من معاوية ، ثمَّ كان ما كان من قتله رضي الله عنه .

فهل أُكرِه الحسنُ على تسليم الأمر لمعاوية ؟! قال : لا . قال : ألا يسَعُكم ما وسع عليّاً والحسن من السكوت ؟! فإمَّا أن يكونا مُحِقِّين؛ فانتهى الأمر ، وإمَّا أن يكونا مخطئين فلستم أولى منهما بإقامة ما أماته الزمن !

فما هذه التحرُّشات التي لا طائلَ تحتها !؟

فأقرَّ الشيعيُّ بذلك وأعلنه لجماعته باسمه الخاص ، فقام عليه جماعَتُه وكفَّروهُ ، وانقسموا فِرْقَتَيْن بالعراق ؛ وذلك في سنة ١٣٧٠ هـ تقريباً ، ولا يزالون مختلفين من جرَّاء ذلك ، والأمرُ لله وحده .

* * *

الأمور تضاف لآخر أسبابها

تناظر اثنان ؛ أحدُهما يَدَّعي خلق أفعالِ الإنسان للإنسان ، والآخرُ ينسبُها إلى الله !!

فقطف الأول تفاحةً من شجرة ؛ وقال للآخر : أليس أنا الذي قطفتُ هذه ؟

فقال له : إنْ كنتَ أنتَ الذي قطفْتَها فرُدَّها إلى ما كانت عليه ، لأنَّ القدرة التي يحصلُ بها الإيجاد لا بدَّ أن تكون صالحةً للضِّدَّيْن ، وما الفارق بينهما ؟!

فقال الأول : فليردّها الله إلى ما كانت عليه .

قال الثاني : إنْ كنت تُنكِرُ قدرَتَه على ذلك . . فأنتَ كافر !!

فقال الأوَّل : فهل تنسُبُ السرقة والزنا وشربَ الخمر إلى خالقها ؟

قال الثاني : لقد حفظتَ شيئاً وغابت عنكَ أشياء !! إنَّ ممَّا اتَّفق عليه

البشر نسبةَ الأمور إلى آخر أسبابها ، فهل تنسُب القتلَ لمن ضربَ بالسكِّين ؛ أو لمن عملها سكِّيناً ؟ وهل تنسبُ القتل لمَنْ حفر البئر ؛ أو لمن ألقى أحداً فيها ؟! هل تنسب الحرق لمن باشرَه ؛ أو لمن صنع الكبريت ؟!

فالأمور تضاف لآخر أسبابها باتفاق العقلاء .

* * *

فللّه الحجة البالغة

احتجَّ بعضُ العُصاة بالقَدَر ، وسأل جواباً مُقنعاً شافياً .

فقال له بعضهم : هل القَدَر الذي تحتجُّ به كان معلوماً لك ؛ أو مجهولاً ؟

قال : بل كان مجهولاً .

قال له : ونهيُ الله لكَ عن اقتراف هذا الذنب؛ هل كان معلوماً لك أو مجهولاً ؟

قال : بل كان معلوماً .

قال : لِمَ تركتَ المعلوم واتَّبعت المجهول ؟

وجوابٌ آخر : وهو أنَّه سبحانه لو كلَّفك بما قَدَّر عليك؛ فما كان موقفُكَ ممَّا تجهل ؟

قال : الحيرة .

قال : فقد أزال الله عنكَ الحَيْرَة بما أمرَكَ ونهاك ، فلماذا أوقعتَ نفسك فيها ؟

قال : إذا كان الله يعلمُ أنِّي لا أُصلِّي ؛ فكيف يأمرُني بالصلاة ؟

قلت : هل الأمر خاصٌّ لك ؛ أم عامٌّ لكلِّ البشر بالصلاة والإيمان وسائر فروعه ؟!

قال : بل هو عامٌّ للجميع .

قلت : فهل يُرسلُ لكَ نبيّاً يستثنيكَ من التكاليف !؟

وأيضاً : إذا كان يعلم أنَّكَ لا تُصلِّي ، فهل يؤثِّرُ العلم بالمعلوم شيئاً ؟

وإذا كان زيدٌ في الدار وأنت تعلم ، فهل زاد فيه شيء ؛ أم نقص ؟!

قال : إنَّ العلم لا يؤثِّر .

قلت : فللّه الحُجَّةُ البالغة .

* * *

الشعراء ، ومن أجاب بالشعر

لكلِّ امرىء من دهره ما تعوَّدا

ذكر الإفليلي أنَّ المتنبي أنشدَ سيفَ الدولة بن حَمْدان في الميدان قصيدته التي أوَّلها :

لِكـلِّ امْـرِىءٍ مِـنْ دَهْـرِهِ مـا تَعَـوَّدا   وَعَادةُ سَيْفِ الدَّولة الطَّعْنُ في العِدا

فلمَّا عاد سيفُ الدولة إلى داره استعادَهُ إيَّاها ؛ فأنشدها قاعداً ، فقال بعض الحاضرين يريد أن يكيد أبا الطيب : لو أنشدها قائماً لأسمع ، فإنَّ أكثرَ الناس لا يسمعون . فقال أبو الطيب : أما سمعت أوَّلها :

لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْ دَهْرِهِ ما تَعَوَّدا !!!

وهذا من مستحسن الأجوبة[1] اهـ .

* * *

لك يا منازل في القلوب منازل

حُكِي أنَّ أبا العلاء المعريَّ كان يتعصَّبُ لأبي الطيِّب المتنبِّي ، فحضر يوماً مجلسَ المرتضى ؛ فجرى ذِكْرُ أبي الطيِّب ، فَهُضِم من جانب المرتضى ؛ فقال أبو العلاء : لو لم يكن لأبي الطيِّب من الشعر إلا قوله :

لَـكِ يَـا مَنَـازِلُ فِـي القلـوبِ مَنَـازِلٌ   أَقفَـرْتِ أَنْـتِ وَهُـنَّ مِنْـكِ أَوَاهِـلُ

لكفاه . فغضب المرتضى وأمر به فسُحِبَ وأُخْرِج . وبعد إخراجه قال المرتضى : هل تعلمون ما أراد بذكر البيت ؟ قالوا : لا . قال : عنى به قولَ

---

(١) ابن خلِّكان ، آخر ترجمة أحمد بن الحسين المتنبي المولود سنة ٣٠٣ ، والمقتول سنة ٣٥٤ .

أبي الطيِّب في القصيدة :

وَإِذا أَتَتْـكَ مَـذَمَّتـي مِـنْ نـاقِـصٍ   فَهـيَ الشَّهـادَةُ لِـي بِـأَنـي كَـامِـلُ

* * *

خلعتَ ما لا تملك على من لا يقبل

حُكِيَ أَنَّ الشريف الرضي كان جالساً في عُلِّيَّة له تشرف على الطريق ، فمرَّ به ابن المطرِّز يجر نعلاً له بالية ؛ وهي تثير الغبار ، فأمر بإحضاره ؛ وقال له : أنشد أبياتك التي تقول فيها :

إذا لَـمْ تُبَلِّغْنِـي إِلَيْـكِ رَكَـائِبِـي   فَـلا وَرَدَتْ مَـاءً وَلا رَعَـتِ العُشْبـا

فأنشده إيَّاها ، فلمَّا انتهى إلى هذا البيت ، أشار الشريف الرَّضِيُّ إلى نعاله البالية ؛ وقال : أهذه كانت من ركائبك !! فأطرق ابن المطرِّز ساعة[1] ؛ ثمَّ قال : لمَّا عادت هباتُ سَيِّدنا الشريف إلى مثلِ قوله :

وَخُـذِ النَّـوْمَ مِـنْ جُفُـونِـي فَـإِنـي   قَـدْ خَلَعْـتُ الكَـرَىٰ علَـى العشَّـاقِ

عادت ركائبي إلى مثل ما ترى !! لأنك خلعتَ ما لا تملكُ على مَن لا يقبل .

فاستحيا الشريف منه، وأمر له بجائزة فأعطوهُ ! .

* * *

فوت رؤيتك

قال المتوكِّل لأبي العَيناء : ما أشدُّ ما مرَّ عليك في ذهاب بصَرِك ؟

قال : فوتُ رؤيتِك يا أمير المؤمنين .

فاستحسن هذا منه ، وأمر له بجائزة حسنة .

---

(١) هي في اللغة مطلق الوقت اليسير .

وأبو العيناء : ذكره ابنُ الوَرْدي في « تاريخه » في وقائع سنة ٢٨٢ ؛ وهو : محمَّد بن القاسم الضرير ، يروي عن الأصمعيِّ ، شاعرٌ ذكيٌّ ظريف ذو نوادر ، مولود سنة : ١٩١ ، وكُفَّ بصره وهو ابن أربعين سنة ، ولُقِّب بأبي العيناء ، أنه قال لأبي زيد الأنصاري : كيف تصغير عينا ؟ فقال : عُييناً ؛ يا أبا العيناء . قال يوماً المتوكل : لولا أنه ضريرٌ لنادمته . فقال : إن أعفاني من رؤية الهلال فإنِّي أصلح للمنادمة .

وقال أحمد ابن أبي دُؤاد لأبي العيناء : ما أشدُّ ما أصابك في ذهاب بصرك ؟ قال : أُبدأُ بالسلام ؛ وكنتُ أحبُّ أَنْ أكونَ أنا المُبتدىء ، وأُحدِّثُ من لا يُقبِلُ على حديثي ، ولو رأيتهُ لم أُقبل عليه .

فقال له ابنُ أبي دؤاد : أمَّا من بَدَأك بالسَّلام . فقد كافأتَهُ بجميلِ نيَّتِكَ له ، ومن أعرضَ عن حديثك إنَّما أَكسَب نفسَه من سوءِ الأدبِ أكثرَ ممَّا نالك من سُوء الإعراض .

* * *

ما عليَّ في ذلك

شكا أبو العيناء إلى عبيد الله بن وَهْب الوزير سُوءَ الحال ؛ فقال : أليس قد كتبنا إلى إبراهيم بن المُدَبّر في أمرك ؟! فقال : نعم ، قد كتبتَ إلى رجل قد قصَّر من همَّته طولُ الفقر ، وذُلُّ الأسْر ـ يعني أسْرَ الزُّنْج ـ ومقاساة الدَّهْر ، فأخفق سعيي وخابتْ طَلِبَتي .

فقال عبيد الله : أنت اخترتَه . فقال : وما عليَّ أيُّها الوزير في ذلك، وقد اختار النَّبيُّ ﷺ عبد الله بن سعد ابن أبي سَرْح كاتباً ؛ فرجع إلى المشركين مرتدَّاً . واختار عليُّ بن أبي طالب أبا موسى الأشعري حاكماً له فحكَمَ عليه !! .

* * *

لكل جديد لذة

وصار أبو العيناء يوماً إلى باب صاعد بن مخلد ؛ فاستأذن عليه ، فقيل : هو مشغول بالصلاة .

فقال : لكلِّ جديد لذَّة . وكان صاعد قبل الوزارة نصرانياً . والله أعلم .

لا أطيق ذلك

ومن كتاب « الأذكياء » لأبي الفرج بن علي الجَوْزي في أخبار أبي العيناء الضرير ؛ قال : أخبرنا محمَّد بن يحيى ؛ قال : حدَّثنا أبو العيناء ؛ قال : قال لي المتوكل : قد أردتُك لمجالستي . فقلت : لا أطيق ذلك ، ولا أقول هذا جهلاً بما لي في هذا المجلس من الشرف ، ولكنني محجوب ، والمحجوب تختلف إشارته ، ويخفى عليه الإيماء ، ويجوز أن يتكلَّم بكلام غضبان ووجهك راض ، وبكلام راضٍ ووجهك غضبان ، ومن لم يميِّز هذين هلك ، قال : صدقت . ولكن تلزمنا . فقلت : لزومَ الفرض والواجب . فوصلني بعشرة آلاف درهم .

* * *

إثمهما أكبر من نفعهما

قيل لأبي العيناء : ما تقول في محمَّد بن مكرم ، والعباس بن رستم ؟!

فقال : هما الخمر والميسر إثمهما أكبر من نفعِهِما .

* * *

حاجتي بشغلك

قال عبيد الله بن سليمان لأبي العيناء : أعذرني فإنِّي مشغول عنك !

فقال له : إذا فرغتَ لم أحتج إليك . يعني إذا عُزل .

* * *

لا أراني الله يوم فراغك

شكا بعض الوزراء كثرةَ الأشغال ؛ فقال أبو العيناء : لا أراني الله يومَ فراغك .

* * *

تنفرد بالتعجب

ولقيه بعضُ الكتَّاب في السَّحَرِ ؛ فقال مُتعجّباً من بكوره : يا أبا عبد الله ؛ أتبكّرُ في مثل هذا الوقت ؟ .

فقال له أبو العيناء : أتشاركُني في الفعل وتنفرد بالتَّعجب ؟

* * *

كنت أظن أن النسل انقطع

ووقف عليه رجل من العامة فلمَّا أحسَّ به قال : من هذا ؟ قال : رجل من بني آدم ! .

قال أبو العيناء : مرحباً بك ـ أطال الله بقاءك ـ، كنت أظنُّ أنَّ هذا النسل قد انقطع !!

* * *

منعني ثلاثة أشياء

وقيل : غاب أبو العيناء عن المتوكِّل مُدَّةً ، ثمَّ دخل عليه فقال : ما أقعدَك عنَّا ؛ يا أبا العيناء ؟ قال : سُرق حماري . قال : كيف سُرق ؟ قال : ما كُنت مع اللِّص فأعرف كيف سرقه !

قال : فما منعك أن تزورنا على غيره ؟ قال : ثلاثةُ أشياء . قال : ما هي ؟ قال : قلَّة يساري ، ومِنَّة العَواري ، وذِلَّة المُكاري .

* * *

ما بال حمارك ؟

وقيل لأبي العيناء : ما بالُ الحمير إذا أحسَّت بالرجوع إلى مرابطها والقُرب من دور أهلها؛ أسرعت المشيَ البطيء منها ، إلا حمارك إذا قرُب من دارك؛ تخابث في المشي ؟

قال : لعلمه بسوء المُنْقَلَب .

* * *

تقعَّرت ثم تكشَّفْتَ

في مقدمة المؤلف من كتاب « المعجم في بقيَّة الأشياء » بإسناده للأصمعي ؛ قال : تكلَّم ابن ثوابة يوماً فتقعَّر ، ثمَّ لحن !

فقال أبو العيناء : تقعَّرت حتَّى خِفْتُكَ ، ثمَّ تكشَّفْت حتَّى عِفْتُكَ .

* * *

ما مثل الدراهم من دواء

مدح مطيعُ بن إياس مَعْنَ بن زائدة ، فقال له : إن شئْت أجزْناك ، وإن شئْت مَدَحناك ، فاستحيا مُطيع أنْ يختار الثَّواب ، وكَرهَ العدول إلى المدح ، فقال :

ثَنَاءٌ مِنْ أميرٍ خَيرُ كَسْبٍ ... لصاحبِ مَغْنَمٍ وأَخي ثَراءِ

ولكِنَّ الزَّمانَ أطال دائي ... ومَا مِثْلُ الدَراهِم مِنْ دَواءِ

* * *

ما رأيت تعزية أحسن من هذا

قال الأمير في حاشيته على « المغني » ببحث اللام المفردة ، وبعد استشهاده ببيت مُتَمِّم بن نُوَيْرَة اليربوعي يرثي أخاه مالكاً الذي قتله سيِّدنا خالد رضي الله تعالى عنه وهو :

وَلَمَّــا تفَــرَّقْنــا كَــأنــي وَمَــالِكــاً لِطُـولِ اجْتِمَــاعٍ لَــمْ نَبِـتْ لَيْلَـة مَعَـا

قال الأمير : وقد استنشد عمرُ رضي الله عنه هذه القصيدة من مُتَمِّم ؛ ثمَّ قال : رحم الله زيداً أخي ، هاجَرَ قَبْلي واستشهد قَبْلي ؛ ما هبَّت الصَّبا إلا بكيت عليه ، وودِدْتُ أنّي أحسنُ الشعر فأرثيَ أخي بمثل ما رثيتَ به أخاك .

فقال متمِّم : لو أنَّ أخي مات على ما مات عليه أخوك ما رَثَيْتُه[1] .

فقال عمر : ما رأيتُ تعزيةً أحسن من هذا ! وخَفَّ عليه الحال .

وقد قيل : إنَّ أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ما قالوا شعراً ولا شربوا خمراً ؛ لا جاهليّة ولا إسلاماً . اهـ .

* * *

أتبكين صخراً

قال أبو القاسم : وشبيه بهذا الجواب ما رُوي عن الخنساء حين دخلت على عائشة رضي الله عنها وأنشدتْها قولَها في أخيها صخر :

أَلا يــا صَخْــرُ إِنْ أَبْكَيْــتَ عَيْنِــي فَقَــدْ أَضْحَكْتَنــي زَمَنَــاً طَــويْــلا
بَكَيْتُــكَ فــي نِسَــاءٍ مُعْــوِلاتٍ وَكُنْــتُ أَحَــقَّ مَــنْ أَبْـدى العَـوِيْـلا

---

(١) لما قتلَ خالد مالكاً لم يعذره بعضهم في قتله ، ومن عذره استدلّ بقول أخيه متمم : لو أنّ أخي مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته .

وكان خالد رضي الله عنه يعتذر في قتله أنه قال له وهو يراجعه : ما أخال صاحبكم يعني النبي ﷺ إلا وقد كان يقول . فقال خالد : أو ما تعدّه صاحباً ؟ ثم قدّمه فضرب عنقه وعنق أصحابه .

ويذكر خالد أنّ النبي ﷺ لمّا وجّهه إلى ابن خلندي قال له : ياأبا سليمان إن رأت عينك مالكاً فلا تزايله أو تقتله .

وأحسن الأعذار ما سبق من قول أخيه متمم بأنّ أخاه لم يستشهد ، وكان بعد أن أسلم مالك ارتد ولحق سجاحاً ، فلمّا تزوجت سجاح بمسيلمة تُحيِّر في أمره فمن قائل بإسلامه ومن قائل بردَّته .

والذي ضرب عنقه قيل : ضرار بن الأزور وقيل غير ذلك .

دَفَعْتُ بِكَ الخُطُوبَ وأَنْتَ حَيٌّ ... فَمَنْ ذا يَدْفَعُ الخَطْبَ الجَلِيْلا

إذا قَبُحَ البُكَاءُ علَى قَتِيْلٍ ... رَأَيْتُ بُكَاءَكَ الحَسَنَ الجَمِيلا

فقالت عائشة رضي الله عنها : أتبكين صخراً ، وهو جمرةٌ في النار ؟

فقالت : يا أم المؤمنين ؛ ذلك أشدُّ لجزعي عليه ، وأبعَثُ لبكائي .

* * *

كيف أتركه لك ؟!

ولمَّا وُلِّي عبيد الله بن زياد بعد موت أبيه طرح حارثة بن بدر وجفاه ، فقال له حارثة : مالك لا تُنزلني المنزلة التي كان ينزلني أبوك ، أتدَّعي أنك أفضل منه وأعقل منه ؟

قال له : إنَّ أبي كان بَرَعَ في الفضل بروعاً لا يضرُّه صحبةُ مثلِك ، وأنا أخشى أن تحرقَني بنارك ، فإنْ شئتَ فاترُكِ الشَّراب ؛ فتكون أوَّل داخل وآخر خارج .

قال : والله ما تركتُه لله فكيف أتركه لك ؟!

قلت : وهذا الجواب كأجوبة المشركين لرسول الله ﷺ حين أمر بمواساة الفقراء ؛ فقالوا : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[1] .

وكجوابهم لمَّا حرَّم عليهم المَيْتَة بقول الله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ ﴾[2] فقالوا : انظروا إلى محمَّد ، فإنَّه يأكل ما قتل ، ولا يأكل ما قتل الله !

---

(١) الآية : ٤٧ ؛ من سورة : يس .

(٢) الآية : ٣ ؛ من سورة : المائدة .

وما هذه الأجوبة المفندة إلا ممَّن تمكَّن من الكفر والفسق والضلال ليضلّوا أو يُضلوا .

نسأل الله تعالى العصمة من الزَّلل .

* * *

من شيَّد خرَّب

دخل العجَّاج على عبد الملك بن مروان ؛ فقال له : بلغني أنَّك لا تُحسِنُ الهِجاء !

فقال : يا أمير المؤمنين ؛ من قدر على تشييد الأبنية أمكنه خراب الأخبية .

قال : ما يمنعُك من ذلك ؟ قال : إنَّ لنا عِزّاً يمنعُنا من أن نُظْلَمَ ، وأحلاماً تمنعنا من أن نَظْلِمَ . قال : لَكلماتُكَ أحسَنُ من شعرك ، فما العِزُّ الذي يمنعُك من أن تُظلَم ؟ قال : الأدب المستظرف ، والطبع التالد .

قال : لقد أصبحت حكيماً ! .

قال : وما يمنعني من ذلك وأنا نَجِيُّ أمير المؤمنين !!

* * *

يا سعد لا تجب الدعاء

حضرتْ وفودُ الأنصار باب معاوية بن أبي سفيان ، فخرج إليهم حاجبُه أبو درَّة ـ وقد حجب بعده عبد الملك بن مروان ـ فقالوا له : استأذن للأنصار . فدخل إليه ، وعنده عمرو بن العاص ، فاستأذن لهم ، فقال له عمرو : ما هذا اللَّقب يا أمير المؤمنين ؛ اردد القوم إلى أنسابهم . فقال : هي كلمةٌ إنْ مضت عرَّتْهم ونقصتهم ، وإلا فهذا الاسم راجع إليهم ! فقال له : اخرجْ ؛ فقلْ : من كان ههنا من ولد عمرو بن عامر ؛ فليدخلْ ، فقالها الحاجبُ ، فدخل ولد عمرو بن عامر كلُّهم إلا الأنصار ، فنظر معاوية إلى عمرو نظر مُنْكرٍ ، فقال

له : باعذْتَ جدّاً .

فقال : اخرج فقل من كان ههنا من الأوس والخزرج ؛ فليدخل فخرج فقالها ، فدخلوا يتقدَّمهم النُّعمان بن بشير ؛ وهو يقول :

يَا سَعْدُ لا تُجِبِ الدُّعاءَ فَمَالَنا نَسَبٌ نُجِيبُ بِهِ سِوَىٰ الأَنْصَارِ
نَسَبٌ تَخَيَّرَهُ الإلهُ لِقَوْمِنا أَثْقِلْ بِهِ نَسَبَاً علىٰ الكفَّارِ
إنَّ الّذينَ ثَوَوْا بِبَدْرٍ مِنْكُمُ يَوْمَ القَلِيْبِ هُمُو وَقُودُ النَّارِ

فقال معاوية لعمرو : قد كنا لأغنياء عن هذا .

والنعمان بن بشير من المعروفين في الشعر سلفاً وخلفاً ، جدَّه شاعر وأبوه وعمه شاعران ؛ وهو شاعر ، وأولاده وأولادُ أولادِه شعراء .

* * *

إعطاء اللها

وقيل للفرزْدق : إنك لتمدح آل المهلَّب وتحبُّهم ولا تكُفُّ عن ذلك ؟ فقال : أما علمتَ إن إعطاء اللُها[1] يَفْتَحُ اللُها ؛ وَيَغْرِسُ الهَوى .

* * *

ومنا أميرَ المؤمنين شبيب

ذكر في كتاب « زبدة الصحائف في أصول المعارف » لنوفل نعمة الله نوفل الطرابلسي المسيحي أنَّه يُروى عن عُتبانَ الحريريِّ ابن أصيلة ؛ وأصيلةُ أُمُّه ، وقيل : وصيلة ، وهو من بني شيبان من سَراة الجزيرة ، أنَّه لمّا أُحضِر إلى عبد الملك بن مروان بعد أن ظفر هذا الخليفة بأبي الضحاك شبيب بن يزيد الشيباني الخارجي غريقاً ؛ فقال له : يا عدو الله ؛ ألست القائل :

---

(١) اللها : مفردها لهية وهي الأعطية السنية . واللها الثانية : مفردها لهاة ، وهي التي في الحلق . يريد أن الأفواه تفتح بالمديح والثناء .

فإن كان مِنْكُم كَانَ مَرْوَانُ وابْنُهُ　　وَعَمْرٌو وَمِنْكُمْ هَاشِمٌ وَحبيْبُ
فَمِنَّا حُصَيْنٌ والبَطِيْنُ وَقَعْنَبٌ　　وَمِنَّا أَمَيْرُ المُؤمنينَ شَبِيبُ !؟

فقال : لم أقل كذا ؛ يا أميرَ المؤمنين ! وإنَّما قلتُ :

« وَمِنَّا أَميرَ المُؤْمنين شَبيْبُ » .

فاستحسن عبدُ الملك قوْلَه وأمر بتخليته . لأنَه إذا كان « أميرُ المؤمنين » في شطر البيت الأخير برفع « أمير » مبتدأ و « شبيب » خبَرَه ، فيكون شبيبٌ أميرَ المؤمنين ؛ وأمَّا إذا كان « أميرَ » منصوباً !! فقد حُذِف منه حرف النِّداء . ويكون المعنى : ومِنَّا يا أميرَ المؤمنين شبيبُ(١) .

* * *

لا تنكروا ضربي مثلًا

في « تفسير النسفي » في سورة النور ما نصُّه : وضرْبُ المثل يكونُ بدنيءٍ

---

(١) ويقرب من قصة عتبان الحريري ما ذكره في « روح البيان » بأول سورة القصص : إنَّ أمَّ موسى لمَّا قالت لأخته كلثوم ﴿ قُصِّيهِۖ ﴾ ﴿ عَن جُنُبٍ ﴾ وحرم الله عليه المراضع فأتتهم وقالت لهم ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ قال : رُوي أنَّ هامان لمَّا سمعها قال : إنَّها لتعرفه وأهله ، خذوها حتَّى تخبرَ مَن له ، فقالت : إنَّما أردت ﴿ وَهُمْ ﴾ للملك ناصحون . يعني أرجعتْ الضمير إلى الملك ؛ لا إلى موسى تخلُّصاً من يده ! فقال : يا هامان ، دعوها لقد صدقت ، فأمرها فرعون بأن تأتيَ بمَن يكفُلُه فأتت بأمِّه وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلِّله أو في يد آسيةَ فدفعه إليها ، فلمَّا وجد ريحها استأنس والتقمَ ثديها .

قال في « كشف الأسرار » : لم يكن بين إلقائها إيَّاه في البحر وبين ردِّه إليها إلاَّ مقدارُ ما يصبر الولد فيه عن الوالدة .

وقيل : مكث ثماني ليال لا يقبل ثدياً . والله أعلم .

محسوس معهود ، لا بعليٍّ غير معاين ولا مشهود ، فأبو تمَّام لمَّا قال في المأمون :

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتَمٍ   فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذَكَاءِ إِيَاسِ

قيل له : إنَّ الخليفةَ فوق من مثَّلْتَهُ بهم !! فقال مرتجلاً :

لاَ تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ   مَثَلاً شَرُوداً فِي ٱلنَّدَىٰ وَٱلْبَاسِ
فَٱللهُ قَدْ ضَرَبَ ٱلأَقَلَّ لِنُورِهِ   مَثَلاً مِنَ ٱلمِشْكَاةِ وَٱلنِّبْرَاسِ

* * *

لمَ لا تقول ما يفهم ؟

وممَّا ذُكِر في ترجمة أبي تمَّام حبيبِ بن أوس الطائي أنَّه كان يذهبُ إلى حُزُونة اللفظ ، فيتبع حوشِيَّه ولا يهجرُ مهجوره ، ويرمي إلى الأشياء من بُعْد ، ويطلبُ المعاني بكُلْفَة ، ويأخذُها بقوَّة .

وسمعه رجلٌ في مجلس حفلٍ يُنْشِدُ شيئاً من شعره ؛ فقال : يا أبا تمَّام ؛ لِمَ لا تقولُ من الشِّعر ما يُفهَم ؟ فقال له : وأنتَ لم لا تفهمُ من الشِّعر ما يُقال !؟ فأخجله .

على أنَّ الكثرة من شعره ليست من هذا النوع الذي يَعْسُرُ فهمُه .

ولد سنة ١٩٠ هـ بجاسم : قرية من قرى حوران وانتقل إلى مصر ، ونشأ بها ، وتوفي بالمَوْصِل سنة ٢٣١ هجرية غير متجاوزٍ أربعين ربيعاً .

* * *

وهل هو إلا حسنة من حسناتك

يُحكى أنَّ المهديَّ خرج يتصيَّد فلقِيَهُ الحسين بن مطير الأسدي ؛ فأنشده :

أَضْحَتْ يَمِيْنُكَ مِنْ جُودٍ مُصَوَّرَةً ... لاَ بَلْ يَمِيْنُكَ مِنْهَا صُوْرَةُ ٱلْجُودِ
مِنْ حُسْنِ وَجْهِكَ تُضْحِي ٱلأَرْضُ مُشْرِقَةً ... وَمِنْ بَنَانِكَ يَجْرِي ٱلْمَاءُ فِي ٱلْعُودِ

فقال المهديُّ : كذبتَ ؛ يا فاسق ، وهل تركتَ في شعرك موضعاً لأحدٍ مع قولك في مَعْنِ بن زائدة :

أَلِمَّا بِمعْنٍ ثُمَّ قُولا لِقَبْرِهِ ... سَقَتْكَ ٱلْغَوَادِي مَرْبَعاً ثُمَّ مَرْبَعَا
فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كُنْتَ أَوَّلَ حُفْرَةٍ ... مِنَ ٱلأَرْضِ خُطَّتْ لِلْمَكَارِمِ مَضْجَعَا
وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ ... وَقَدْ كَانَ مِنْهُ ٱلْبَرُّ وَٱلْبَحْرُ مُتْرَعَا
وَلٰكِنْ حَوَيْتَ ٱلْجُوْدَ وَٱلْجُودُ مَيِّتٌ ... وَلَوْ كَانَ حَيّاً ضِقْتَ حَتَّى تَصَدَّعَا
وَمَا كَانَ إِلاَّ ٱلْجُودُ صُوْرَةَ وَجْهِهِ ... فَعَاشَ رَبِيْعاً ثُمَّ وَلَّىٰ فَوَدَّعَا
فَلَمَّا مَضَىٰ مَعْنٌ مَضَىٰ ٱلْجُودُ وَٱلنَّدَىٰ ... وَأَصْبَحَ عِرْنِيْنُ ٱلْمَكَارِمِ أَجْدَعَا

فأطرق الحسينُ وقال : يا أمير المؤمنين ؛ وهل معنٌ إلاَّ حسنةٌ من حسناتك ! فرضي عنه وأمر له بألفي دينار[1] .

* * *

عادة الكافور

ذكر الشيخ أحمد الحفني في كتابه « الجواهر الحسان في تاريخ الحُبْشان » في الباب الثاني في الفصل الأول في كتاب النَّبيِّ ﷺ المرسَلةِ منه إليهم قال : وعلى ذكر الكافور يحسن بنا ذكر هذا الخبر المأثور ؛ وهو :

لَمَّا جرحَ بعضُ الصحابة في بعض الغزوات ، عُولج لينقطعَ الدَّمُ ؛ فلم ينقطع ؛ فقال حسانُ بن ثابت رضي الله تعالى عنه عند ذلك : ائتوني بكافور . فجيء له به ؛ فوضعه على الجرح فانقطعَ دمُهُ في الحال !! فقال له رسول الله ﷺ عند ذلك : « ممَّ أَخَذْتَ هَذَا يَا حَسَّانُ !؟ » فقال : مِن قول

(١) « ثمرات الأوراق » لابن حجة الحموي .

امرىء القيس يا رسول الله :

فَكَّرْتُ لَيْلَةَ وَصْلِهَا في هَجْرِهَا ... فَجَرَتْ مَدَامِعُ مُقْلَتِي كَٱلْعَنْدَمِ
فَطَفِقْتُ أَمْسَحُ مُقْلَتَيَّ بِخَدِّهَا ... إِذْ عَادَةُ ٱلْكَافُورِ إِمْسَاكُ ٱلدَّمِ

فقال عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ مِنَ ٱلشِّعْرِ لَحِكْمَةً !! » انتهى .

* * *

كيف أفضِّله عليك ؟

ذكر بعض الإخباريين أنّ حسّان بن ثابت وفد على الحارث ابن أبي شمر بالشام . . وكان النعمان بن المنذر ملك الحيرة يساميه ، فقال الحارث لحسّان : يا ابن الفريعة ؛ بلغني أنّك تُفضِّل النعمان عليَّ !!

فقال له حسّان : وكيف أفضّله عليك وأساميك به !! فوالله لقفاك أحسن من وجهه ، وَلأُمُّكَ أشرف من أبيه ، ولشمالك أجود من يمينه ، ولقليلك أكثر من كثيره ، ولكرسِيّك أوسع من سريره ، ولجداولك أغزر من بحوره ، وليومك أطول من شهوره ، ولسكوتك خير من كلامه ، وأفعالك أنطق من لسانه ، وخطؤك خير من صوابه وإنّك لمن غسّان ، وإنّه من لخم ، فكيف أفضّله عليك ، أو أعدله بك ؟![1]

* * *

قصدتك بكل ما أقدر عليه

وذكر الطبّاخ في « تاريخه » ؛ عن كتاب « ثمرات الأوراق » لابن حجّة الحموي : أنَّ سيف الدولة بن حمدان انصرف من حرب وقد نُصر على عدوّه ، فدخل عليه الشعراء فأنشدوه ، فدخل معهم رجل شاميٌّ فأنشده :

---

(١) من تاريخ الدولة الرسولية .

وَكَانوا كَفأْرٍ وَسْوَسُوا خَلْفَ حَائِطٍ وَكُنْتَ كَسِنَّوْرٍ عَلَيْهِمْ تَسَقَّفا

فأمر بإخراجه ، فقام على الباب يبكي ، فأُخبر سيفُ الدولة ببكائه ، فرقَّ له وأمر بردِّه وقال له : ما لك تبكي ؟ قال : قصدتُ مولانا بكلِّ ما أقدرُ عليه أطلبُ منه بعضَ ما يَقدر عليه[1] ، فلمَّا خاب أملي بكَيت ، فقال له سيف الدولة : ويلك ؛ مَن يكون له مثل هذا النثر ؛ يكون له هذا النظم !! وكم كنت أمّلتَ؟ قال : خمس مئة درهم ، فأمر له بألف درهم فأخذها وانصرف . اهـ .[2] .

* * *

الثقة لا يكون نَمَّاماً

وشىَ واشٍ إلى زياد بن هَمّام ، وقال : إنّه هجاك ، فأحضره وأعلمه ، فقال : كلّا ، فقال : أخبرَني بذلك الثقةُ ، فقال : الثقةُ لا يكونُ نمّاماً ، فأحضر الساعي وجبَهَه بذلك فقال :

وأَنْتَ امرُؤٌ إمَّا ائْتَمنْتُكَ خالِياً فخُنْتَ وإما قُلْتَ قَوْلاً بِلا عِلْمِ

---

(١) وفي رواية : قال لسيف الدولة : مدحتك بأحسن ما عندي رجاء بعض ما عندك .

(٢) قلت : وأيُّ فرقٍ بين بيتَيْ أبي الجهم وهما :

وأنتَ كلبٌ بحفظِ الوِدَادِ وأَنْتَ كَدَلْوٍ كَثِيرُ الذَّنُوبِ
وتَصْبِرُ بالخَطْبِ كَصَبْرِ الحِمَارِ وتشبه تيساً بِقَرْعِ الخُطوبِ

وهذا البيت؟ ولو اطلع عليهما سيفُ الدولة لعذَرَه ، ولو اطلع عليهما ذاك المسكين لاحتجَّ بهما .

وذلك أنه قيل : إنّ عليّ بن الجهم مدح الخليفة العباسي بهذين البيتين فكانا سبب إعجابه به ؛ فأمر بإبقائه عنده ، حتى نظم له القصيدة الشهيرة التي سارت بها الركبان والتي منها :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

والله أعلم .

فـأَنْـتَ مـن الأمـر الـذي كـانَ بَيْنَنـا بمنــزلَــةٍ بيــنَ الخِيــانَــةِ والإثْــمِ

* * *

اجعل بينهما محلّلًا

قصدَ أعرابيٌّ المأمونَ ، فقال : قد قلتُ شِعراً ، فقال : أَنشْدْه . فأنشد :

حَيّــاكَ ربُّ النَّــاسِ حَيّــاكَ إذ بجمــالِ الــوَجْــهِ رَدّاكــا

بغْــدادُ مــن نــورِكَ قــد أشْــرَقَــتْ وأَوْرَقَ العُــودُ بِجَــدْواكــا

فأطرقَ المأمونُ ساعةً ثم أنشد :

حَيّــاك رَبُّ النــاسِ حَيَّــاكَ إنّ الــذي أمَّلْــتَ أخْطَــاكَ

أتيــتَ شَخْصــاً كِيْسُــهُ قــد خَــلا ولَــوْ حَــوَى شَيْئــاً لأعْطــاكــا

فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن بيعَ الشعرِ بالشّعر ربا فاجعل بينهما مُحَلّلا ، فضَحِكَ ، وأمرَ له بمال .

* * *

وإذا المنية أنشبت أظفارها

دخل أحد الشامتين على بعض الملوك يعودُه في مرضِ موته ، فوجده قد استند جالساً يتجلَّدُ له ، فضعُف عن القعود ؛ فاضطجع وأنشد :

وَتَجَلُّــدِي لِلشّــامِتِيْــنَ أُرِيْهِــمُ أَنِّــي لِـرَيْــبِ ٱلـدَّهْـرِ لاَ أَتَضَعْضَـعُ

فقام الرجلُ من عنده ، وهو يُنشد :

وَإِذَا ٱلمَنِيَّــةُ أَنْشَبَــتْ أَظْفَــارَهَــا   أَلْفَيْــتَ كُــلَّ تَمِيْمَــةٍ لاَ تَنْفَــعُ

فعجب الحاضرون من سُرعة البداهة .

وتنسب هذه القصة للحسن أو الحسين مع معاوية رضي الله عنهم .

إلا أنّ ابن خَلِّكان كذّبها ، لأنّ الحسن توفي قبل معاوية ، والحسين لم يحضر وفاة معاوية لأنه كان مقيماً بالحجاز ، ومعاوية بالشام .

انظرها في ترجمة يحيى بن أكثم .

والبيتان في قصيدة طويلة لأبي ذؤيب الهذلي يرثى بها بنيه الخمسة .

* * *

ماذا أنت مختار ؟

ومن اللطائف : أنَّ رجلاً كتب إلى صالح بن عبد القدوس :

المَـوْتُ بَـابٌ وَكُـلُّ ٱلنَّـاسِ دَاخِلُـهُ   فَلَيْتَ شِعْرِيَ بَعْدَ ٱلبَابِ مَا ٱلدَّارِ

فأجابه بقوله :

الـدَّارُ جَنَّـاتُ عَـدْنٍ إِنْ عَمِلْـتَ بِمَـا   يُـرْضِـي ٱلإِلَـهَ وَإِنْ خَـالَفْـتَ فَـالنَّـارُ

هُمَـا مَحَـلاَّنِ مَـا لِلنَّـاسِ غَيْـرُهُمَـا   فَـانْظـر لِنَفْسِـكَ مَـاذَا أَنْـتَ مُخْتَـارُ

* * *

طائرك السابق

كان والي مصر يلعبُ بالحمام ، فتسابق هو وخادم له فسبقه الخادم ، فبعثَ الأَميرُ إلى وزيره يستعلمُ الحالَ ، فكره الوزيرُ أن يكتبَ إليه : إنَّك قد سُبقت ؛ ولم يَدرِ كيف يكنِّي عن تلك الحال !! فقال له الكاتب : إنْ رأيتَ أن تكتب :

يَـا أَيُّهَـا ٱلمَـوْلَـىٰ ٱلَّـذِي جَـدُّهُ ... لِكُـلِّ جَـدٍّ قَـاهِـرٌ غَـالِـبُ
طَـائِـرُكَ ٱلسَّـابِـقُ لُكِنَّـهُ ... أَتَـىٰ وَفِـي خِـدْمَتِـهِ حَـاجِـبُ

فاستحسنَ ذلك ، وأمرَ له بجائزة وكتب به[1] .

* * *

نظْرتَ ولكن

وكان ناصر الدين شافع قد وقف على شيءٍ من نظم ابن الوحيد الكاتب ، فأثنى عليه وشكره ، فلمَّا بلغ ابن الوحيد ذلك قال :

أَنَـا ٱلَّـذِي نَظَـرَ ٱلأَعْمَـىٰ إِلَـىٰ أَدَبِـي ... .

وكان ناصر الدين شافع قد عمي ، فلمَّا بلغه قولُه كتب إليه أبياتاً يهجوه :

نَعَـمْ نَظَـرْتُ وَلَكِـنْ لَـمْ أَجِـدْ أَدَبَـا ... يَـا مَـنْ غَـدَا وَاحِـداً فِـي قِلَّـةِ ٱلأَدَبِ
عَيَّـرْتَنِـي بِعَمَـىً أَصْبَحْـتَ تَـذْكُـرُهُ ... وَٱلعَيْبُ فِي ٱلرَّأْسِ دُونَ ٱلعَيْبِ فِي ٱلذَّنَبِ

* * *

خانتْ فهانتْ

ويروى عن أبي العلاء اعتراضٌ على حكم الشرع حيث قال :

يَـدٌ بَخَمْـسِ مِئِيْـنَ عَسْجَـدٍ وُدِيَـتْ ... مَا بَالُهَا قُطِعَتْ في رُبْعِ دِيْنَارِ؟![2]

---

(١) أخبار الظراف لابن الجوزي .

(٢) كان القطع بالسرقة معمولاً به في الجاهلية تُقرَّر في الإسلام وزيد به شروطٌ حسب المصلحة ؛ كما كانت القسامة والدِّيَة والقراض وغير ذلك من الأشياء التي قرَّرها الشرع وأصلحها ، ويقال : إنَّ أوَّل مَن قطع الأيدي في الجاهلية قريشٌ ؛ قطعوا رجلاً يقال له (فريك) مولى لبني ملح بن عمر من خزاعة ؛ كان قد سرق كنز الكعبة ، ويقال : سَرَقه قومٌ فوضعوه عنده ! فقيل : يقطع السارق مهما سرق . . قليلاً ؛ أو كثيراً .
وقال الجمهور : للسرقة نصابٌ هو ثلاثة دراهم مضروبة عند مالك ، أو ما يبلغ ثمنَها .
وقال الشافعيُّ : بربع دينار ؛ أو ما يساويها .
وعند أحمد : بربع دينار ؛ أو ثلاثة دراهم ؛ أو ثمن المِجّنِّ ؛ وكانت هذه تساويه . =

تَنَاقُضٌ مَالَنَا إلاَّ ٱلسُّكُوتُ لَهُ ... وَأَنْ نَعُوذَ بِمَوْلاَنَا مِنَ ٱلنَّارِ

وقد أجابه القاضي عبد الوهاب المالكيُّ بقوله :

عِزُّ ٱلأَمَانَةِ أَغْلاَهَا وَأَرْخَصَهَا ... ذُلُّ ٱلْخِيَانَةِ فَٱفْهَمْ حِكْمَةَ ٱلْبَارِي

خَانَتْ فَهَانَتْ وَإِنْ تَمَّ ٱلرَّجِيْمُ عَلَىٰ ... تِلْكَ ٱلْمَقَالَةِ بَشَّرْنَاهُ بِٱلنَّارِ

لَمَّا كَانَتْ أَمِيْنَةً كانت ثمينة ، ولمَّا خانت هانت .

* * *

أبي الذي يقول

وروي في حديثِ معاوية رضي الله عنه أنَّه قال لابن أَبي مِحجن الثَّقفي : أبوك الذي يقولُ :

إذا متُّ فادفنّي إلى جنبِ كرمةٍ ... تُروّي عِظامي بعد مَوتي عروقُها

ولا تَدفننّي في الفلاةِ فإنَّني ... أخافُ إذا ما متُّ أن لا أَذوقها

فقال : أبي الذي يقول :

وقد أَجودُ وما مالي بذي قنعٍ ... وأَكتمُ السرَّ فيه ضَربةُ العُنُقِ(١)

* * *

= وعند أبي حنيفة : عشرة دراهم مضروبة غير مغشوشة ، أو ما يساويها وإنَّ ثمن المجن كان عشرة دراهم .

والمال المسروق لا بدَّ من ردِّه لصاحبه ؛ أو بدِله عند الجمهور .

وقال أبو حنيفة : إنْ تلف المسروق بيد السارق لا يُردُّ بدَلُه .

وفي « معجم الأدباء » لياقوت الحموي : قال المؤلِّف : كان المعريُّ لا يفقه شيئاً ، وإلاَّ ! فالمراد بهذا بَيِّنٌ ، لو كانت اليد لا تقطع إلاَّ في سرقة خمس مئة دينار . . لكثر سرقةُ ما دونها ؛ طمعاً في النجاة ، ولو كانت اليد تُفدىٰ بربع دينار . . لكثر مَن يقطعها ، ويؤدِّي ربع دينار دِيَةً عنها !! .

نعوذ بالله من الضلال .

(١) حياة الحيوان للدميري .

فإنك كالدنيا

وقال الفَضْلُ بن مَرْوان لرجل عاتبه : بَلَغني أنّك تبغضُني . فلم ينكِرِ الرجل ، وقال : أنت كمَا قال الشاعر :

فـإنّـك كـالـدُّنيـا تُـذَمُّ صُـرُوفُهـا ونـوسِعُهـا ذَمّـاً ونَحـنُ عَبيـدُهـا

*　*　*

أين قولك ؟

كان محمَّد بنُ عبد الملك بن الزيَّات ، يقول : رِقَّةُ القَلْب من خَوَرِ الطبيعة . ولما أمر الواثق بتعذيبه وبحبسه في تَنُّور من الحديد وإطباقِهِ عليه ؛ قال لمعذِّبه : ارْحَمني .

فردَّ الخبرَ إلى الواثق ، فقال : أين قولكَ : لا تكونُ الرَّحْمةُ إلا من خَوَرٍ ؟ ثم تمثّل بقوله :

فَلَا تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أنْتَ سِرْتَها ....

*　*　*

مالَكَ سبيل

ادعى رجـلٌ على آخـر بحضـرة قـاض ، فطالبه بالشاهِدَيْن ، وقال : مالك سبيل إلى ما تدَّعيه إلا بالشاهدين ، فقال الرجل متمثلاً بهذا البيت :

وبايَعْتُ لَيْلَى في خَلاءٍ ولم يَكُنْ شُهُودِي عَلَى لَيْلَى عَذُول مُقَانعُ[1]

فتلطَّف القاضي في أخذ إقرار المدَّعَى عليه ، وألزمه الحق .

*　*　*

---

(١) العذْل : الملامة . المِقْنَعَة : ما تقنّع به المرأة رأسها .

ـ قيل : إنَّ لويس التاسع قصد بعساكره مصر ؛ فقهره الملك توران شاه وأسره ، وسجنه في دار ابن لقمان مقيداً ، وأسلمه إلى الطواشي صبيح المفطمي ، ثم فدا نفسه فأُطلق ثم بلغ ملك مصر بعد سنين أنه يستعد للعودة ، فأعدَّ لملاقاته العدَّة ، ونظم ابن مطروح قصيدة مطلعها :

قُــلْ للفــرنْسِيــس إذا جئتَــهُ   مقــالَ حَــقٍّ مِــنْ مَقُــولٍ فَصِيــحْ

وختمها بقوله :

وَقُــلْ لَهُــمْ إنْ أَضْمَــرُوا عَــوْدَةً   لأخْــذِ ثــارٍ أَوْ لِعَقْــدِ صَحِيــحْ
دارُ ابــنِ لُقْمَــانَ علــى حَــالِهَــا   والقَيْــدُ بَــاقٍ والطــواشــيُّ صُبَيْــحْ

فأشار عليه رجاله أن يحتلَّ تونسَ أولاً ، فإنْ فعلَ تمكَّنَ من مصر في البرِّ والبحر ، فلما توجَّه إلى تونس وكانت قصيدة ابن مطروح قد اشتهرت في الغرب ، قال أحد وزراء المستنصر :

يــا فــرنْسِيــسُ هــذه أُخْــتُ مِصْــرَ   فتيقَّــنْ لِمَــا إلَيْــهِ تَصِيــرُ
لَــكَ فيهــا دَارُ ابــنِ لقمــانَ قَبْــرٌ   وَطَــواشِيــكَ مُنْكَــرٌ وَنَكِيــرُ

* * *

النســـــاء

أضحك في وجهكِ فتعبسين

وكان أحمد ابن أبي طاهر قبيح الوجه وكان له جارية من أحسن النساء ، فضحك إليها يوماً فعبَست في وجهه . فقال لها : أضحك في وجهك فتعبسين في وجهي ، فقالت : نظرتَ أنت إلى ما سرَّك فضحكت ، ونظرتُ إلى ما ساءني فعبست .

* * *

أسأتَ يا هذا

رُويَ أنَّ بعضَهم رأى امرأة جميلة مع رجل قبيح المنظر ؛ فقال لها : أترضين أن تكوني معه !؟ فقالت : قد أسأتَ يا هذا حيث لم تترك التدبير إلى العليم الخبير !! لعلَّ زوجي أحسنَ فيما بينه وبين الله تعالى فجعلني ثوابه ، ولعلِّي أسأتُ فيما بيني وبينَه.. فجعله عقوبتي ، أفلا أرضى بما رضي به الحكيم العليم !!

* * *

أوَيعدُّ هذا فصاحة !؟

سمع الأصمعي كلام جارية تقول :

أَسْتَغْفِرُ ٱللهَ لِذَنْبِي كُلِّهِ   قَتَلْتُ إِنْسَاناً بِغَيْرِ حِلِّهْ
مِثْلَ ٱلغَزَالِ نَاعِمٍ فِيْ دَلِّهِ   ٱنْتَصَفَ ٱللَّيْلُ وَلَمْ أُصَلِّهْ

فقال لها : قاتلك الله ؛ ما أفصحك !! فقالت : أويعدُّ هذا فصاحةً بعد قول الله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[1] فجمع سبحانه وتعالى في آية واحدة بين أمرين ونهيين ، وخبرين وبشارتين !!.

* * *

لو تاب عليكَ لتبتَ

قال رجلٌ لرابعة العدوية : إنّي قد أكثرتُ من الذُّنوبِ والمعاصي ؛ فهل يتوبُ عليَّ إنْ تبتُ ؟ قالت : لا ؛ بل لو تاب عليك لتبت .

* * *

شيخ جهل ، وامرأة علمت

قال صالح المُرِّي : مَن أدمن قرعَ بابٍ يوشك أن يُفتح له !!

قالت له رابعة العدوية : متى أُغلق هذا البابُ حتَّى يُستفتَح ؟! فقال صالح : شيخٌ جهِل ؛ وامرأةٌ علِمتْ .

* * *

---

(١) الآية : ٧ ؛ من سورة : القصص .

أفقه من ابن قتيبة

وممَّا قيل عن ابن قتيبة أنَّ جاريةً أتته بهديَّةٍ ؛ فقال لها : قد علم مولاكِ أنِّي لا أقبلُ الهديَّةَ . قالت له : ولِمَ ؟ قال : أخشى أن يستمدَّ مني علماً لأجل هديَّته .

فقالت : ما استمدَّ الناسُ من رسول الله ﷺ أكثرُ ممَّا استمدَّهُ منك ، وقد كان يقبل الهديَّة !! فقَبِلَها .

قال : فكانت الجاريةُ أفقَه منِّي .

* * *

جمعْتَهُ حيَّاً وجمعك ميتاً

لمَّا مات الإسكندر ذو القرنين ؛ وُضِعَ في تابوته بين يدي أُمِّه ؛ وكان بين يديها الحكماء والعظماء ، فقام حكيم ؛ فقال : هذا يومٌ أقبلَ من شرِّه ما كان مُدبراً ، وأدبرَ من خَيره ما كان مُقبلاً . ثمَّ جلس .

فقامَ آخرُ ؛ فقال : حرّكتنا بسكونك يا إِسكندر . ثمَّ جلس .

فقام آخر ؛ وقال : بالأمسِ كنتَ تتكلَّمُ ، ونحن سكوتٌ ، ونحن الآنَ نتكلَّمُ . وأنت ساكتٌ . ثم جلس .

فقام آخر ؛ فقال : بالأمسِ كان لا يُحسنُ خياطةَ ثوبك أحدٌ ، والآن يُحسنُ خياطةَ كفنِكَ عجوزٌ ! ثم جلس .

فقام آخر ؛ فقال : بالأمسِ كان لا يَسعك شيءٌ من الأرضِ لكثرة جنودك ، واليوم يَسعُكَ من الأرض مِقدارُ أربعة أذرع . ثم جلس .

فقامت أمُّه ؛ فقالت : العجب كلّ العجب ممّن وسعتْ آفاقَ السماء حكمتُهُ ، وأقطارَ الأرض مملكتُه ، ودولة العباد عنوته ، كيف تَرونه ساكتاً لا

يتكلَّم !؟ ونائماً لا يستيقظ !؟ محمولاً على أيدٍ لم تكن تَناله !!

ثمَّ مدَّتْ يدها إلى تابوته ، وكان من ذهب ؛ وقالت : يا إسكندر ؛ جمعتَهُ حيّاً وجمعَكَ ميتاً .

* * *

العقوبة بعد الذنب

دخلت هندٌ بنتُ المُهلَّب على عمرَ بن عبد العزيز ؛ فقالت له : يا أمير المؤمنين ؛ علام حبَسْتَ أخي !؟ قال : تخوَّفت أنْ يشقَّ عصا المسلمين .

فقالت له : فالعقوبةُ بعدَ الذنب ؛ أو قبل الذنب ؟ .

* * *

باب الله لا يغلق

أراد رجلٌ فاسق أن يراود امرأةً عفيفةً بالحرام ؛ فقال لها : امضي ، وأغلقي أبوابَ الدار جميعَها ، وأحكمي إغلاقها . فمضتِ المرأةُ ثمَّ عادت ، فقالت : قد غلَّقتُ سائر الأبواب ، وأوثقتُ إغلاقها سوى بابٍ واحد .

فقال : أيُّ الأبواب ذلك الباب ؟ فقالت : تلك الأبواب التي بيننا وبين الخلْق قد أغلقتُها ؛ وقد بقي البابُ الذي بيني وبين الخالق جلَّتْ عظمتُه ، وما قدرتُ عليه ، ولا استطعت أن أُغلُقه ، وهو بحاله مفتوح .

فوقع في نفس هذا الرجلِ من هذا الكلام الهيبةُ ، فأخلص لله التوبة ،

وأقلع عن ذنبه ، وعاد إلى طاعة ربِّه الأعلى[1] .

* * *

المثلة أحلَّت ؟!

كانت ميسونُ بنت بحدلٍ الكلبيَّةُ -زوج معاوية بن أبي سفيان ، وأمُّ يزيد بن معاوية- : امرأة لبيبة ، رُوي أنَّ معاوية دخل عليها ومعه حديج الخصيّ ، فاستترت منه ، فقال لها معاوية : إنَّ هذا بمنزلة المرأة ؛ فعلام تستترين منه !؟

فقالت له : كأنَّك ترى أنَّ المثلة أَحلَّت لي منه ما حرَّم الله عليه[2] .

* * *

اقتلوا قاتل بعلي

أورد الداووديُّ في مجموعه قصيدة طويلة مطلعها :

هَــلْ بِــٱلطُّلُــولِ لِسَــائِــلٍ ردُّ   أَمْ هَــلْ لَهَــا بِتَكَلُّــمِ عَهْــدُ

قال رحمه الله :

هذه القصيدةُ المُسمَّاة بـ « اليَتيمة » ادَّعاها أربعون شاعراً ؛ فلم تثبتْ لواحدٍ منهم ، وقد قيل : إنَّ بنتاً من فصحاءِ العرب آلتْ على نفسِها أن لا تتزوَّجَ إلاّ بأفصحَ منها ، فتسامعَ فُصحاءُ العربِ بها ، فعمل رجلٌ من تهامةَ هذه القصيدة ، ورحل بها قاصداً حيَّ البنتِ ، فرافقه رجل من العراق ، فحكى له التهاميُّ القصَّة وأنشده القصيدة ، فقتله وقصد حيَّ البنت ، وأطلعَها على النَّشيدِ ، وانتحلها وأخبرها أنَّه من العراق ؛ فلمَّا بلغَ من القصيدة إلى قوله :

إِنْ تُتْهِمِــي فَتِهَــامَــةٌ وَطَنِــي   أَوْ تُنْجِــدِي يَكُــنِ ٱلْهَــوَىٰ نَجْــدُ

---

(١) « التبر المسبوك » للإمام أبي حامد الغزالي .

(٢) تاريخ مدينة دمشق ابن عساكر .

فصاحت بقومها : اقتلوه ، فإنَّه قاتلُ بعلي ، فهدّدوه فأقرَّ فقتلوه[١] .

* * *

زر هكذا مختفياً في الظلام

حُكي أنَّ كريمَ الملك كان من ظُرفاء الكُتَّاب ، فَعَبَرَ يوماً تحت جوْسقٍ ببستان ، فرأى جاريةً ذات وجْهٍ زاهر وكمالٍ باهر ، لا يستطيعُ أحدٌ وصفَها ، فلمَّا نظر إليها ذُهل عقلُه وطار لبُّه ، فعاد إلى منزله ، وأرسل إليها هديَّةً نفيسة مع عجوزٍ كانتْ تخدُمه ، وكانت الجاريةُ عَزَبَة ، وكتب إليها رُقْعةً يعرِّضُ إليها بالزيارةِ في جَوْسَقِها .

فلمَّا قرأتِ الرُّقعةَ قبلتِ الهديَّة ، ثمَّ أرسلت إليه مع العجوز عَنْبَراً ؛ وجعلتْ فيه زِرَّ ذهب ، وربطَتْ ذلك على منديل ؛ وقالت للعجوز : هذا جوابُ رُقعته .

فلمَّا رأى كريمُ الملك ذلك لم يفهمْ معناه ، وتحيَّر في أمره ، وكانت له ابنةٌ صغيرةُ السِّنّ ، فلمَّا رأَتْ أباها مُتحيِّراً في ذلك قالت له : يا أبتِ ؛ أنا علمتُ معناه . قال : ما هو لله درُّك ؟! قالت :

أَهْدَتْ لَكَ ٱلعَنْبَرَ فِيْ جَوْفِهِ ... زِرٌّ مِنَ التِّبْرِ خَفِيُّ ٱللِّثَامْ

فَٱلزِّرُّ وَٱلعَنْبَرُ مَعْنَاهُمَا ... زُرْ هَكَذَا مُخْتَفِياً فِي ٱلظَّلَامْ

قلت : والجَوْسَق : القصر ؛ كما في « القاموس » عن الجوهري ، وأَصلُها بالفارسية كوشك ، وقال ابن بَرِّي : الجَوْسَق : الحصن . اهـ[٢] .

* * *

---

(١) من مجموع الداوودي .

(٢) « المستطرف » .

كُثَيِّر وعزّة

دخلت عزَّة على عبد الملك بن مروان فقال لها : أنتِ عَزَّة كُثَيِّر !؟ قالت : أنا أم بكر الضمرية ، قال لها : يا عزَّة ؛ هل تروين من شعر كُثَيِّر شيئاً ؟! قالت : ما أعرفه ! ولكن سمعت الرواة ينشدون له :

قَضَىٰ كُلُّ ذِي دَيْنٍ فَوَفَّىٰ غَرِيْمَهَ ... وَعَـزَّةُ مَمْطُـولٌ مُعَنًّـىً غَـرِيْمُهَـا

قال : أفتروين قوله

وَقَدْ زَعَمَتْ أَنِّي تَغَيَّرْتُ بَعْدَهَا ... وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يَا عَزُّ لاَ يَتَغَيَّرُ

تَغَيَّرَ حَالِي وَٱلخَلِيْقَةُ كَٱلَّذِي ... عَهِدْتُ وَلَمْ يُخْبَرْ بِسِرِّكَ مُخْبِرُ

قالت : ما سمعتُ هذا ؛ ولكن سمعتُهم ينشدون :

كَأَنِّي أُنَادِي صَخْرَةً حِيْنَ أعرضَت ... من الصُّمِّ لو تمشي بها العُصْم زلَّتِ

غضوباً فما تلقاك إلا بخيلةً ... فمن ملّ منها ذلك الوصل ملّت

* * *

بل ذلك كان منك

حُكي أنَّه لمَّا هربَ عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، أوَّل ملوك بني مروان في الأندلس من الشَّام إلى أفريقية قاصداً الأندلس . . نزل بمغيلة فصار بها عند شيخ من رؤساءِ البربر يُدعى « وانسوس » ، ويُكنى « أبا قرّة » ، فاستترَ عنده وقتاً ، فلمَّا دخلَ الأندلس واستتبَ أمرُه . . سارَ إليه أبو قرّة وانسوس البربري ، فأحسنَ إليه ، وحظيَ عنده ، وأكرمَ زوجتَه « تكفاتَ » البَربريَّةَ التي خبَّأته تحتَ ثيابها عندما فَتَشت رُسُلُ ابنِ حبيب بيتَها عنه ؛ فقال لها عبد الرحمن مُداعباً حين استظلَّتْ بظلِّه في الأندلس : لقد هَدّيتِني بريح إبطيك يا « تكفات » على ما كان بي من الخوف ، وسَطعتني بأَنتنَ من ريح الجِيف !! فكان جوابُها له مسرعةً : بل ذلك كان والله يا سيِّدي منكَ ؛ خرجَ ولَم تَشْعر به من فرطِ فَزَعِكَ . فاستظرف جوابها وأغضى عن مواجهتها بمثل ذلك ، وهذا من آفات المزاح .

أكره منك ما تكره مني

قال بعضُ الأدباء: رأيتُ امرأةً أعجبتني صورتُها، فقلت لها: ألك بعل ؟!

قالت : لا . قلت : أترغبين في التزويج ؟ قالت : نعم . ولكن فيَّ خصلَةٌ أظنُّك لا ترضاها .

قلت : وما هي ؟ قالت : بياضُ رأسي . قال : فثنَيتُ عِناني وسرتُ قليلاً ، فنادتني : أقسمتُ عليك بالله أن تقفَ لحظة .

ثمَّ أتَتْ إلى موضعٍ خال ، فكشفتْ عن رأسها ، فرأيتُ شعرَها كأنَّه العناقيدُ السُّود وقالت : والله ؛ ما بلغتُ العشرين ، ولكنّي أردتُ أنْ أُعرِّفك أنِّي أكرهُ منك ما تكرهُ منِّي !! قال : فخجِلتُ ومضيت لشأني ؛ وأنا أقول :

لَمَّــا رَأَتْ شَيْبَــاً يَلُــوحُ بِمَفْــرِقِــي ... صَــدَّتْ صُــدُودَ مَفَــارِقٍ مُتَجَمِّــلِ

فَجَعَلْــتُ أَطْلُــبُ وَصْلَهَــا بِتَمَلُّــقٍ ... وَٱلشَّيْــبُ يَغْمِــزُهَــا بِــأَنْ لاَ تَفْعَلِــي

* * *

إن الشهر كان محاقاً

تزوَّج رجلٌ من الأعراب امرأة من خُزَاعة ، فأرسل إليها مع غلام له ثلاثين شاة وزِقًّا من شراب ، فلمَّا صار الغلام في بعض الطريق ذبح شاة فأكلها ، وشرب من الزِّقِّ شيئاً ، ثمَّ أوصل إلى المرأة الوديعةَ ، فلمَّا أراد أن ينصرف إلى مولاه قال لها : يا مولاتي ؛ ألك حاجة ؟ قالت : نعم . إذا أتيتَ مولاك فأخبره أنَّ الشّهر كان محاقا[1] وأنَّ سُحميا راعي شائِنا أتانا مرثوما[2] . قال :

---

(١) المحاق : آخر الشهر .

(٢) رثمت المرأة أنفها بالطيب : لطخته وطلته وهو على التشبيه .

فلمَّا صار إليه ، قال : ما صنعت ؟

قال : أوصلت إليها ما كان معي ! قال : فهل أوصتْك بشيء ؟ قال : نعم ، قالت : قل له كذا وكذا ، فدعا بالهَرَاوة ؛ فقال : والله لأضربنَّك حتَّى تصدقَ !! قال : إن صدقتُك تعفو عني !؟ قال : نعم ، فصدقه . فعفا عنه[1] .

* * *

رأى ما رآه الناس فيك

دخلت ليلى على عبد الملك بن مروان ، وقد أسنَّت وعجزت ؛ فقال لها : ما رأى فيك توبةُ حين هويَكِ !؟ فقالت : ما رآه الناس فيك حين جعلوك خليفة . فضحك عبد الملك حتَّى بدت له سنٌّ سوداء كان يخفيها[2] .

* * *

هذا وأبيك الجواب

ذكر أبو عليٍّ القاليُّ في « أماليه » في حديث ليلى الأخْيَلِيَّة مع الحجَّاج وسؤاله لها عن عشيقها توْبَة ووصفِها له بعد موته . وكان في مجلس الحجَّاج مِحْصَن الفَقْعَسيّ ، وكان من جلساء الحجَّاج ؛ فقال : من ذا الذي تقولُ هذه هذا فيه ؟! فو الله إنِّي لأظُنُّها كاذبة . فنظرتْ إليه ثم قالت : أيُّها الأمير ؛ إنَّ هذا القائل لو رأى توبةَ لسرَّه أن لا تكون في داره عذراءُ إلاَّ وهي حاملٌ منه . فقال الحجَّاج : هذا وأبيكَ الجواب ، وقد كنتَ عنه غنيّاً[3] .

* * *

---

(١) مختارات الأصمعي ١٥٧ .

(٢) أعلام النساء : رضا كحالة .

(٣) أعلام النساء : رضا كحالة .

يرنو بعينين ليستا في رأسك

قيل : إنَّ بُثينة عشيقةَ جميل بن مَعْمَر العُذْري دخلَتْ على عبد الملك بن مروان ؛ فقال لها : والله يا بُثينة ؛ ما أرى فيكِ شيئاً لِمَا كان يقول جميل ! قالت : يا أمير المؤمنين ؛ إنَّه كان يرنو إليَّ بعينين ليستا في رأسك .

وفي رواية قال لها عبد الملك : ويحك يا بُثينة ؛ ما رجا فيك جميلٌ حين قال فيك ما قال ؟ قالت : الذي رجَتْ منك الأُمَّةُ حيت ولَّتْك أمورَها .

فما ردَّ عليها عبدُ الملك كلمة .

❊ ❊ ❊

قطع لسانها بالصلة

رُوي أنَّ ليلى الأخْيَلِيَّة مدحتِ الحجَّاج ؛ فقال : يا غلام ؛ اذهبْ إلى فلان ، فقل له يقطعُ لسانها . قال : فطلب حجَّاماً ، فقالت : ثكلَتْكَ أُمُّك ، إنَّما أَمَرك أن تقطعَ لساني بالصِّلَة .

❊ ❊ ❊

وزراء فرعون خير من وزرائك

أُتي الحجَّاجُ بامرأةٍ من الخوارج ؛ فقال لأصحابه : ما تقولون بها ؟ فقالوا له : عاجِلْها بالقتل أيُّها الأمير ، فقالت الخارجية : لقد كان وزراء صاحبك خيراً من وزرائك يا حجَّاج .

قال : ومَن هو صاحبي ؟ قالت : فرعون ، استشارهم في موسى عليه السلام ؛ فقالوا : ﴿ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾[1] .

❊ ❊ ❊

---

(١) الآية : ١١١ ؛ من سورة : الأعراف . « المستطرف » .

كرمي لا يخالط لؤمك

في كتاب « أمالي » أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجَّاجي النَّحْوي البغدادي المتوفى سنة : ٣٣٧ هـ بسنده إلى عمر بن شَبَّة ؛ قال : كانت رملةُ بنت عُبيد الله بن معمر تحت هشام بن سليمان بن عبد الله ، فجرى بينهما ذاتَ يوم كلام ؛ فقال لها : أنت بغلة لا تلدين ، فقالت له : يأبى كرمي أن يُخالِطَ لؤمَكَ .

* * *

أراد خيراً وأخطأ

أنشد رجلٌ زبيدة بنت جعفر ابن أبي جعفر المنصور :

أَزُبَيْدَةُ ٱبْنَةَ جَعْفَرٍ طُوبَىٰ لِزَائِرِكِ ٱلْمُثَابِ
تُعْطِيْنَ مِنْ رِجْلَيْكِ مَا تُعْطِي ٱلأَكُفُّ مِنَ ٱلرِّغَابِ

فوثب إليه الخدم يضربونه فمنعتهم من ذلك ؛ وقالت : أراد خيراً وأخطأ ، وهو أحبُّ إلينا ممَّن أراد شرّاً فأصاب . سمع قولهم : شِمَالُك أندى من يمينِ غيرك !! فظنَّ أنَّه إذا قال هكذا كان أبلغ ، أعطوه ما أمّل ، وعرِّفوه ما جهل .

* * *

ما منعهم أن يكون فيهم

وقف المنذرُ على عجوزٍ من العرب ؛ فقال : ممَّن أنتِ ؟! قالت : من طيِّء . فقال : ما منع طيّاً أن يكون فيهم مثل حاتم ؟ قالت : الَّذِي منع الملوكَ أنْ يكونَ فيهم مثلُك !!

فعجِبَ من سرعة جوابها ، وأمر لها بصِلة .

* * *

عجوز تقطع كُثَيِّر

ومن « المستطرف » : بينما كُثَيِّر عزَّة مارّاً بالطريق يوماً إذ هو بعجوزٍ عمياء

على قارعة الطريق تمشي ؛ فقال لها : تنحَّيْ عن الطريق . فقالت له : ويحكَ ؛ ومن تكون ؟ قال : أنا كُثَيِّر عَزَّة . قالت : قبَّحك الله ! وهل مثلُك يُنَحَّى لهُ عن الطريق !؟ قال : ثمَّ قالت : ألست القائل :

وَمَا رَوْضَـةٌ بِـٱلحَـزْنِ طيِّبـة الثَّـرَىٰ   يَمُـجُّ النَّـدَى جُثْجَـاثُهَـا وَعَـرَارُهـا

بِـأَطْيَـبَ مِـنْ أَرْدَانِ عَـزَّةَ مَـوْهِنـاً   وَقَدْ أُوْقَدَتْ بِٱلمَنْدَلِ الرَّطْبِ نَارُهَا

ويحك يا هذا ؛ لو تبخَّر بالمجمر اللَّدْن مثلي ومثلُ أُمِّك.. لطاب ريحُها ؛ لِمَ لا قلتَ مثلَ سيِّدِك امرىءِ القيس :

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ بِٱللَّيْلِ طَارِقَاً   وَجَـدْتُ بِهَـا طِيْبَـاً وَإِنْ لَـمْ تَطيَّـبِ

فقطعتُه ، ولم يَحَرْ جواباً .

* * *

كيف لا أحزن

قال الخليفةُ المأمون : دخلتُ على أمِّ الفضل لمَّا كثرَ بكاؤها وحزنُها على الفضلِ ؛ فقلتُ لها : يا أمّ ؛ لا تُكثري البكاء والحزن على ذي الرِّياستين ، فأنا لك ولدٌ مكانه ، فاشتدَّ بكاؤها ، فأَعدتُ عليها القولَ ؛ فقالت : يا أميرَ المؤمنين ؛ كيف لا أَحزنُ على ولدٍ أكسبني مثلَك ، فلم أجدْ كلاماً بعدَه وخرجتُ من عندها[١] .

* * *

جزع زبيدة

قيل : إنَّ المأمون قال لزُبيدة لمَّا قُتل ابنها الأمين : لن تعدَمِي إلاّ عينَيْه .

قالت له : إنَّ ولداً أفادنيك جديرٌ أن أجزَعَ عليه .

---

(١) حديقة الأفراح للشرواني .

أنت أعزُّ ، وهم أَحبُّ

ذُكر في « العقد الفريد » لابن عبد ربِّه في أخبار البرامكة أنَّ أمَّ جعفر بن يحيى ـ وهي فاطمة بنت محمد بن الحسين بن قَحطبة ـ أرضعتِ الرشيدَ مع جعفر ؛ لأنَّه كان رُبِّي في حجْرِها وغُذي برِسْلها ، لأنَّ أُمَّه ماتتْ عن مهده ، فأتت تشفع له بيحيى الذي رضع من لبنه ولبنها ، وبعد محاوراتٍ بليغة مهمة بينهما ردَّ الشفاعة ، فكان ممَّا قاله لها : يا أُمَّ الرشيد ؛ أما لي عليكِ من الحقِّ مثلُ الذي لهم ؟

قالت : بلى يا أمير المؤمنين ؛ أنت أعزُّ عليّ ، وهم أحبُّ إليَّ .

وقد أحببتُ نقل جوابها : ـ أنت أعزُّ عليّ وهم أحبُّ إليّ ـ ، فللَّه درُّ الفصاحة ما أجملها بموقعها .

❊ ❊ ❊

ما كنت لأبيع

لمَّا أراد كسرى بناءَ إيوانه كان في جواره عجوزٌ لها دُويرةٌ صغيرةٌ فراودوها على بيعها فامتنعتْ ؛ وقالت : ما كنتُ لأبيعَ جوارَ الملك بالدُّنيا جميعها ، فاستحسنَ منها هذا الكلامَ ، وأمرَ ببناء الإيوان وتركَ دارها في موضعها منه وأحكم عمارتها[1] .

❊ ❊ ❊

أنا في جوارك

كانتْ عجوزٌ جارةَ أحدِ الملوك فنامتْ وبابُ بيتها مفتوح ، فما استيقظتْ إلاّ وقد سُرق سائرُ ما عندها ، فأتتِ الملك تشكو إليه حالها ! !

قال لها : كيف تركتِ بابك مفتوحاً ؟

قالت له : أنا في جِوارِ الملك ، ولو كنتُ أعلم أنَّه يُخفر جوارُك لأغلقتُه .

---

(١) معجم البلدان .

فقال : لا أشرب الماء حتَّى يُؤتى لها بما أُخذ منها .

* * *

هو أولى بالحجر

بنى أحدُ الأمراء قصراً ، فساءه منظرُ كوخٍ لامرأةٍ عجوز ؛ فقال للقاضي : امضِ إليها ولا تأخُذْهُ منها إلاَّ بسيف الشَّرْع ، فأتاها القاضي فاسترضاها بالمال، فلم ترضَ ! فزادها أضعافَ ذلك ، فلم تقبل !!

فقال : لآخذنَّهُ منكِ بسيف الشرْع ، وأحجرُ عليك ، فإنَّما أنت مُبذِّرةٌ ؛ حيث لم ترضَيْ ببيع هذا الكوخ بمثل هذا المبلغ !!

فقالت له : هلا أمضيتَ سَيفَ الشَّرع بمَن أرسلَكَ ، وتحجُر عليه حيثُ دفع بهذا الكوخ الذي لا يُساوي عُشر ما دفعه ؟! فهو كانَ أولى بالحَجْر مني . فذهب وأخبر الملك فعجِبَ من جوابها ! وتركها .

* * *

لا تجلسي بين النائمين

وفي كتاب « مختصر أخبار الخلفاء » لابن السَّاعي في خلافةِ المُعتضد أنَّه تزوَّج بنتَ خُمارويه بن أحمد بن طولون ، وأحبَّها حُبّاً شديداً ؛ يُقال : إنَّه نامَ يوماً ، ووضع رأسه على وركِها ، فشالت رأسَه ، ووضعته على مِخدَّة ، وتنحَّت عنه !! فلمَّا انتبه ، ولم يجدْها اغتاظَ غيظاً شديداً ، ودعا بها وقال : ما صَلَحْتُ أن أنامَ على حجْرِك ؟!

فقالت : ليس الأمرُ كما توهَّمت ؛ يا أمير المؤمنين ، ولكن فيما أدَّبني مؤدِّبي أنْ قال لي : لا تَجلسي بين النائمين ، ولا تنامي بين الجلوس !!

فزاد شغَفُه بها .

* * *

لن أضيّعه

قال رجلٌ لامرأته : أمرُكِ بيدك . ثمَّ ندِم ؛ فقالت له : لقد حفظتَهُ أنت عشرين سنة فلن أُضيعَه أنا بلحظة ؛ رددتُه عليك لتحفظَه .

فأعجب بها وأعادها .

* * *

مَن رماه بالجب ؟

قال رجلٌ لامرأةٍ : إنَّكنَّ صواحبُ يوسف .

قالت له : ومَن رماهُ بالجُبّ ؟ نحن أو أنتم !؟!

* * *

بيننا ليلة واحدة

اتفق أنَّ ملكاً عُرِضَ عليه جاريتان في سنٍّ واحدٍ ؛ إحداهنَّ بِكرٌ والأُخرى ثيّب ، فاشترى البكر وترك الأخرى !! فقالت : اشترني أيها الملك ؛ فليس بيني وبينها إلاّ ليلةٌ واحدة .

* * *

أحسنت من حيث أساءت

عُرِض على المتوكّل جاريةٌ شاعرة ؛ فقال أبو العيناء يستجيزُها :

أَحْمَـــــــدُ اللهَ كَثِيْـــــــرَاً

فقالت :

حَيْـــثُ أَنْشَـــاكَ ضَـــرِيْـــراً

فقال : يا أمير المؤمنين ؛ قد أحسنت في إساءتها فاشترِها .

* * *

الصّغـــار

لست بصاحب ريبة

حكى ابنُ قُتَيْبَة أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ بصِبْيانٍ يلعبونَ . . وفيهم عبد الله بن الزُّبَير ، فهربوا منه إلاَّ عبد الله ، فقال له عمر رضي الله عنه : ما لكَ ! لِمَ لا تهربُ مع أصحابِكَ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لم أكن على رِيبة فأخافَكَ ، ولم يكنِ الطريقُ ضَيِّقاً فأوسِعَ لكَ .

فانظر ما تضمَّنَهُ هذا الجوابُ من الفِطْنَةِ وقُوَّةِ المنَّة وحُسْنِ البديهة .

* * *

ما منعك أن لا تفرّ

ويقرب من ذلك ما روي عن الإمام محمد الجواد أنَّ الخليفة المأمون خرج يوماً يتصيَّد فاجتاز في طريق ؛ فوجد فيه صبياناً يلعبون ، ومحمد الجواد واقف عندهم ، فلمَّا أقبل المأمون فرَّ الصبيان ووقف محمَّدٌ ، وعمره إذ ذاك تسع سنين .

فلمَّا قرب منه الخليفة نظر إليه ، فكأن الله تعالى ألقى في قلبه محبَّةً وقبولاً . فقال له : يا غلام ؛ ما منعك أن لا تفرَّ كما فرَّ أصحابك ! !

فقال له محمد الجواد مسرعاً : يا أمير المؤمنين ؛ فرَّ أصحابي فَرَقاً والظنُّ بك أحسن ، إنَّه لا يفرق منك من لا ذنب له ، ولم يكن بالطريق ضِيْقٌ فأتنحَّىٰ عن أمير المؤمنين ، فأَعجبَ المأمونَ كلامُه وحسن صورته . فقال له : ما اسمك يا غلام ؟ فقال : محمد بن علي بن موسى الكاظم ، فترحَّم الخليفةُ على أبيه ، ثمَّ أخذه معه وأحسن إليه وقرَّبه وبالغ في إكرامه وإجلاله وإعظامه ، ولم يزل مقبلاً عليه لِمَا ظهر له أيضاً بعد ذلك من بركاته ومكاشفاته وكراماته .

* * *

أشدُّ الأشياء

قيل : إنَّ المُهلَّب ابن أبي صُفْرَة سأل ولده ، وهو صغير ؛ فقال له : يا بُنيَّ ؛ ما أشدُّ الأشياء ؟ قال : مُعاداةُ العقلاء . قال : فهل غير ذلك ؛ يا بُني ؟ قال : نعم . قال : ما هو ؟ قال : مسألة البخلاء . قال : فهل غير ذلك ؟ قال : نعم . قال : ما هو ؟ قال : أمر اللؤماء على الكُرَماء[١] .

* * *

الأَلَذُّ

قال أنوشِرْوان لجلسائه : أيُّ الفُرُشِ أَلَذُّ ؟ فاستأذَنَ غُلامٌ في الكلام ؛ فقال : الأمن .

فقال : ما ألذُّ الطعام ؟ قال : ما لا يُحرِّكُ عِلَّةً .

قال : ما ألذُّ الشراب ؟ قال : ما لا يُزيلُ العقل .

قال : ما ألذُّ الرَّيحان ؟ قال : الولدُ البارُّ .

فاستحسنه وألحقَهُ بالكِبار .

* * *

عطاء الملوك

قيل : إنَّ بعض الملوك رأى صبيّاً فناداه ليتفاءل في صباحه ، وسأله عن اسمه ؛ فقال : بشير . قال : فاسم أبيك ؟ قال : بشر . قال : فاسم أُمِّكَ ؟ قال : بُشْرى . قال : ما تقرأ ؟ قال : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾[٢] فأمر له بصلة الصبيان ؛ فلم يقبَلْها !

فسأله ؟ فقال : أخافُ من أبي أن يُعاقبَني . قال له : أخبِرْهُ أنَّ الملك أنعمَ عليَّ .

---

(١) من كتاب « نوادر الأخبار » للمقري الأنباري أوائله .

(٢) الآية : ١ ؛ من سورة : الفتح .

قال : لا يُصدِّقُني أنَّ هذا عطاء الملوك ! .

فأمر الملكُ بإجزال العطاء له حتى يرضى .

* * *

أيُّنا أشأم صباحاً

وبعكسها ما قيل : إنَّ بعض الملوك رأى صبيّاً أراد أن يتفاءل بصباحه ؛ فأمر فنودي فسأله : ما اسمك ؟ قال : حَزْن . قال : ما اسمُ أبيك ؟ قال : مَحزون . قال : ما اسم أُمِّكَ ؟ قال : حُرْقة . قال : أحزنوا أباه به ؛ ما أشأمَ صباحه !

قال له : أيُّها الملك ؛ أيُّنا أشأمُ صباحاً من الآخر ، أنا أم أنت ؟ فأمر بإطلاقه .

لستُ أصغرَ ولا أنت بأكبرَ

دخلَ الحسنُ بن الفضل على بعض الخلفاء . . وعنده كثيرٌ من أهل العلم ! فأحبَّ الحسنُ أن يتكلَّم ، فزجره وقال : يا صبيُّ ؛ تتكلَّمُ في هذا المقام ؟!

فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن كنتُ صبيّاً فلستُ أصغرَ من هُدْهُدِ سليمان ، ولا أنتَ بأكبرَ من سليمان عليه السلام حين قال : ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[1] ثمَّ قال : ألم ترَ أنَّ الله فهَّمَ الحكمَ سليمان ؟ ولو كان الأمر بالكِبَر لكان داود أولى !! .

* * *

الله يراني

كان بعض الصالحين له تلامذة ، وكان يخصُّ واحداً منهم بإقباله عليه أكثر ممَّا يُقبِلُ على غيره !! فقالوا له في ذلك ؟ فقال : أُبيِّنُ لكم ، فدفع لكلِّ واحدٍ

---

(١) الآية : ٢٢ ؛ من سورة : النمل .

من تلامذته طائراً ؛ وقال له : اذبحه بحيث لا يراك أحد ، ودفع إلى هذا أيضاً ، فمضَوا ورجع كلُّ واحدٍ منهم ، وقد ذبح طَيْرَهُ ، وجاء هذا بالطير حيّاً ، فقال له : هلاَّ ذبحتَه ؟ فقال : أمرتَني أن أذبحه بحيث لا يراني أحد ، ولم أجد موضعاً لا يراني فيه الله !! فقال : لهذا أخصُّه بإقبالي عليه . اهـ.

* * *

الحقُّ أكبر

جاء في « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد في الجزء السابع عشر في حكايات حُكْم الحاكم بين الناس قال :

دخل إياس بن معاوية الشام ، وهو غلام ، فقَدِمَ خصمٌ له إلى باب القاضي في أيام عبد الملك ؛ فقال القاضي : أما تستحي تُخاصمُ ، وأنت غلامٌ شيخاً كبيراً ؟ فقال : الحقُّ أكبرُ منه . فقال : أُسكت ويحك . قال : مَن ينطِقُ بحُجَّتي إذاً ؟ قال : ما أظنُّكَ تقول اليوم حقاً حتَّى تقوم . فقال : لا إله إلا الله . فقام القاضي ودخل على عبد الملك وأخبره ؛ فقال : اقْضِ حاجته ، وأخرِجْه من الشام كي لا يُفسِدَ علينا الناس[١] .

* * *

كم سنُّك ؟

حكىٰ المسعوديُّ في « شرح المقامات » أنَّ المهديَّ لمَّا دخل البصرة رأى إياس بن معاوية ، وهو صبيٌّ وخلفه أربع مائة من العلماء وأصحاب الطيالسة ، وإياس يتقدَّمهم ؛ فقال المهدي : أَمَا كان فيهم شيخٌ يتقدَّمهم غيرَ هذا الحدث !!

ثمَّ إنَّ المهديَّ التفت إليه ؛ وقال : كم سنُّك يا فتى !؟ فقال : سِنِّي

---

(١) ذكره في كتاب « الكشكول » .

ـ أطال الله بقاء الأمير ـ سنُّ أسامة بن زيد بن حارثة لمَّا ولاه رسول الله ﷺ جيشاً فيهم أبو بكر وعمر ، فقال له : تقدَّم ؛ بارك الله فيك .

* * *

إن كنت كما زعمت فاصبر

يُروى أنَّ الرشيد كان له ولدٌ اسمه عبّاس ، وكان شديدَ السّمرة !! فكره لذلك مكانَه ، وقصر عن إلحاقه بسائر بنيه ، ثمَّ اتفق أن تنبَّأ في عهده رجلٌ سخيف ، فبلغ أمره إلى الرشيد فأحضره ، وجعل يعظه ويفنّده ، وجميعُ أبناء الرشيد مصطفُّون بين يديه بينهم عبَّاسٌ لم يجاوز العشر ، فأبى ذلك الشقيُّ إلاّ التمادي في غيِّه ، فأمرَ الرَّشيدُ بضربه ، فلمّا باشر السّوطُ جسدَه جعل يَضطربُ ويرعد ، ويقوم ويقعد ، فقال عبَّاس : إن كنتَ كما زعمتَ فاصبر كما صبرَ أُولو العزمِ من الرسل ، فاستطارَ لها الرَّشيدُ استبشاراً واستنبالاً ، وقال : ابني والله !! ثمَّ رفعَ منزلته ، وأكرم مَثواه وألحقه بمرتبة مَن سواه .

* * *

أفتِ فقد آن لك

في « حياة الحيوان » للدَّميري بذكر القُمْري ؛ قال :

كان الإمام الشافعيُّ رضي الله تعالى عنه جالساً بين يدي الإمام مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه ، فجاء رجل ؛ فقال لمالك : إنِّي رجلٌ أبيعُ القماري ، وإنِّي بعتُ في يومي هذا قُمْرِيّاً ، فردَّهُ عليَّ المشتري وقال : قُمْرِيُّكَ لا يصيحُ . فحلفتُ له بالطلاق أنَّه لا يهدأ من الصياح . فقال له الإمام مالك : طَلُقَتْ زوجتُكَ ولا سبيلَ لكَ عليها !!

وكان الإمام الشافعي يومئذ ابنَ أربعَ عشرة سنةً ؛ فقال لذلك الرجل : أيُّما أكثرُ صياحُ قُمْرِيِّكَ أم سكوته ؟ فقال : لا ؛ بل صياحه ، فقال : لا طلاق عليك .

فعلم بذلك الإمام مالك ؛ فقال : يا غلام ؛ من أين لكَ هذا ؟ فقال : حدَّثَتني عن الزُّهري ؛ عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ؛ عن أمِّ سلمة : أنَّ فاطمة بنت قيس قالت : يا رسول الله ؛ إنَّ أبا جَهْم ومعاويةَ خطباني !؟ فقال ﷺ : « أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ ، وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلاَ يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ » ؛ وقد علم رسولُ الله ﷺ أنَّ أبا جَهْمٍ كان يأكلُ وينامُ ويستريح ؛ وقد قال ﷺ : « لا يضعُ عصاهُ » على المجاز !! والعربُ تجعلُ أغلبَ الفعلين كمداومته ، ولمَّا كان صياحُ القُمْرِيِّ هذا أكثرَ من سكوته جعلتُه كصياحه دائماً .

فتعجَّبَ الإمامُ مالك رضي الله تعالى عنه من احتجاجه ؛ وقال : أَفْتِ ، فقد آنَ لكَ أن تُفتي . فأفتى من ذلك السِّنِّ . اهـ.

* * *

المرءُ بأصغريه

في كتاب « زهر الآداب » أنَّه لمَّا استُخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قَدِمَ وفودُ أهلِ كلِّ بلدٍ ، فتقدَّم إليه وفدُ أهلِ الحجاز ، فاشرأبَّ منهم غلامٌ للكلام !

فقال عمر : يا غلام ؛ ليتكلَّمْ مَنْ هو أَسَنُّ منكَ .

فقال الغلام : يا أمير المؤمنين ؛ إنَّما المرء بأصغرَيْه قلبِه ولِسانِه ، فإذا منحَ الله عبدَهُ لساناً لافِظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد أجاد له الاختيار ، ولو أنَّ الأمور بالسنِّ لكان ههنا من هو أحقُّ بمجلسكَ منكَ .

فقال عمر : صدقت ، تكلَّمْ ، فهذا السحرُ الحلال .

فقال : يا أمير المؤمنين ؛ نحن وفدُ التهنئة ، لا وفد المَرْزَءَة ، ولم تُقدِمْنا إليكَ رغبةٌ ولا رهبة ، لأنّا قد أمِنّا في أيامكَ ما خِفْنا ، وأدرَكْنا ما طلَبْنا .

فسأل عمر عن سِنِّ الغلام فقيل : عشر سنين .

وقد رُوِي أنَّ محمد بن كعب القُرَظي كان حاضراً ، فنظر إلى وجه عمر قد

تهلَّلَ عند ثناء الغلام عليه ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لا يَغلِبَنَّ جهلُ القومِ بكَ معرفتَكَ بنفسكَ ، فإنَّ قوماً خدعهُم الثناء ، وغرَّهم الشُّكر ؛ فزلَّت أقدامُهم فهووا في النار ، أعاذَكَ الله أن تكونَ منهم ، وألحقَكَ بسلف هذهِ الأمَّة .

فبكى عمر حتى خيف عليه وقال : اللهمَّ لا تُخْلِنا من واعظ .

* * *

للكلام نشر وطيّ

حُكِي أنَّ البادية قُحِطَت في أيّام هشام فقَدِمت عليه العرب ، فهابوا أن يُكلِّموه ، وكان فيهم دِرْواس بن حَبيب وهو ابنُ سِتَّ عشرة سنة ، له ذؤابة وعليه شَمْلتان ، فوقعَتْ عليه عينُ هشام فقال لحاجبه : ما شاء أحدٌ أن يدخُلَ عليَّ إلاَّ دخل ، حتَّى الصِّبيان ؟

فوثَبَ دِرواسٌ حتَّى وقف بين يديه مُطْرِقاً ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنَّ للكلام نَشْراً وطَيّاً ، وإنَّه لا يُعرَف ما في طَيِّه إلاَّ بنَشْرِه ، فإنْ أَذِنَ لي أميرُ المؤمنين أن أنشُرَه نشَرْتُه . فأعجَبَهُ كلامُه .

فقال : انشُرْهُ لله درُّكَ . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنَّه أصابَتْنا سنونَ ثلاث ؛ سنةٌ أذابَتِ الشَّحْمَ ، وسنةٌ أكَلَتِ اللَّحمَ ، وسنةٌ دقَّتِ العظم ، وفي أيديكم فُضولُ مالٍ ، فإنْ كانت لله ففرِّقوها على عِباده ، وإن كانت لهم فعلامَ تَحبِسونها عنهم ؟! وإن كانت لكم فتصدَّقوا بها عليهم ؛ فإنَّ الله يجزي المتصدِّقين .

فقال هشام : ما تَرَكَ الغلام لنا في واحدةٍ من الثلاث عُذْراً ، فأمَرَ للبوادي بمئة ألف دينار ، وله بمئة ألف درهم ، ثم قال له : أَلَكَ حاجة ؟ قال : ما لي حاجةٌ في خاصَّةِ نفسي دون عامَّةِ المسلمين . فخرجَ من عنده وهو من أجلِّ القوم .

* * *

يسرُّني أن تكون أمي

إنَّ الكُمَيْت ـ بالتصغير ـ وقف على الفرزدق ، وهو يُنشد في صغره ؛ فقال : يا غلام ؛ أيسرُّكَ أن أكونَ أباك ؟ فقال : أمَّا أبي فلا أبغي به بدلاً ، ولكن يسرُّني أن تكون أمِّي ، فحصر الفرزدق ؛ وقال : ما مرَّ بي مثلها .

وهذا الكُمَيْت هو الأخير ولد سنة ستين ومات سنة عشرين ومئة ، وهو أسديٌّ !! قال ابن عُبيد : لو لم يكن لبني أسد مَنْقَبَةٌ إلاّ الكُمَيت لكفاهم .

والكُمَيت الأوسط هو الكُميت بن المعروف بن الكُميت الأول بن ثعلبة أسديٌّ أيضاً .

* * *

أيهما أحسن ؟

ركب المعتصم إلى خَاقان يَعودُهُ ، والفتحُ بنُ خاقان صبيٌّ يومئذ ، فقال له المُعتصم : أيُّهما أَحسنُ دارُ أمير المؤمنين ؛ أم دارُ أبيك ؟ قال : إذا كان أميرُ المؤمنين في دارِ أبي فدارُ أَبي أَحسنُ ، فأَراه المعتصمُ فصّاً في يده ، وقال : يا فتحُ ؛ هل رأيتَ أحسنَ من هذا الفصِّ ؟ قال : نعم ؛ اليد التي هو فيها[1] .

* * *

تفاضل العقول

دخل المأمونُ يوماً بيتَ الدِّيوان فرأى غُلاماً على أُذِنِه قلمٌ ، فقال : مَنْ أنت يا غلام ؟

قال : أنا النَّاشىءُ في دولتك ، والمتقلّبُ في نعمتك ، والمؤمّل لخدمتك الحينُ بنُ رجاء .

---

(١) الحيوان للدميري ٢٥٠ ج ١ الحمار الأهلي .

قال المأمون : بالإحسان في البديهة تفاضلت العقول ، ارفعوا هذا الغلامَ فوق مرتبته[1] .

* * *

قلتُ « تُرِيدُ » !

قال أبو عاصم النبيل : رأيتُ أبا حنيفة في المسجد الحرام يُفتي وقد اجتمعَ النَّاسُ عليه وآذوه ، فقال : ما ههنا أحدٌ يأتينا بشرطي ؟ فقلت : يا أبا حنيفة ؛ تُريدُ شرطيّاً ؟ قال : نعم .

فقلت : اقرأْ عليَّ هذه الأحاديث التي معي ، فقرأها ، فقمتُ عنه ، ووقفتُ بحذائه ؛ فقال لي : أَين الشُّرطيُّ ؟ فقلتُ له : إنّما قلتُ (تُريدُ) ! ولم أقل أَجيء به !! فقال : انظروا أنا أَحتال للنَّاسِ منذ كذا وكذا ، وقد احتالَ عليَّ هذا الصَّبيُّ !!

* * *

شقاء من جالسك أشدّ

قال عليُّ بن المديني : خرجَ سُفيان بن عيينة إلى أصحاب الحديث وهو ضجرٌ ، فقال : أَليسَ من الشَّقاءِ أن أكونَ جالستُ ضمرةَ بنَ سعيد ، وجالسَ ضمرةُ أبا سعيد الخدري ، وجالستُ الزُّهريَّ ، وجالسَ أَنَس بن مَالك ! حتَّى عدَّ جماعةً ، ثمَّ أنا أجالسكم ؟!

فقال له حَدَثٌ في المجلس : أَنتصفْ ؛ يا أبا محمد !! قال : إنْ شاء الله . قال : واللهِ ؛ لشقاءُ مَن جالسَ أَصحاب رسول الله ﷺ بك أَشدُّ من شقائك بنا . فأطرقَ ، وتمثَّلَ بشعرِ أبي نواس :

خَـــلِّ جَنْبَيْـــكَ لِـــرَامِ   وَٱمْـــضِ عَنْـــهُ بِسَـــلَامِ
مُـتْ بِـدَاءِ ٱلصَّمْـتِ خَيْـرٌ   لَــكَ مِـــنْ دَاءِ ٱلْكَـــلَامِ

---

(١) العقد الفريد ص ١٢٧ ج ١ .

فسأل : من الحدث ؟ قالوا : يحيى بن أكثم .

فقال سفيان : هذا الغلامُ يَصلحُ لصحبة هؤلاء . يعني السلاطين .

*　　*　　*

حق الضيف

قال عمر بن شبّة : أُتي معنُ بن زائدة بثلاث مئة أسير ؛ فأَمَرَ بضرب أعناقهم !

فتقدّم غلامٌ منهم ؛ فقال : يا معن ؛ لا يُقتل أَسراك وهم عطاش !

فقال : اسقوهم ماءً . فلمّا شربوا ؛ قام الغلامُ فقال : أيُّها الأمير ؛ لا تقتلْ أضيافك . فأطلقهم كلَّهم .

*　　*　　*

ليت ما بين من أحبُّ وبيني

قال أبو عُبادَة البُحْتُري : دخلتُ يوماً دار الفتح بن خاقان ، فوجدت الشعراء في دِهْلِيز داره ، وبينهم صبيٌّ صغيرُ السنِّ ، قصيرُ القامة !! فقلت : ما أنت يا غلام ؟

فقال : شاعر . فتبسَّمْتُ عجباً منه ثم قلت : أجز :

لَيْتَ مَا بَيْنَ مَنْ أُحِبُّ وَبَيْنِي　　. . . . .

قال : مِن البعد ؛ أم من القُرْب ؟ قلت : من القرب . فقال :

. . . .　　مِثْلَ مَا بَيْنَ حَاجِبَيَّ وَعَيْنِي

فقلت : فإن أردناهُ من البُعد ؟ فقال :

. . . .　　مِثْلَ مَا بَيْنَ مُلْتَقَى ٱلْخَافِقَيْنِ

فأخذتُ بيده وأوصلتُه إلى الفتح وأخبرتُه بما دار بيني وبينه ، فعجِبَ منه وأجازه .

كلفتني شططاً

ذكر الأمير في حاشيته على « المُغْني » في بحث ـ إذا ـ تحت قوله :

إِذَا بَــاهِلِــيٌّ تَحْتَــهُ حَنْظَلِيَّــةٌ ... لَــهُ وَلَــدٌ مِنْهَــا فَــذَاكَ ٱلْمُــذَرَّعُ

قال : البيت للفرزدق ، وباهلة اسمُ امرأةٍ من كهلان نسبة ، اشتهرت بالخِسَّة ، وحنظلة نسبة لحنظلة ؛ أشرفُ بيتٍ في تميم ، والمذرّع ـ بالذال المعجمة ـ مَنْ أمُّه أشرفُ من أبيه .

قال الأمير : حدَّث ابنُ دريد عن أبي سالم ؛ قال : قال الأصمعي : لَقيتُ صبيّاً من الأعراب في فلاة ، ما أظنُّه ناهَزَ الاحتلام ، فحاورتُه ، فإذا هو من أفصح الناس ؛ فقلت : هل تقول الشعر ؟

فقال : وأبيك إنِّي لأقوله . . وأنا دون الفِصال ـ أي : الفِطام ـ فأخرجتُ درهماً ؛ فقلت : امْدَحْني وخُذْ هذا . فقال : من أيِّ العربِ أنت ؟ فقلتُ : من باهِلَة . فقال : فعال سوأة ليس لي أن أمدح باهليّاً !

فقلت : فاهجُني وخذه فقال : إنِّي ـ والله إليه ـ لمحتاج وقد كلَّفتَني شططا ! ولكن زِدْني معرفة .

فقلت : أنا الأصمعي . فأنشد :

أَلاَ قُـلْ لِبَـاغِـي ٱللُّـؤْمِ حَيْـثُ لَقِيْتَـهُ ... عَلَيْـكَ عَلَيْـكَ ٱلبَـاهِلِـيَّ بـنَ أَصْمَعَـا

مَتَـىٰ تَلْـقَ يَـوْمَـاً أَصْمَعِيّـاً تَجِـدْ لَـهُ ... مِنَ ٱللُّؤْمِ سِرْبَالاً جَدِيْدَاً وَبُرْقُعَا

اقذفِ الدرهم ؛ فإنِّي لا آخُذُه من يدِ لئيم . فقذفتُه ؛ فأخذه .

حكاه الشملي ؛ عن شيخه كمال الدين الدَّميري الشافعي . اهـ.

* * *

بمدح أم بذم

النَّظَّامُ إمامٌ من أئمَّة المعتزلة ، وكان آيةً في الذَّكاء . قيل : إنَّه جاء إلى

الخليل بن أحمد ليعلِّمَه ؛ فقال له الخليلُ يَمتحنُهُ ، وفي يده قدحُ زجاج : يا بُني ؛ صف لي هذه الزُّجاجة ، فقال : أَبمدحٍ أم بذمٍ ؟

قال : بمدح . قال : تُريك القذى ، ولا تَقبل الأذى ، ولا تَسترُ ما وراءها .

قال : فذمَّها . قال : يسرع إليها الكسر ، ولا تَقبلُ الجبر .

قال : فصف لي هذه النخلة ؛ وأومأ إلى نخلةٍ في داره ! قال : بمدحٍ أم بذمٍّ ؟ قال : بمدحٍ .

قال : حُلوٌ جناها ، باسقٌ منتهاها ، ناضر أعلاها .

قال : فذمَّها ، قال : صعبةُ المُرتقى ، بعيدةُ المجتنى ، محفوفةٌ بالأذى .

فقال الخليلُ : يا بُنيَّ ؛ نحن إلى التعلُّم منك أحوجُ .

ثم اشتغلَ على أبي الهذيل العلّاف بمذهب الكلام إلى أن برع ، وظهرَ في أيام المعتصم ، وتبعه خلقٌ كثير .

* * *

شُكَّ أنت

وحُكي عنه أنَّه قال : ماتَ لصالح بن عبد القدوس ولدٌ ، فمضىٰ إليه أبو الهُذيل والنَّظَّامُ معه ، وهو غلامٌ حدثٌ كالتبع له ، فرآه مُحترقاً ، فقال أبو الهذيل: لا أَعرفُ لجزعك وجهاً ، إذا كان النَّاسُ عندك كالزَّرع ، فقال صالح : يا أَبا الهُذيل ؛ إنَّما أجزعُ عليه لأنَّه لم يقرأْ كتاب « الشكوك » .

فقال أبو الهذيل : وما كتابُ « الشكوك ؟ » .

قال : كتابٌ وضعته ، مَن قرأه شكَّ فيما كانَ حتَّى يتوهَّمَ أنّه لم يكن ، وفيما لم يكن حتَّى يظنَّ أنه قد كان . فقال له النَّظام : فشكَّ أنتَ في موتِ ابنك ، واعملْ على أنَّه لم يَمتْ ؛ وإنْ مات ، وشكَّ أيضاً في أنَّه قد قرأَ هذا الكتاب ، وإنْ لم يكن قرأه ! فحُصِرَ صالح .

وكان مَذهبه مذهبَ السوفسطائية ؛ فإنَّهم يَزعمون أنَّ الأشياء لا حقيقةَ لها ، وأنَّ ما نستبعدُهُ يجوزُ أن يكونَ على ما نشاهده ، ويجوزُ أنْ يكونَ على غيرِ ما نشاهده ، وأنَّ حالَ اليقظان كحالِ النائم ، وتوفي سنة ٢٢١ هـ وسنُّهُ ست وثلاثون سنة .

❋ ❋ ❋

الفضل بن سهل

يحكى عن يحيى بن خالد أنَّه وَصفَ الفضلَ بن سهل ، وهو غلامٌ على دِينِ المَجوسية للرشيد وذكرَ أدبَهُ وحسنَ معرفته ، فعمل على ضَمِّهِ إلى المأمون ، فقال ليحيى يوماً : أَدخلْ إليَّ هذا الغلامَ المجوسيَّ حتَّى أنظرَ إليه ، فأوصلَهُ ، فلمَّا مَثلَ بين يديه ووقفَ تحيَّرَ ؛ فأرادَ الكلامَ فأُرْتِجَ عليه ، فأدركتْه كبوةٌ .

فنظرَ الرَّشيدُ إلى يحيى نظرةً مُنكرةً ، لما كانَ يقدّمُ من إفراطِ ثنائه عليه ، فانبعثَ الفضلُ بنُ سهل ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنَّ من أيمن الدَّلالِةِ على فراهةِ المملوك شدَّةَ إفراط هيبته لسيده !

فقال له الرشيد : أحسنت ، والله ، إن كان سكوتك لتقولَ هذا إنّه لحسنٌ ، وإن كان شيءٌ أدركَكَ عند انقطاعك إنَّه لأحسن ! ثمَّ جعلَ لا يَسألُهُ عن شيءٍ إلا رآه فيه مقدّماً ، فضمَّه إلى المأمون .

❋ ❋ ❋

إذا رأيتني فلا تكلمني

عن أبي الأشهل السائح رحمه الله تعالى ونفعنا به قال :

رأيتُ غلاماً بطريق مكَّة وهو قائم يصلِّي عند بعض الأميال قد انقطع عن القافلة ، فوقفت أنظر إليه ، فأطال صلاته فلمَّا سلّم قلت له : سلامٌ عليك .

فقال : وعليك السلام . فقلت له : إنَّك قد انقطعتَ عن الرَّكب ! ألك رفيق يؤنسك حتَّى تلحقه !؟

فبكى ؛ وقال : نعم . فقلت : وأين هو ؟! فقال : أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي ، فعلمت أنَّه عارف . فقلت له : أمعك زاد ؟ فقال : نعم . فقلت : وأين هو ؟ فقال : في قلبي إخلاص لربِّي . فقلت له : فهل لك في مرافقتي . فقال : الرفيق يشغل عن ذكر الله ، ولا أحبُّ أحداً يشغلني عن ذكر الله تعالى طرفةَ عين . فقلت : مِن أين تأكل !؟ فقال : الذي غذاني في ظلمة الأحشاء صغيراً يتكفَّل برزقي كبيراً ، فمتى احتجتُ إلى طعام حضر بين يدي .

فقلت له : هل من حاجة ؟ فقال : نعم ، إذا رأيتني بعد هذا اليوم فلا تكلِّمني[1] .

* * *

عليك بالاعتبار

مَرَّ مالك بن دينار رضي الله عنه على صبيٍّ يلعبُ بالتراب ؛ يضحكُ تارةً ويبكي أخرى . قال : فأردتُ أن أُسلِّمَ عليه فمنعَتْني نفسي ، فقلت : يا نفسُ ؛ كان النَّبيُّ ﷺ يُسلِّمُ على الصغار والكبار ! فسلَّمْتُ . فقال : وعليك السلام ورحمة الله ؛ يا مالك .

قلت : ومِن أين عرفتَني ؟! قال : لمَّا التقَتْ روحي وروحُكَ في عالَمِ المَلَكوت فعرَّفَني بكَ الحيُّ الذي لا يموت .

فقلت : ما الفرق بين النَّفسِ والعقل ؟

فقال : نفسُكَ التي منعَتْكَ من السلام ، وعقلُكَ الذي حرَّضَكَ عليه .

---

(١) مختصر روض الرياحين .

فقلتُ : ولِمَ الضحكُ والبكاء ؟ قال : إذا ذكرتُ عذابَ ربِّي أبكي ، وإذا ذكرتُ رحمتَهُ أضحك .

فقلت : يا ولدي ؛ أيُّ ذنبٍ لك حتَّى تبكي ؟ قال : لا تقل هكذا ، فإنِّي رأيتُ أُمِّي لا توقِدُ الحطَبَ الكبار إلاَّ بالصغار ؛ فعليكَ بالاعتبار[1] .

* * *

لا حجَّ لك

ضَلَّتْ ناقةُ بعض الصالحين في طريق الحجِّ ؛ فلَقِيَهُ صبيٌّ فسأله فعرفها ، فلمَّا وجد الراحلة سأله الصبي : ما تأكل ؟ قال : آكلُ خبزَ الشعير ، وألبَسُ الصوف لأكسِرَ شهوتي بهما .

قال الصبيُّ : كُلْ ما شئت والبَس كذلك بعد أن يكونا حلالَيْن .

قال : وأين تبيت ؟ قال : في الخُصِّ ـ وهو بيتٌ من القصب ـ قال : لا تظلِمْ ، وبتْ حيثُ شئت .

قال الصالح : لولا صِباكَ لكسبتُ منكَ ما تكلَّمتَ به .

فتبسَّمَ الصبيُّ وقال : أراكَ غافِلاً ، أُخبِرُكَ بالدنيا فتَقْبَل ، وأخبِرُكَ بالدين فتأنف !! ارجِعْ إلى منزلكَ فلا حَجَّ لكَ .

* * *

---

(١) « روح البيان » في سورة الكهف .

البداهة المفحمـــة



إن ربك لبالمرصاد

خرج عثمان رضي الله عنه من داره ، فرأى عامرَ بن عبد قيس على بابه ، وقد ألقى رأسَه بين رُكبتَيْه ، وكان عامرٌ شيخاً دميماً أَسْعَرَ[1] فظّاً ، فأنكره وأنكر مكانه ! فقال : يا أعرابيُّ ؛ أين ربُّك ؟ قال : بالمِرْصاد .

فيقال : إنَّ عثمان لم يُفْحِمْهُ أحدٌ غيره .

* * *

لو وجدت لأهديت

وكان عبد الحميد[2] كاتبَ مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي آخر ملوك بني أمية المعروف بـ « الجَعْدي » فقال له يوماً ، وقد أهدى له بعضُ العمال عبداً أسود فاستقلَّه : اكتبْ إلى هذا العامل كتاباً مختصراً وذُمَّهُ على ما فعل . فكتب إليه :

لو وجدتَ لوناً شرّاً من السَّواد ، وعدداً أقلَّ من الواحد لأهديتَه !!. والسلام .

* * *

لم تعرف حلاوة الآباء

دخل شابٌّ على المنصور ؛ فسأله عن وفاةِ أبيه !؟ فقال : ماتَ رحمه الله يومَ كذا وكذا ، وكان مرضهُ رحمه الله يومَ كذا ، خلَّفَ رحمه الله كذا .

---

(١) الأسْعَر : من السَّعْر ، وهو لون يضرب إلى السواد ، فويق الأُدْمَة .

(٢) هو أبو غالب عبد الحميد بن يحيى بن سعد مولى بني عامر بن لؤي بن غالب الكاتب البليغ ، وبه يُضرَب المثل في البلاغة حتى قيل : فُتِحت الرسائل بعبد الحميد وخُتِمت بابن العميد ، وهو من أهل الشام ، وهو أوَّل مَن أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب ، فاستعملَ الناسُ ذلك بعده .

فانتهرَهُ الرَّبيع وقال : أَما تَستحي بين يَدي أميرِ المؤمنين تقولُ هذا !!

فقال الشَّابُّ : لا ألومُكَ على انتهاري ؛ لأنَّكَ لم تعرفْ حلاوةَ الآباء !!

وكان الرَّبيعُ لقيطاً ؛ فما أعلم المنصور ضحك كضحكه يومئذ .

* * *

مرهم أن يدبروا

وقال المنصور لبعض الخوارج ـ وقد أُتي به إليه أسيراً ـ : أخبرني أيُّ أصحابي كان أشدَّ إقداماً في مبارزتكم ؟ فقال : ما أعرفُ وجوههم مقبلين ، وإنَّما أعرف أقفاءهم ، فمُرْهم أن يدبروا لأعرِّفك أشدَّهم إدباراً .

* * *

الله أكرم

عن الأصمعيِّ : قال المنصور لرجل من أهل الشام : اِحمد الله يا أعرابيّ الذي دفع عنكم الطاعون بولايتنا .

فقال : إنَّ الله لا يجمع علينا حشفاً وسوء كيل ، ولايتكم والطاعون .

* * *

صدَقتَ

قال ابن الزيَّات لابن أبي دؤاد في مناظرته : ما أنا بِدَعيٍّ ، فقال : صدقت ، ما دونك أحد فَتَسْتَنْزِلُ إليه ، ولا فوقك من يَقْبَلُكَ فتنتمي إليه .

* * *

صدري خزانة

ويحكى أنَّه جيء إلى الرشيد بعبد الملك بن صالح في قيوده ! فقال له يحيى بن خالد البرمكي . . وأراد أن يبكّته : إنَّك حقود . فقال : إنَّما صدري خِزانةٌ تحفظُ ما استودعتْ من خيرٍ أو شرّ .

فقال الرشيد : والله ؛ ما رأيتُ أحداً احتجَّ بمثلِ ما احتجَّ به عبد الملك .

* * *

إن البقر تشابه علينا

سأل تلميذٌ شيخَه عن مسألةٍ ؛ فأجابه عليها ، ثمَّ سأله مرَّة ثانية ؛ فأجابه عليها ! ثمَّ سأله مرَّة ثالثةً ، فقال له الشيخ : ألم أجبْكَ عليها ؟ قال : لستُ أنا السائلَ يا سيدي في الأولى . فقال له الشيخ : نعم ، ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾[1] .

* * *

إلى أين ؟

سأل بعضُهم مسافراً : إلى أين تذهب ؟ قال له : إلى الآخرة . قال : خُذْ لي هذا الكتاب لأبي . قال له : لن أمرَّ على جهنم إن شاء الله .

* * *

رُفع القلم

قيل سأل رجلٌ ابنَ عقيل فقال له : إنِّي أنغمسُ في النهر ثلاثاً ، ولا أتيقَّنُ أنَّه قد غمسني الماء ، فما العمل ؟ قال له : لا تصلِّ . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لقوله عليه الصلاة والسلام : « رُفِعَ ٱلْقَلَمُ عَن ثَلاثَةٍ : عَنِ ٱلصَّبِيِّ حَتَّىٰ يَحْتَلِمَ ، وَعَنِ ٱلنَّائِمِ حَتَّىٰ يَسْتَيْقِظَ ، وَعَنِ ٱلمَجْنُونِ حَتَّىٰ يُفِيْقَ » . ومن ينغمس في النهر مرَّةً أو مرَّتين ويظنُّ أنَّه ما اغتسل فهو مجنون .

* * *

---

(١) الآية : ٧٠ ؛ من سورة : البقرة .

مخبر النساء

قيل : عيَّرَتْ امرأةٌ زوجَها بسوء منظره ، فقال لها : منظر الرجال مَخْبَرُهم ، ومخبَرُ النساء بعدَ منظرِهم . فخَجِلت .

* * *

من فمك أفتيك

ومرَّ النميري بالعتَّابي مغموماً ؛ فقال : مالك أعزَّك الله ؟ فقال : امرأتي تطلقُ منذ ثلاث ، ونحن على يأس منها !! فقال له العتَّابي : وإنَّ دواءَها منك أقربُ من وجهها !! قل (هارون الرشيد) ، فإنَّ الولد يخرج ! فقال : شكوتُ إليك ما بي ، فأجبتني بهذا ؟ فقال : ما أخذتُ هذا إلاّ من قولك :

إِنْ أَخْلَفَ ٱلمُزْنُ لَمْ تُخْلِفْ أَنَامِلُهُ ... أَوْ ضَاقَ أَمْرٌ ذَكَرْنَاهُ فَيَتَّسِعُ

* * *

عوض العمى

قيل لبشّار بن بُرد ، وكان أعمى : ما أخذَ الله تعالى كَريمَتي عبدٍ إلاّ عوَّضَهُ خيراً منهما ، فما عوَّضَكَ !؟ قال له : عدمُ رؤيةِ أمثالِكَ .

* * *

متى عميت ؟

دخل الشعبيُّ الحمَّام ، فرأى رجلاً بلا مِئْزَر ، فغَمّض عينَيْه !! فقال له الرجل : متى عَميتَ ؟ فقال له : مُنذُ هَتَكَ الله سِتْرَك .

* * *

وأكرم نفسي

مرَّ أحدُ الأدباء على كَنَّاس يكنس الكنيف ويتغنَّى بهذا البيت :

وَأُكْرِمُ نَفْسِي إِنني إنْ أَهَنْتُهَا ... وَحَقِّكَ لَمْ تُكْرَمْ عَلَىٰ أَحَدٍ بَعْدِي

فقال له الأديب : وأيُّ إهانةٍ أعظمُ ممَّا تُهينُها به ؟ قال : الوقوف على بابْ مثلك . قال : فانصرف الأديب ، وهو أخزَى الناس .

وعزاها البَلَوي في كتابه « ألف باء » للأصمعي .

* * *

خلاف ما فيك

قال رجل للأحنف : بِمَ سُدْتَ قومَكَ ، وما أنتَ بأشرفهم بيتاً ؛ ولا أصبحهم وجهاً ؛ ولا أحسنهم خُلُقاً !؟! فقال : بخلاف ما فيك . قال : وما ذاك ؟ قال : تركي من أمرك ما لا يعنيني ، كما عناك من أمري ما لا يعنيك .

* * *

من أين ؟

سأل رجلٌ آخر : من أين أقبلت ؟ فقال : من لعنةِ الله . فقال السائل : ردَّ الله غُربتَك يا سيدي .

* * *

حمل حمارين

ترافق كبيران مع أحد الفقراء ، فاستثقل أحدُهما ما عليه فأعطاه للفقير فحمَلَه ، ثمَّ فعل الآخر كذلك وقال له : صار عليك حِمْلُ حمار ، فقال له الفقير : بل حِمْلُ حمارَيْن .

* * *

الصادق الكاذب

قال رجل لآخر : أنا صنعتي الكذب . قال له : كلاَّ ؛ فإنَّكَ الآن صادق .

* * *

بقي الحمار

قصد رجلٌ تبكيتَ آخر يُعيِّرُه بأبيه ؛ فقال له : كان أبوكَ يبيعُ على الحمار . قال له : نعم رحمه الله ، مات أبي وبقي الحمار .

* * *

أصابك الله ببصيرتك

تهكَّمَ أحدُهم بأعمى ؛ وقال له : أصابَكَ الله ببصرِكَ !! فقال له الأعمى : كما أصابَكَ الله ببصيرتك .

* * *

تشربه لتصير مثلي

زار أحدُ الأمراء مارستاناً ، ورأى المجانين فسُرِّيَ عنه ما كان يجدُ من الهمّ ، فدعا بالشراب ، وأحضر معه مجنوناً وناوله كأساً فأبى المجنون ؛ وقال : أَيُّها الملك ؛ إنَّما تشربُه أنتَ لتصيرَ مثلي ، فإذا شربتُه أنا فمثلُ من أصير ؟! فاتَّعظ الأميرُ وتاب .

* * *

هل اتخمت قط

قال نصر بن سيَّار : قلتُ لأعرابيٍّ : هل أُتخمتَ قطُّ ؟ فقال : أما من طعامِكَ وطعامِ أبيك فلا . فيقال : إنَّ نصراً حُمَّ من هذا الجواب أيّاماً .

* * *

كيف نسي ؟

حكى الجاحظ أنَّ ابنَ المقفَّعِ ومطيع بن إياس ، ويحيى بن إياد كانوا يُتَّهمون في دينهم . قال بعضُهم لَمَّا سمع ذلك : كيف نسي الجاحظ نفسه ؟! .

* * *

لو فضَّلْتُهُ بالفِسق لفضلتُكَ

ذكر في « الأغاني » في ترجمة الأخطل وتفضيله على جرير والفرزدق . . قال : كان حمَّاد يُفضِّل الأخطل على جرير والفرزدق ، فقال له الفرزدق : إنَّما تُفضِّلُه لأنَّه فاسِقٌ مثلُكَ . فقال : لو فضَّلْتُهُ بالفسق لفضَّلْتُكَ .

* * *

إنما يأكل النوى إبلنا

لمَّا طلبَ قُباذ الفارسيُّ الحارثَ بنَ عمرو الكِنْدِيّ ليجتمع به . . قال : فخرج إليه الحارثُ بنُ عَمرو الكِنْدِيّ في عددٍ وعُدَّةٍ حتَّى التَقَوْا بقنطرة الفيُّوم ، فأمر قُباذُ بطبقٍ من تمر ؛ فنُزِع نواه ، وأمر بطبق فجُعِلَ فيه تمر فيه نواه ، ثمَّ وُضِعا بين أيديهما ، فجُعِلَ الذي فيه النَّوى يلي الحارث بن عمرو ، والذي لا نوى فيه يلي قُباذ ، فجعل الحارث يأكلُ التمر ويُلقي النَّوى ، وجعل قُباذ يأكل ما يليه ، وقال للحارث : ما لكَ لا تأكلُ مثلَ ما آكل ؟! فقال : إنَّما يأكلُ النَّوى إبلُنا وغنمُنا .

* * *

الخرس زين لك

قال سفيانُ يوماً : ما ندمتُ على سكوتٍ قطُّ . فقال له ابنُ المقفَّع : علمتَ أنَّ الخَرَسَ زَيْنٌ لكَ ، فكيف تندَمُ عليه .

إلى أن قتله سفيانُ بأمر المنصور سنة ١٤٢ هـ وعمره ٣٦ واسمه داذويه وكان مجوسيّاً ثم أسلم .

* * *

كتم حب الدنيا

كان ببغداد رجلٌ يُذكرُ بالصَّلاحِ والزّهد يُقال له « رُويم » ، فوُلِّي القضاء !

فقال الجُنيد : مَن أرادَ أن يَستودعَ سرَّه مَن لا يفشيه فعليه برُويم ، فإنَّه كتمَ حبَّ الدُّنيا أربعين سنةً إلى أن قدرَ عليها .

* * *

اهجني

جاء إلى أُوميروس الشاعر اليوناني أنابو الماجن ؛ فقال : اهجني لأفتخر بهجائك إذ لم أكن أهلاً لمديحك !! فقال له : لستُ فاعلاً ذلك أبداً . قال : فإنِّي أمضي إلى رؤساء اليونانيين فأُشعرهم بنكولِكَ .

قال أوميروس مرتجلاً : بلغنا أنَّ كلباً حاول قتال أسد بجزيرة قبرص ، فامتنع عليه أنفةً منه . فقال له الكلب : إنِّي أمضي فأشعر السباع بضعفك . قال له الأسد : لأن تعيرني السباع بالنكولِ عن مبارزتك أحبُّ إليَّ من أنْ أُلَوِّثَ شاربي بدمك .

* * *

كنت أحبُّ

لمَّا بلغ ثوسيوس الشاعر اليوناني أنَّ عدوّاً له اغتابه بأمر فظيع ارتجز متمثلاً على طريقة يونان ؛ وقال : بَلَغَنا أنَّ كلباً وقرداً اجتازا بمقبرة سباع ؛ فقال القرد للكلب : اصعد بنا لنترحَّم على هؤلاء الموتى !! قال الكلب : ومِن أين بينكما معرفة ؟ قال القرد : سبحان الله ؛ أما تعلم أنَّ هؤلاء مماليكنا ، فقال الكلب : والله ؛ ما أعلم شيئاً من هذا !! ولكنَّنِي كنتُ أُحبُّ أن يكون أحدهُم حاضراً وتقول هذا !! .

* * *

سألته فردَّني

قال أبو العيناء : كان عيسى بن قرمان شاه يتيه عليَّ في وزراته ، فلمَّا صُرِف رَهِبَني ، فلمَّا لَقِيَني سلَّمَ عليَّ ، فدنوتُ منه ؛ وقلتُ له : لقد كنتُ أقنعُ

بإيمائك دون بيانك ، وبلحظك دون لفظك ، والحمد لله إلى ما آلت إليه حالتُك ، فلئن أخطأَتْ فيك النِّعمَة ؛ فلقد أصابتْ فيك النِّقْمَة ، وإن كانت الدنيا أبْدَتْ مقابحَها بالإقبال عليك ؛ فلقد أظهرتْ محاسِنَها بالانصرافِ عنك ، ولله المِنَّةُ إذ أغنانا عن الكذب عليك ؛ ونزَّهنا عن قولِ الزُّور فيك ، فقد ـ والله ـ أسأتَ حمل النِّعم وما شكرتَ حقَّ المُنْعِم .

فقيل له : يا أبا عبد الله ؛ لقد أبلغْتَ في السَّبِّ ؛ فما كان الذَّنْب ؟

فقال : سألته حاجة أقلَّ من قيمته ، فرَدَّني عنها بأقبح من صورتِه .

* * *



البداهة المضحكة



أم ماذا

عرضَ على المتوكل جارية فقال لها : بكرٌ أنت أم ماذا ؟ فقالت : أم ماذا .

فضحك وابتاعها .

* * *

ما أعددت للبرد ؟

قِيل لأعرابيٍّ : ما أعددتَ للبرد ؟ قال : شدَّة الرّعدة ، وقرفصاء القعدة ، وذرب المعدة .

* * *

أُمِرَ ألا يقطع

أعطى رجلٌ آخرَ سيفاً فسأله بدله ، وقال : هو غير ماض . قال : خذه ؛ فالسيوف مأمورة ، قال : فهذا أُمِر أن لا يقطع .

* * *

أحذر لئلا يرميني بحجر

وأُتي رجلٌ بقرد يبيعه ، فجاء عبادي فنظر إليه !! فقال صاحبُه له ـ وقد دنا من رجله ـ احذر لئلا يرمَحَك !! فدنا من يده . فقال : احذر لئلا يخبطك !! فدنا من فمه . فقال : احذر لئلا يعضك !! فتباعد العبادي ناحية ، فقيل له : لم تباعدت !؟ فقال : أحذرُ لئلا يرميني بحجر .

* * *

الدخل والخرج

قال إبراهيم بن عمر الجَعْبَري ـ شيخ حرم الخليل ـ : كان قَبْلي لهذا الحرم

شيخٌ ، وجاء السلطان مرَّة إلى زيارة الخليل عليه السلام مستخلياً من الناس !! فقال له المتحدِّثون في الدولة : يا شيخ ؛ ما تعرِّفنا حالَ هذا الحرم ؛ ودخْله وخرجه !! قال : نعم ، وأخذهم ، وجاء بهم إلى مكان يمدُّون فيه السماط ؛ وقال لهم : الدَّخل ههنا ، ثمَّ أخذهم وجاء بهم إلى الطهارة ؛ وقال : الخرج ههنا ما أعرف غير ذلك !! فضحكوا منه .

* * *

نصيحة

قال رجلٌ لبعض الظرَّاف : قد لدغتني عقرب ، فهل عندك لهذا دواء ؟ فقال : الصياح إلى الصباح .

* * *

ظنّك إبليس

كان رجلٌ في الحجِّ ومعه رفيقه من الظرفاء ، وكان يرمي الجمار ، فأصابه حجر في رأسه من رَمْي غيره !! فشكا لرفيقه الظريف ، فقال له : لا بأس ؛ عبارة عن خطأ ، ظنَّك إبليس فرجمَك !

* * *

طبل الحقِّ :

قال أحدُ الظرفاء : رأى رجلٌ ملَكَيْن مع كلِّ واحدٍ طبلٌ ومِدقَّة ! فسألهما عن ذلك ؛ فقالا : كلَّما قال رجلٌ كلمة حقٍّ ضرَبْنا له على الطبليْن لنُسمِعَ به الخافقَيْن . فقال : ما أتعب عملكما !! قالا : والله ؛ من أربعين سنة ما ضرَبْنا سوى ضربة واحدة لفُقْدان الحقِّ بين الخَلْق .

* * *

نصف الخبر

شكا ضريرٌ شدّة العمى ، فقال أعور : عندي نصفُ الخبر .

* * *

هل ضاع لك شيء ؟

قال بعض المنجِّمين : سألتني امرأة مصريّة أن أنظر لها في مسألة تخصُّها !! فأخذتُ ارتفاع الشمس للوقت وحقَّقتُ درجة الطالع والبيوت الاثنى عشر ومراكز الكواكب ، ورسمتُ ذلك كلَّه بين يديَّ في تخت الحساب ، وجعلت أتكلَّم على بيتٍ بيت منها على العادة ، وهي ساكتة !! فوجمتُ لذلك وأدركتني فترةٌ ، وكانت قد ألقت إليَّ درهماً !! قال : فعاودتُ الكلام ، وقلتُ : أرى عليك قطعاً في بيت مالِك فاحتفظي واحترسي . فقالت : الآن أصبتَ وصدقتَ ، قد كان والله ما ذكرتَ !! قلت : وهل ضاع لك شيء ؟! قالت : نعم ؛ الدرهم الذي ألقيتُ به إليك .

وتركتني وانصرفت .

* * *

فضل الجلود

قال الأصمعيُّ : رأيتُ شخصاً من الأعراب لا يزالُ يجمعُ الجلودَ ! فقلتُ له يوماً : ما تَصنعُ بهذا ؟ فقال : الجلود لا تَستغني عنها العرب ، أصلُها سقاء ، ثمَّ إنْ حاربوا فَوِقاء ، وإن جاعوا فَشواء ، وإن اختلفوا فَحِذاء .

* * *

أنملّحُه حتى يتيسر شيء

جاء رجلٌ إلى رجلٍ من الوجوه ؛ فقال : أنا جارُك ، وقد مات أخي فلان ؛ فمُرْ لي بكفَنٍ !! قال : لا والله ؛ ما عندي اليومَ شيءٌ ؛ ولكن تعهَّدنا وتعود بعد أيامٍ فسيكون الذي تحبُّ . قال : أصلحك الله ؛ أفنملِّحُهُ إلى أن يتيسَّر عندكم شيءٌ !؟

أوجز

كان واعظٌ يعِظ الناس ولا يتَّعظون !! فقال له رجل : كان رجلٌ يعظُ ذئباً ؛ ويقول له : لِمَ تؤذي الأغنام والماعز ؟ ألا تعلم أنَّه سرقة وحرام وغيرُ جائز ؟ وقد كبِرَتْ سِنُّك فتُبْ . فقال له : أوجِز ؛ أمامي قطيعُ غنمٍ لا يفوتني !!

* * *

انظر يا رب !!

قال المبرِّد: دخلتُ دار المجانين، فوقفتُ تجاه مجنونٍ وأخرجت لساني ، فحوَّل وجهه عني ، فجئتُ إلى الناحية التي حوَّل وجهه إليها وأخرجت لساني ، فحوَّل وجهه إلى ناحية أخرى ، فجئت إليه وفعلتُ مثلَ ذلك ، فلما أضجرتُه رفع رأسَهُ إلى السماء وقال : انظُر يا ربّ ؛ مَن حلُّوا ومَن ربَطوا !!

* * *

اللهم لا تحرمني العودة

كان بعض الظرفاء يرجم إبليس ، وكاد يموت من الزِّحام ؛ وهو يقول : اللهم ؛ لا تحرِمْني العودة يا ربُّ . فقال له رجل : كدتَ تموت من الازدحام ؛ فكيف تطلبُ العودة ؟! قال : إنِّي أطلبُ العودة من الله لبلادي حتَّى لا أموت تحتَ الأقدام .

* * *

الخفّ السابح

دفع أبو الطيب الطبري خُفَّاً إلى خفَّاف ليُصلحه ، فكان كلَّما مرَّ عليه يتقاضاه ، وكان الخفَّاف كلَّما رأى القاضي أخذ الخفَّ وغمَسَه في الماء ، وقال : الساعةَ الساعةَ !. فلمَّا طال قال له : إنَّما دفعتُه إليك لتُصلحه ، ولم أدفعه إليك لتعلِّمه السباحة .

الدَّيْن العتيق

وطلب رجلٌ دَيْناً عتيقاً ، فقال : دَعْني من هذا ، فهذا دَيْن عَتيق ، فقال : لَعَنَ اللهُ من أعْتقه .

* * *

متى تقضين ؟

مَرَّ بائعُ زيتون بامرأة ، فطلبت منه نَسيئةً ، فقال : ذوقي لتعرفي جُودته . فقالت : أنا صائمةٌ قضاءً عن رَمَضان العام الماضي . فقال : يا فاعِلة أنْت تَمْطلين رَبَّك هذا المَطْل ، وتطلبين مني الزَّيتون بنسيئة ! متى تقْضين ؟

* * *

إن مسخ الله القاضي

قال الهيثم بن عدي : بينا أنا بكُناسة الكوفة ؛ فإذا برجلٍ مَكفوف البصر قد وقف على نخَّاسٍ بسوق الدَّواب ؛ فقال له : أبغي حماراً ليس بالصَّغير المُحتقر ، ولا بالكبير المُشتهر ، إذا خلا له الطَّريق تدفَّق ، وإذا كثرَ الزّحامُ ترفَّق ، إنْ أقللتُ علفَه صبرَ ، وإن أكثرته شَكَر ، وإذا ركبتُه هامَ ، وإن ركبَه غيري نام ، قال له النخَّاس : يا عبدَ الله ؛ اصبرْ فإنْ مسخَ الله القاضي حماراً أصبت حاجتك إن شاء الله تعالى .

* * *

مثلها لا يوجد في الدنيا

نظر خالد بن صفوان إلى جماعة في مسجد البصرة ؛ فقال : ما هذه الجماعة ؟! قالوا : على امرأة تدلُّ على النساء ، فأتاها ، وقال لها : أريد أن أتزوَّج بامرأة فانظري لي كما أصفُ لك . قالت : صفها ، قال : أريدها بكراً كَثَيِّب ؛ أو ثيِّباً كبكر ، مليحة من قريب فخمةً من بعيد ، كانت في نعمة فأصابتها فاقة ؛ ففيها أدب النعمة وذلُّ الحاجة ، إذا اجتمعنا كنَّا أهل دنيا ،

وإذا افترقنا كنَّا أهل دين وآخرة . قالت : أصبتها لك ، قال : وأين هي ؟ قالت في الرفيق الأعلى من الجنَّة ، فإنَّ مثل هذه لا توجد في الدنيا ! !

* * *

من لي بحمار

وقف مروان بن معاوية على باب طحّان ؛ فرأى حماراً يدور بالرّحا ، في عنقه جلجلٌ[1] ، فقال للطحان : لمَ جعلتَ الجلجلَ في عُنق الحمار !؟ قال : ربَّما أدركتني سآمة ؛ أو نعاس ، فإذا لم أسمعُ صوت الجلجلِ علمتُ أنه واقف ؛ فصحتُ به فانبعث . قال : أفرأيت إنْ وقف ، وحرَّك رأسه بالجلجل ، وقال هكذا وهكذا ، وحرَّك رأسه ، فقال له : ومَن لي بحمار يكن عقله مثلَ عقلِ الأمير ! ! .

* * *

بينهما ما بين اسميهما

وسئل بعضهم عن حمَّاد بن زيد بن درهم ، وعن حمَّاد بن سلمةَ بن دينار ؛ فقال : بينهما في القَدر ما بين أبوابهما في الصَّرْف . اهـ .

* * *

ضربك الله باسمك

قال يموت بن المزرع : قال لي سهل بن صَدَقة ، وكانت بيننا مُداعبة : ضربك الله باسمك ، فقلت له مسرعاً : أحوجك الله إلى اسم أبيك .

* * *

في عرض كم ؟

قال سليمان الأعمش لابنه : اذهب فاشتر لنا حبلاً يكون طوله ثلاثين ذراعاً ، فقال : يا أبت ؛ في عرض كم ؟ قال : في عرض مُصيبتي فيك .

---

(١) أجراس صغيرة توضع كالقلادة .

احلف للشيطان

جاء رجل إلى أبي حازم القاضي فقال : إنَّ الشيطان يأتيني ، فيقول : إنَّك قد طلقت امرأتك ، فيُشككني !! فقال له : أوليس قد طلقتَها ؟ قال : لا قال : ألم تأتني أمس فطلَّقتها عندي !! فقال : والله ؛ ما جئتك إلا اليوم ، ولا طلقتها بوجه من الوجوه . قال : فاحلفْ للشيطان كما حلفت لي وأنت في عافية .

* * *

ولاني قفاه

قدم رجلٌ على صاحبٍ له من فارس ؛ فقال له : قد كنتَ عند أمير المؤمنين ؛ فأيَّ شيء ولاَّك !! قال : ولاَّني قفاه .

* * *

ويلك

جلد بعض الشُّرط رجلاً ، وكان الجلاد قصيراً دميماً ، والمجلودُ طويلاً !! فقال له الجلاد : تقاصر لينالك الضرب . فقال : ويلك إلى أكل الفالوذج تدعوني !! والله ؛ لوددت أن تكون أنتَ أقصر من يأجوج ومأجوج ، وأنا أطول من عوج[1] .

* * *

صرنا ثلاثة

دعا بعض الملوك بأبي علقمة الممرور وآخر مجنون ليضحك منهما ، فشتماه فغضب وقال : السياطَ ؛ يا جلادين ! فقالا : كنَّا مجنونين فصرنا ثلاثة ، فضحك وأجزل صلتَهما .

---

(١) هو عوج بن عناق يضرب المثل بطوله حيث تخطُّ رجلاه الأرض وهو على الفرس .

أموت بالشيخوخة

غضب أحدُ الأكاسرة على رجل وأراد قتله ، وبعد الرجاء قال له : تركتُ لك نوع الموت الذي تريده . قال : نعم ؛ أموت بالشيخوخة . فضحك وتركه .

* * *

تجارة لن تبور

قيل لبعضهم ، وقد حضرتْه الوفاة : أوْصِ بشيءٍ للمساكين . قال : أوصيهم بتجارة لن تَبُور . قالوا : وما هي ؟ قال : المسألة ما عاشوا .

* * *

عيالي كثير

نظر رجلُ إلى آخر وهو مغتمٌّ ، فقال : ما غمُّك ؟ قال : عيالي كثير . فقال : لا تغتمَّ ؛ فهم عيالُ الله . فقال : صدقت ؛ ولكنِّي كنت أُحبُّ أن يكونَ الوكيل عليهم غيري .

* * *

من يعبد الله على حرف

وضع بعض المُرائين بين عينيه سجَّادة ودَلَّكها بنواة ، وشدَّ عليها ثوماً وبات بها ، فزاغَتِ العِصابةُ عن مكانها وصارت في ناحية صُدغِه ، فاتَّسَمَ ، فقيل لولده : كيف أصبح أبوك ؟ قال : أصبح ممَّن يعبدُ الله على حَرْف .

* * *

أسلمُ موضع

نظرَ بعضُ الحكماء إلى رجلٍ يرمي هدفاً وسهامه تذهب يميناً وشمالاً ،

فقعد في وجه الهدف ، فقيل له في ذلك ، فقال : لم أر موضعاً أسلم منه .

* * *

أعوذ بالله

قيل : إنَّ أحد الأمراء الظالمين أُتي بأحد الظرفاء الأذكياء ، وقال له : إنَّ الملوك السابقين كانوا يُسمَّوْن بـ « الواثق بالله » ، و « المستعين بالله » ، و « المقتدر بالله » ، فما ترى أن تكنّني ؟ قال : والله ؛ إنَّ السابقين لم يتركوا لكم شيئاً من هذه الأسماء ، فلم يبق لكم إلا كنية « أعوذ بالله » !!

* * *

إنه معتوه

أراد رجلٌ أن يَحْجُر على قريب له عند القاضي ، فسأله القاضي عن سبب حجره ، قال : رأيت معتوهاً يرمي دراهمه وهو يلمُّها ويعيدها له !! فحيثُ لم يأخُذْها ، فهو معتوه .

* * *

القصير لا يُظلم

جلس كسرى مجلساً لردِّ المظالم ، فأتاه رجلٌ قصير يتظلَّم ، فلم يلتفت إليه ! فنبَّهه وزيره ؛ فقال لوزيره : القصير لا يُظلم . فأجابه القصير : مَنْ ظلَمني أقصرُ مني . فضحك وأنصفه .

* * *

نسيت اسم نفسي

قيل : إنَّ زياداً أمر بضرب عُنق رجل . فقال : أيها الأمير ؛ إنَّ لي بك حرمةً . قال : وما هي ؟ قال : إنَّ أبي جارُك بالبصرة . فقال : ومن أبوك ؟ قال : يا مولاي ؛ إنِّي نسيتُ اسم نفسي فكيف لا أنسىٰ اسم أبي ! فردَّ زيادٌ كُمَّه على فمه وضحك ، وعفا عنه .

مكذوب على كلينا

أُدخل مخنَّث على العريان بن الهيثم، وهو أمير الكوفة؛ فقال: يا عدوَّ الله؛ أتتخنَّثُ وأنتَ شيخ ؟ فقال : مَكذوب عليَّ كما كُذب على الأمير . فقال : وما قيل فيَّ !؟ قال : يُسمونك « العريان » ولك عشرون جبة .

* * *

سعد الدين

قيل : إنَّ شهاب الدين القوصي حضر عند الملك الأشرف ، وقد دخل عليهما الحكيم سعد الدين ؛ فسأل الملك الأشرف شِهاب الدين عنه ؛ فقال : هذا بين يديك سعد السعود ، وعلى مائدتك سعد بلع ، وعند الضيوف سعدُ الأخبية ، وعند المرضى سعد الذابح .

فعدَّ من محاسن اتفاقه .

* * *

مزيد المدني

مرض مزيد المدني يوماً فقال له الطبيب : احتم ، قال : يا هذا ؛ أنا ما أقدر على شيء إلا على الأماني أفأحتمي منها .

* * *

ورآه إنسان وهو بالرها وعليه جبة خَزٍّ !! فقال : هب لي هذه الجبة ، فقال : ما أملك غيرها ! فقال الرجل : فإنَّ الله تعالى يقول : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[1] ، فقال : الله أرحم بعباده من أن ينزل هذه الآية بالرها في كانون ، وإنَّما نزلت بالحجاز في حزيران وتموز وآب .

* * *

(١) الآية : ٩ ؛ من سورة : الحشر .

ونظر يوماً إلى امرأته ، وهي تصعد في سُلَّم ! فقال لها : أنت طالق ؛ إن صعدت ، وأنت طالق إن نزلتِ ، وأنت طالق إن وقفتِ ، فرمت بنفسها إلى الأرض !! فقال لها : فداك أبي وأمي ، إن مات مالكٌ احتاج الناس إليك في أحكامهم .

* * *

وهبَّت ريحٌ بالمدينة صفراءُ أنكرها الناس وفزعوا ، فجعل مزيد يدقُّ أبواب جيرانه ويقول: لا تعجلوا بالتوبة فإنَّما هي وحياتكم زوبعةٌ والساعةَ تنكشف!! .

* * *

وصلَّى يوماً ، فلمَّا فرغ دعا فقالت امرأته : اللهم أشركني في دعائه ، فلمَّا سمعها قال : اللهم ؛ أصلني .

* * *

وغضب يوماً عليه بعض الولاة فأمر الحجام بحلق لحيته ، فقال له الحجام : انفخ شدقيك حتى أتمكن من الحلاقة ، فقال : الوالي أمرك بحلق لحيتي أوتعلِّمني الزَّمر .

* * *

وجمع مرة في بيته بين متعاشقين فتعاتبا ساعة ، ثمَّ إنَّ العشيقَ مدَّ يده! فقالت : دع هذا ؛ فليس هذا موضعه !! فسمعها مزيد ؛ فقال : فأين موضعه بين الركن والمقام ؟! .

* * *

إن وجد فراشاً

باع نخَّاسٌ من أعرابي غلاماً ، فأراد أن يتبرَّأ من عيبه ؛ قال : اِعلمْ أنَّه يبول في الفراش . قال : إن وجد فراشاً فليبل فيه .

* * *

خير ما يرزقه العبد

قال بعض الملوك لوزيره وأراد محنته : ما خير ما يرزَقه العبد !؟ قال : عقلٌ يعيش به ، قال : فإن عدمه ؟ قال : أدبٌ يتحلَّى به . قال : فإن عدمه ؟ قال : حالٌ يستره . قال : فإن عدمه ؟ قال : صاعقة تحرقه ، فتريح منه العباد والبلاد .

* * *

بكم بعتِه

قال رجل لآخر : اشتريت أوقية لحم بدرهم . فقال له الآخر : بكم بِعتِه ؟ ـ وكَسَر تاءَ « بعته » ـ قال له صاحبه : لم كسرتَ تاء « بعتِه » ؟ قال : نعم ؛ لِمَ باؤك تجرّ وبائي لا تجرّ ؟ قال : نعم ، كسَّر الله من أمثالك يا سيدي .

* * *

لا تقل تكبتل

ازدرد حبلٌ على عنق حمار رجلٍ لُغَوي ، فأتى إليه بعضهم وقال له : الحمار تَكَبْتَلَ الرَّسَنُ على فمه ؛ فلم يردَّ عليه ! فقال : تكبتل الرسنُ على رقبته . فلم يردَّ عليه ! قال : لا تقلْ تكبتل ، ولكنْ قُلْ : لُفَّ الحبلُ على رقبته . قال : كاد الحمار يموت . قال اللغوي : لموتُ الحمار خيرٌ من موت اللغة .

* * *

امرأتي طالق

وقع نَحْويٌّ في كَنيف ، فجاءه كنَّاسٌ ليخرجَه ، فصاح به الكنَّاس ليعلمَ أهو حيٌّ ؛ أم لا . فقال له النحوي : اطلبْ لي حبلاً دقيقاً ، وشدَّني شداً وثيقاً ، واجذُبْني جَذْباً رفيقاً .

فقال الكنَّاس : امرأتي طالق إن أخرجتك منه .

ثمَّ تركه وانصرف .

دعني آوي إلى جبل

سمع أعرابيٌّ أبا المكنون النحوي وهو يقول في دُعائه يستسقي : اللَّهم ؛ ربَّنا وإلهنا وسيّدنا ومولانا صلِّ على محمد نبيِّنا ، ومَن أراد بنا سوءاً فأحط ذلك السُّوء به كإحاطة القلائد بأعناق الولائد ، ثمَّ أرسخهُ على هامته كرسوخ السِّجِّيل على هام أصحاب الفيل ، اللَّهم ؛ اسقنا غيثاً مغيثاً ، مريعاً مجللاً ، مسحَنْفِراً هزجاً ، سفوحاً طبقاً ، غدقاً مثِعنجراً صخباً ، فقال الأعرابي : يا خليفة نوح ؛ الطُّوفان ورب الكعبة ، دعني حتَّى آوي إلى جبل يعصمني من الماء .

* * *

كلام ما خلق الله له أهلًا

دخل خالد بن صفوان الحمَّام ، وفي الحمَّام رجلٌ ومعه ابنُه ، فأراد الرجلُ أن يُعرِّف خالداً ما عنده من البيان والنحو ، فقال : يا بنيَّ ؛ ابدأ بيداك ورجلاك .

ثمَّ التفت إلى خالد فقال له : يا أبي صفوان ؛ هذا كلامٌ قد ذهب أهله . فقال خالد : هذا كلام ما خلق الله له أهلاً .

* * *

مفقع مفاقيع متفقع

تقدّم رجلان إلى عبيد الله بن الحسن العنبري فشهدا عنده على إعدام رجل ، فقال : تشهدان أنه معدم مفقع(١) ؟ فقالا : أصلح الله القاضي ، شهدنا بما علمنا فما المفقع ؟ قال : المفقع أجير المعدم ، فقالا : نشهد أنه معدم مفقع مفاقيع متفقع .

* * *

---

(١) المفقع : الفقير المجهود أو هو أشد ما يكون من سوء الحال ، وقوله : مفاقيع متفقع كأنه من باب التملح .

غمِّضوني

كان لرجل من التجار ولد يتقعَّر في كلامه ويستعمل الغريب ، فجفاه أبوه استثقالاً له وتبرُّماً به وممَّا كان يأتي به ، فاعتلَّ أبوه علَّة شديدة أشرف منها على الموت . فقال : أشتهي أن أرى وُلْدِي فأحضروهم بين يديه وأُخِّر هذا ثم أُخِّر حتى لم يبق سواه ، فقالوا له : ندعو لك بأخينا فلان ؟ فقال : هو والله يقتلني بكلامه ، فقالوا : قد ضمن أن لا يتكلم بشيء تكرهه ، فأذن لهم فلما دخل قال : السلام عليك يا أبت ، قل أشهد أنْ لا إله إلا الله ، وإن شئت قل أشهد أنَّ لا إله إلا الله فقد قال الفراء : كلاهما جائز والأولى أحبُّ إلى سيبويه . والله يا أبت ما شغلني غير أبي عليٍّ ؛ فإنَّه دعاني بالأمس : فأهرس وأعدس ، وأرزز وأوزز ، وسكبج وسبج ، وزربج وطهيج ، وأبصل وأمصر ، ودجدج وأفلوذج ولوزج . فصاح أبوه العليل : غمِّضوني ، فقد سبق ابنُ الزانية ملك الموت إلى قبض روحي !! .

* * *

ابعث خلف عمرو

هاج بأبي علقمة النحوي دم فأتوه بحجَّام ، فقال له : اشدد قصب المحاجم ، وأرهف ظبا المشارط ، وأسرع الوضع ، وعجِّل النزع ، وليكن شرطك وخزاً ، ومصك نهزاً ولا تكرهنَّ آبياً ، ولا تردنَّ آتياً ، فقال الحجام : ابعث خلف عمرو بن معدي كرب ، وأما أنا فلا طاقة لي بالحرب .

* * *

وسقط مرَّة مغشياً عليه فأقبل قوم يعضون إبهامه ، ويؤذِّنون في أذنه ، فقام من غمرات غشيته ، فقال : ما لكم تتكأكئون عليَّ كتكأكئكم على ذي جنة ؛ افرنقعوا عني !! فقال بعضهم : اتركوه فإنَّ جنِّيته تتكلَّم بالهندية .

* * *

أحمقكم ابن النحاس

قال أبو العبَّاس أحمد بن عبد الرحمن بن اليتيم : كنت أماشي أبا جعفر بن النحاس حتى وقفنا على بائع تمر ، فقال له أبو جعفر : كيف تبيعني ؟ قال : ثلاثة ونص بدرهم . قال له : قل ثلاثة ونصف بدرهم ، قال : ثلاثة ونَصف بدرهم ، فقال له : قل ثلاثة ونِصف ـ بالكسر ـ. فضجر وقال : ونِصف أفرغ لسانك فنحن في بيع وشراء ؛ لسنا في نحو !!. قال : فاجعله أربعة ؟ قال : أفعلُ يا بغيض ، فوزن له بدرهم ، فقال أبو جعفر : أدر الصنجة من الكِفَّة إلى الكفة ، فقال : أنا أعرف ابن النحاس فإنه أحمقكم ، قال ابن اليتيم : فقلت له : أبيت أن تنصرف إلا مصفوعاً !!.

* * *

وصف طفيلي

وصف بعضُ الظُّرفاء طُفيلياً فقال : هو مفرِّقُ شمل الزَّبادي ، وخطَّافُ اللُّقم من الأيادي ، ومُكَوِّرُ حلواء الصُّحون ، والعاملُ بأضراسه عملَ الطَّاحون ، يُمشمشُ الدَّجاجَ المطجَّن ، وهو ذئبُ الخروفِ المُسمَّن ، الصابرُ على حرارة الطَّعام ، والمتجرّىء على ضربِ الهمام ، وقساوةِ الحُجّاب والخدّام ، ولاَّجُ الدور ، وعالمُ الغيب بالقدور ، غريقُ الأدهان ، ودكَّاكُ الإوزِّ السِّمان ، ذو الكيس المشمَّع ، واللسان المُلمّع ، الذي لا يقنعُ ولا يشبع ، يضيّع المكان ، ويأكل ما كان .

* * *

خلال طفيلي

عوتب طفيلي على التطفيل ، فقال : والله ما بُنيت المنازل إلا لتُدخل ، ولا نُصبت الموائد إلا لتؤكل ، وإني لأجمع في التطفيل خلالاً ، أدخل مُجالساً ، وأقعد مستأنساً ، وأنبسط وإن كان ربُّ الدار عابساً ، ولا أتكلَّف مغرماً ، ولا أنفق درهماً ، ولا أتعب خادماً .

نصيحة خبير

قال أبو درَّاج الطفيليُّ لأصحابه : لا يهولنَّكم غلق الأبواب ، ولا شدّة الحجّاب ، ولا عنف البوَّاب ، وتحذير العقاب ، ومبارزة الألقاب ، فإن ذلك صائر بكم إلي محمود النوال ، ومغن لكم عن ذل السؤال ، واحتملوا الوكزة الموهنة ، واللطمة المزمتة ، في جنب الظفر بالبغية ، والدرك للأمنية ، والزموا الطوزجة للمعاشرين ، والخفة بالواردين والصادرين ، والتملُّق للملهيين والمطربين ، والبشاشة بالخدم والموكلين ، فإذا وصلتم إلى مرادكم فكلوا محتكرين ، وادَّخروا لغدكم مجتهدين ، فإنكم أحقُّ بالطعام ممن دُعِيَ إليه ، وأولى ممن صنع له ، فكونوا لوقته حافظين ، وفي طلبه متمسكين .

* * *

ما بلغ من طمعك ؟

قيل لأشعب : ما بلغ من طمعك ؟ قال : ما رأيت عروساً تزفُّ إلا وظننتُها لي ، ولا رأيت جنازة إلا وظننت أنَّ صاحبها أوصى لي بشيء ، ولقد أطاف بي مرَّة صبيان ؛ فنادوا : يا أشعب يا أشعب ؛ فأضجروني ، فدفعتهم عني بأن قلت لهم : دار فلان تهب ، فبادروا . فلمَّا وَلَّوا ظننت أني صادق فتبعتُهم .

* * *

لا هَنَأَ لَكَ المَرْتَعْ

أكل أعرابي مع سليمانَ بنِ عَبْد الملك ، فتنَاول الأَعرابيُّ من بين يديْه شَيئاً فأكله ، ثم مَدَّ يدَه فتناول شيئاً آخرَ ؛ فقال سليمانُ : كُلْ مما يليك . فقال : أوَ هَهُنا حِمَى ؟ فقال : خُذْها لا هنأ لك المَرْتَع .

* * *

لم أحوجك إلى رسول

طفلَ رجلٌ مرَّةً على رجلٍ ، فقال له صاحبُ المنزل : مَن أنتَ ؟ قال : أنا الذي لم أُحوجْكَ إلى رسول .

❋ ❋ ❋

ما أدري لمن أشكر

دعا رجلٌ قوماً فجاؤوا واتَّبعهم طفيليٌّ ، ففطنَ به الدَّاعي ، فأرادَ أن يُعلمَهُ أنَّه فطنَ به ؛ فقال : ما أدري لمن أشكرُ منكم !! لكم إذ أجبتموني ؛ أم لهذا الذي تجشَّمَ من غير دعوةٍ !؟ .

❋ ❋ ❋

مقدار مقامه

ضافَ رجلٌ قوماً فكرهوه ، فقال صاحب الدار لامرأته : كيفَ لنا بعلمِ مِقدارِ مقامه ؟ قالت : ألقِ بيننا شرّاً حتَّى نتحاكمَ إليه !! ففعلا .

فقالت للضَّيف : بالذي يُباركُ لك في غدوِّكَ غداً ؛ أيُّنا أظلمُ ؟

فقال الضيفُ : والذي يُباركُ لي في مقامي عندكم شهراً ما أَعلم .

❋ ❋ ❋

جالينوس يلقمه الجوارش

مرّ أعرابيٌّ بقوم من الكَتَبة في مُتَنَزَّهٍ لهم ، وهم يأكلون ، فسلَّمَ ثم وضع يده يأكلُ معهم !! فقالوا : عرفتَ فينا أحداً ؟ قال : بلى ؛ عرفتُ هذا . وأشار إلى الطعام ! فقال بعضُ الكتَّاب يصفُ أكله معهم : لم أرَ مثل ثَرطه ومطه ، قال الثاني : وأكله دجاجة ببطه ، قال الثالث : ولَفِّه رقاقة بفطه ، قال الرابع : كأنَّ جالينوس تحت إبطه ، فقالوا للرَّابع : أمَّا الذي وصفنا من فعله فمفهوم ، فما

يَصنعُ جالينوس من تحت إبطه ؟ قال : يُلقمُه الجوارشَ[1] ، كلَّما خافَ عليه التُّخمةَ يَهضمُ بها طعامَه[1] .

* * *

كأن أمَّه

كان للمُغيرة ، وهو والي الكوفة جديٌ يُوضع على مائدته ، فحضرَه أعرابيٌّ فمدَّ يده إلى الجدي ، وجعل يُسرعُ فيه ، فقال له المُغيرة : إنَّك لتأكُلُه بحردٍ[2] ؛ كأنَّ أُمَّه نطحتك !! قال : وإنَّك لمُشفقٌ عليه ، كأنَّ أمَّه أرضعتك !!

* * *

أي سورة تعجبك ؟

قيل لطفيلي : أيُّ سورة تعجبك في القرآن !؟ قال : المائدة . قيل : فأيُّ آية ؟ قال : ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ ﴾[3] قيل : ثمَّ ماذا ؟ قال : ﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا ﴾[4] ، قيل : ثمَّ ماذا ؟ قال : ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾[5] . قيل : ثمَّ ماذا ؟ قال : ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[6] .

* * *

ما أعجبك من حديثنا ؟

لزم أعرابيٌّ سفيان بن عُيَيْنة مدَّة يسمع منه الحديث ، فلمَّا جاء ليسافر قال له سفيان : يا أعرابيّ ما أعجبك من حديثنا !؟

---

(١) الجوارش : مادة تساعد على الهضم .
(٢) حردَ : غضبَ . والحردُ : الغضبُ .
(٣) الآية : ٣ ؛ من سورة : الحجر .
(٤) الآية : ٦٢ ؛ من سورة : الكهف .
(٥) الآية : ٤٦ ؛ من سورة : الحجر .
(٦) الآية : ٤٨ ؛ من سورة : الحجر .

قال : ثلاثة أحاديث : حديث عائشة رضي الله تعالى عنها عن النَّبيِّ ﷺ : أَنَّه كانَ يُحِبُّ الحلوىٰ والعسل . وحديثه عليه الصلاة والسلام : « إِذَا وُضِعَ ٱلعَشَاءُ ، وَحَضَرَتِ ٱلصَّلاَةُ فَٱبْدَؤوا بِٱلعَشَاءِ » ، وحديث عائشة أيضاً : « لَيْسَ مِنَ ٱلبِرِّ ٱلصَّوْمُ فِي ٱلسَّفَرِ » .

* * *

لا أسمع للغداء ذكراً

دَعَتْ أبا الحارث جُمَّيْزَ واحدةٌ كان يحبُّها ، فجعلتْ تُحادثه ، ولا تذكرُ الطَّعامَ ، فلمَّا طالَ ذلك به ، قال : جعلني اللهُ فداكِ ، لو أنَّ جميلاً وبثينةَ قعدا ساعةً لا يأكلان شيئاً لبزقَ كلُّ واحدٍ منهما في وجهِ صاحبه وافترقا !! .

* * *

أي صوت تشتهي ؟

قال محمَّد بن عبد الرحمن : دعا رجلٌ مرَّة صديقاً له ، فأقعده إلى العصر ، فلم يُطعمه شيئاً ، فاشتدَّ جوعه ، وأخذه مثل الجنون ، فأخذ صاحب البيت العودَ، وقال له : أيُّ صوت تشتهي أن أسمعك ؟! قال: صوت المقلى .

* * *

ريح الأماني

جلس عبد الله ابن أبي عتيق مع زوجته ، فتمنّى أن يُهدى له مسلوخٌ ، فيتخذ منه لونَ كذا ولونَ كذا ، فسمعته جارةٌ له فظنَّت أنَّه أمرَ بعملِ ما سمعت ، فانتظرته إلى الليل ، ثمَّ جاءت ، وطرقتِ البابَ ؛ وقالت : شممتُ رائحة قدركم ؛ فجئتُ لتطعموني منها !! فقال ابن أبي عتيق لامرأته : أنت طالقٌ إنْ أقمنا في دارٍ يتشمَّمُ أهلُها ريحَ الأماني .

ورحل عنها .

* * *

أكرمي ديكنا

رأيتُ في بعض الكتب أنَّ قاضياً كان فقيراً ، فلمَّا كان عيدُ الأضحى قال لزوجته : لا بأس بذبح هذا الدِّيْك الذي لم نملك غيره ، فبلغ ذلك جيرانه فبعث هذا بكبش وهذا بكبش ، فلمَّا رجع القاضي من صلاة العيد وجد في الدار ثلاثين كبشاً !! فقال لزوجته : ما هذا ؟! فأخبرته الخبر ، فقال : أكرمي ديكنا لعلَّه من ذرية إسماعيل ، فإنَّ الله فداه بكبش واحد وديكُنَا فداه بثلاثين كبشاً !! .

* * *

وصفة ناجحة

شكا رجلٌ إلى طبيب سُوءَ الهَضْم ، فقالَ : كُلْهُ مَهْضوماً .

* * *

اذهب إلى البيطار

وجاء آخر إلى طبيب ، فقال : أكلتُ الشعير والرُّطَبَة فأصابني مَغَص ، فقال : هذا طعام الحمار فاذهب إلى يحيى البَيْطارِ يعالجْكَ .

* * *

لو كان

وقال طبيب لمريض : لا تأكُلِ السمكَ واللحم ، فقال : لو كانا عندي ما اعْتَلَلْتُ .

* * *

تصدق بالولادة ولا تصدق بالنفاس

وجدت امرأة أشعب ديناراً فأتته به ، فقال : ادفعيه إلي حتى يلد لك في كل أسبوع درهمين ، فدفعته إليه ، فصار يدفع إليها في كل أسبوع درهمين ،

فلما كان في الأسبوع الرابع طلبته منه ، فقال لها : مات في النفاس ، فقالت : ويلي عليك ؛ كيف يموت الدينار ؟!! فقال لها : الويل لك على أهلك ؛ كيف تصدقين بولادته وتنكرين موته في نفاسه .

* * *

قبل الوحي

وأهدى رجل من ولد عامر بن لؤي إلى إسماعيل الأعرج فالوذجة وأشعبُ حاضر فقال : كل يا أشعب ، فأكل منها ، فقال : كيف تراها ؟ فقال : عليه الطلاق إن لم تكن عملت قبل أن يوحي ربك إلىٰ النحل .

أي ليس فيها حلاوة .

* * *

نصف العمل

قال أشعب : أسلمتني أمي إلى بزاز فسألتني بعد سنة : أين بلغت ؟ فقلت : في نصف العمل ، قالت : وكيف ؟ قلت : تعلمت النشر وبقي الطيّ . قالت : إذاً لا تفلح .

* * *

أُذكري أنَّكِ سألتني

وسألته صديقة له خاتماً فقالت : أذكِّرُك به .

قال : اذكري أنك سألتني ومنعتك .

* * *

تراه نسي اسمي

دخل طفيلي عرساً فلم يقدر على الدخول ، فأخذ قرطاساً وأدرجه ولم يكتب فيه شيئاً ، وسأل عن العروس هل له قرابة غائب ، فقيل : أخوه ، فكتب

عنوان الكتاب من فلان ابن فلان إلى أخيه ، وجاء فدقَّ الباب ، وقال : معي كتاب من أخي العروس ، فخرج العروس مبادراً فأدخله وأحضر له الطعام ، فلما قرأ العنوان قال : سبحان الله ، تراه نسي اسمي إذ لم يكتبه على الكتاب !!

فقال الطفيلي : وأعجب من هذا أنه لم يكتب داخله شيئاً من العجلة !!.

فعلم مراده .

* * *

تحتاج هذه القدر إلى لحم

نصب بعضهم مع رفقاء له قدراً وجعل فيها لحماً ، فلما تلهوجت نشل بعضهم قطعة وقال : تحتاج إلى ملح ، ونشل آخر قطعة وقال : تحتاج إلى إبزار ، ونشل آخر قطعة وقال : تحتاج إلى بصل ، فرقع أبو الحارث القدر ؛ وقال : والله تحتاج هذه القدر إلى لحم .

* * *

كيف مات أبوك ؟

قعد عبادي وأعرابي يأكلان ، فقال العبادي للأعرابي : كيف مات أبوك ؟ ـ ليشغله بالكلام عن الأكل ـ فقال : أصابه كذا وكذا ، فأخذ في حديث طويل والعبادي يأكل ، ثم قال الأعرابي : وأنت كيف مات أبوك ؟ ليشغله بالكلام عن الأكل ، فقال : انتخم فمات .

* * *

بِمَ تسحّرت ؟

قيل لرجل : بِمَ تَسَحَّرْتَ البارحة ؟ فقال : باليأس عن فطور اللَّيلة .

* * *

لو كان

قال أعرابي لامرأته : لو كان عندنا تمر وسَمْن ، لطلبنا دقيقاً ، واستَعَرْنا طنجيراً ، واتخذنا عصيدة .

* * *

من يحضر ؟

قيل للجَمّاز : من يَحْضرُ مائدةَ الهبيرا ؟ فقال : أكرمُ خلق الله ، الكرامُ الكاتِبون .

وقيل لآخر : ألا تأكل معنا ؟ فقال : الجَمَاعةُ مَجَاعة .

* * *

إن جعت يوماً لم تكوني على ذكري

تعشق أبو القماقم السقَّاء قينة ، فبعث إليها : حضر عندي إخوان فابعثي إلي بجام لوزينج آكله على ذكرك ، فبعثت إليه به ، فلما كان من الغد بعث إليها أرسلي لي بطبق مازاورد آكله على ذكرك ، فقالت : جُعلت فداك ذكروا أن منبع الحب من القلب ، فإذا تناهى بلغ إلى الكبد ، وأنا أرى حبك لا يتجاوز معدتك ، فقال : إنما فعلت هذا لأقوى على محبتك ، ألم تسمعي قول الشاعر :

إِذَاْ كَـاْنَ فِـيْ قَلْبِـيْ ذَكَـرْتُهَـاْ ... وَإِنْ جِعْتُ لَمْ تَخْطُرْ بِبَاْلِيْ وَلا فِكْرِيْ

وَإِنْ كَـاْنَ هَـذَاْ العَـاْمُ قَـدْ قَـلَّ بَقْلُـهُ ... فَيَقْبَـحُ مَـنْ يَهْـوَاْكِ يَـا رَبَّـةَ الخِـدْرِ

وَيَـزْدَاْدُ حُبِّـيْ إِنْ شَبِعْـتُ تَجَـدُّدَاً ... وَإِنْ جِعْتُ يَوْمَاً لَمْ تَكُوْنِي عَلَىٰ ذِكْرِيْ

* * *

أجازي عبادي على قدر عقولهم

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ؛ قال : كان رجل يتعبَّد في صومعةٍ ،

فأمطرتِ السماء واعشوشبتِ ، فرأى حمارَهُ يرعى في ذلك العُشب ، فقال : يا رب ؛ لو كان لك حمار لرعَيْته مع حماري . فبلغ ذلك بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فهمَّ أن يدعوَ عليه !! فأوحى الله إليه : لا تدعُ عليه ؛ فإنِّي أُجازي العباد على قَدْرِ عقولهم .

* * *

أيُّهم الأحمق ؟

حُكيَ أنَّ أحمقين اصطحبا في طريق ، فقال أحدهما : تعال نتمنَّى على الله ، فإنَّ الطريق تُقطع بالحديث . فقال أحدُهما : أنا أتمنَّى قطائع غنم أنتفعُ بلبنها ولحمِها وصوفها .

وقال الآخر : أنا أتمنَّىٰ قطائع ذئاب أُرسلُها على غنمك حتَّى لا تتركَ منها شيئاً .

قال : ويحك ؛ أهذا من حقِّ الصُّحبة وحُرْمةِ العِشْرَة ؟!

فتصايحا واشتدَّتِ الخُصومة بينهما حتَّى تماسكا بالأطواق ، ثمَّ تراضيا على أنَّ أوَّلَ مَن يطلُع عليهما يكون حَكَماً بينهما .

فطلع عليهما شيخٌ بحمار عليه زِقَّان من عسل ، فحدَّثاه بحديثهما ، فنزل بالزِّقَّين وفتحهما حتى سال العسل على التراب ثم قال : صبَّ الله دمي مثل هذا العسل إنْ لم تكونا أحمقَيْن .

* * *

حلم أحمق

في كتاب « الهند » : إنَّ ناسكاً كان له سمنٌ في جرَّةٍ مُعلَّقةٍ على سريره ، ففكَّرَ يوماً وهو مُضطجع على السَّريرِ ، وبيده عكَّازةٌ ، فقال : أَبيعُ الجرَّة بعشرةِ دراهم ، فأشتري بها خمسةَ أعنُزٍ ، فأُولِّدُهنَّ في كلِّ سنةٍ مرَّتين حتَّى تبلغَ ثمانين ، وأَبيعهنَّ وأَبتاعُ بِكلِّ عشرةٍ بقرةً ، ثمَّ يَنمو المالُ بيدي ؛ فأبتاعُ العبيدَ

والإماء ، يُولدُ لي ولدٌ فآخذ به في الأدبِ ، فإنْ عَصاني ضربتُهُ بهذه العكَّازة ، وأشارَ بالعصا فأصابَ الجرَّةَ فانكسرتْ ، وانصبَّ السَّمنُ على وجههِ ورأسه .

* * *

اللهم لا أملك إلا امرأتي

وذُكر أنَّ جماعةً ركبوا البحر ، فأصابَتْهم ريحٌ أيسوا من النجاة ، فأعتق كلُّ واحدٍ ممَّا عنده من العبيد، وبقي أحمق ليس عنده ما يُعتقه؛ فقال: اللهم؛ إنَّك تعلمُ أنَّه ليس عندي ما أُعتقه، فاشهدْ أنِّي طلَّقتُ زوجتي طلقةً واحدةً لوجهك .

* * *

يكفيني ستة أشهر

سمع بعض الحمقى أنَّ صيامَ يومِ عاشوراء يكفِّرُ السنة قبلها ، فصام إلى الظهر وقال : يكفيني ستَّة أشهر .

* * *

سميتها الأعور

يقال : إنَّ العِجْل بن تميم كان من حمقى العرب ، وكان له فرسٌ جواد فقيل له : إنَّ لكلِّ جوادٍ اسماً ، فما اسمُ فرسك ؟ فنزل عنها وفقأ عينها وقال : سمَّيتُها « الأعور » .

فقال فيه الشاعر :

رَمَتْنــي بَنُــو عِجْــلٍ بِــدَاءِ أَبِيْهِــمُ وَهَلْ أَحَدٌ فِي ٱلنَّاسِ أَحْمَقُ مِنْ عِجْلِ !!

أَلَيْــسَ أَبُــوهُــمْ عَــارَ عَيْــنَ جَــوَادِهِ فَصَارَتْ بِهِ ٱلأَمْثَالُ تُضْرَبُ بِٱلجَهْلِ !!

* * *

أيّ يوم صلينا الجمعة ؟

قال حمزةَ بن بِيض يوماً لغلامه : أيَّ يومٍ صلَّينا الجمعة بالرُّصافة ؟ فافتكر الغلامُ ساعةً ثم قال : يوم الثلاثاء .

* * *

على قدر الحصص

قال الأصمعيُّ : كان بين رجلين من الناس عبدٌ ، فقامَ أحدهُما يضربُه ، فقال له شريكه : ما تَصنعُ ؟ قال : أنا أضربُ نصيبي منه ، قال : وأنا أضربُ حصَّتي فيه . وقام فضربه ، فكان من رأي العبد أن سَلَحَ عليهما ؛ وقال : اقسما هذه على قدر الحصص .

* * *

ما تعلم وما لا تعلم

كان ابن الجصَّاص الجوهري ممَّن يُنسب إلى الحمق والبَلَه ، فممَّا يُحكى عنه أنّه قال في دعائه يوماً : اللهم ؛ اغفر لي من ذنوبي ما تعلم وما لا تعلم .

* * *

الحاضر والغائب

ونظر يوماً في المرآة ؛ فقال لرجل آخر : انظر ذقني هل كبرت ؛ أو صغرت ؟ فقال له : إنَّ المرآة بيدك !! قال : صدقت ؛ ولكن الحاضر يرى ما لا يرى الغائب .

* * *

لا يقربها إلى سنة

وأراد مرَّة أن يدنوَ من بعض جواريه فتمنَّعت عليه !! فقال : أعطي عهد الله ؛ لا أقربك إلى سنة ؛ لا أنا ولا أحدٌ من جهتي .

* * *

سرَّني هذا

وماتت امرأة أبي إسحاق الزجّاج ؛ فاجتمع الناس عنده للعزاء ، فأقبل ابن الجصَّاص ، وهو يضحك ويقول : يا أبا إسحاق ؛ والله سرَّني هذا . فدهش أبو إسحاق والناسُ !! وقال بعضهم : يا هذا ؛ كيف سرَّك غمُّه وغمُّنا ؟ قال : قد بلغنا أنَّه هو الذي مات ، فلمَّا صحَّ عندي أنَّها امرأته سَرَّني ذلك ! فضحك النَّاس .

* * *

ضرَّة عائشة

وقال يوماً: اللهم؛ امسخني واجعلني حوريَّة وزوِّجني بعمر بن الخطاب!! فقالت له زوجتُه : سل الله أن يزوِّجَك من النَّبيِّ ﷺ إن كان لا بدَّ لك أن تبقى حوريَّـة !! فقال : ما أحبُّ أن أكون ضرَّة لعائشة رضي الله عنها .

* * *

ذكر أو أنثى

وأتاه يوماً غلامه بفرخ ؛ وقال : انظر هذا الفرخ ؛ ما أشبهه بأمِّه ؟ فقال : أمُّه ذكر ؛ أو أنثى ؟! .

* * *

عيب الدار

وبنى ابنُه داراً وأتقنها ثمَّ أدخل أباه ليراها ؛ وقال له : انظر يا أبتِ ؛ هل فيها عيبٌ !! فطاف بها ودخل المستراحَ فاستحسنه ؛ وقال : فيه عيبٌ ؛ وهو أنَّ بابه ضيق لا تدخل منه المائدة .

* * *

ازرع قطناً محلوجاً

وكتب إلى وكيل أن يحمل إليه مئةً من قطن ، فلمّا حملها إليه حلجها ، فاستقل المحلوجَ وكتب إليه هذا : لم يجئني منك إلا الربع ؛ فلا يزرع بعدها قطن إلا بغير حَبٍّ ؛ ويكون محلوجاً !! .

* * *

نتغدى قبل أن يتعشى

وانشقَّ له كنيف ؛ فقال لغلامه : يا درُّ أحضر مَن يصلحه لنتغدَّى به قبل أن يتعشى بنا .

* * *

وقيل : إنّ الصحيحَ أنَّه كان يتظاهر بذلك ليرى الوزراء منه هذا التغفل فيأمنون على أنفسهم إذا خلا بالخلفاء .

وتوفي بعد العشرين والثلاث مئة تقريباً عفا الله عنه ورحمه[1] .

* * *

أريد أن أمصَّه

كان جامع بن وهب الصيدلاني من أكبر الناس دنيا ؛ وأعظمهم غفلة ، اشترى مرة ثلجاً كثيراً، فقيل له: إنه كثير. فقال : أريد أن أمصه وأرمي بتفله .

وأُعطيَ ببغل له ثمناً خسيساً ، فقال : ما للعقار ببغداد قيمة !! .

ودخل بستاناً له ، فقال لوكيله : اِغرس لي بصلاً بخلٍّ ، فإنه نافع للصفراء .

وسقطت ابنته في البئر ، فقال : يا بنية لا تبرحي من مكانك حتى أجيء بِمَن يخرجك منها .

* * *

---

(١) فوات الوفيات .

يمين طلاق

وتبخَّر مغفل في ثياب نفيسة فاحترقت ، فحلف بالطلاق لا يتبخر بعدها إلا عرياناً .

* * *

حتى البهائم

وأُتي آخرُ ليكسر لوزة فزهقت عن الحجر ، فقال : كلُّ شيء يفرُّ من الموت حتى البهائم أيضاً .

* * *

أتأمر بشيء ؟

دخل بعضهم على الرشيد معزياً : فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أحسن الله عزاك وربُّك عزَّاك ، وأخاله علينا وعليك بخير ، ورحم فلاناً ولا أعرفه قليلاً ولا كثيراً ، تأمر بشيء يا أمير المؤمنين ؟ .

قال : نعم آمر أهلك أن يدفنوك ، فإن موتك حياة وحياتك موت .

* * *

اللجام لي

أجريت الخيل في الحلبة ، فجاء فرس من الخيل سابقاً ، فجعل رجل من النظارة يكثر الفرح ويكبِّر ويصفِّق ، فقال له رجل إلى جانبه : يا فتى ؛ ألفرس لك ؟ قال : لا ؛ ولكن اللِّجام لي .

* * *

عزّ وجلّ

روى بعضُ الناس حديثاً قدسيّاً انتهى فيه إلى النَّبيِّ ﷺ عن جبريل عليه

السلام ؛ عن ربّه تعالى ؛ عن رجل !! فقيل له : اتقِ الله ؛ أيُّها الرجل ، وانظُرْ فيما تقول !!

قال : هكذا في الكتاب !! ولدى مراجعته إذا هو : عزَّ وجلّ .

* * *

قفّة وسكينة وفار

دخل بعض العلماء إحدى القرى ، فوجدهم يصلُّون الجمعة ، وفي عُنق كلِّ واحدٍ منهم حمائلُ مُعَلَّقٌ فيها قُفَّة ، وفي كلِّ قُفَّة سِكِّينةٌ وفأرة !! فسألهم عن ذلك ؛ فقالوا : إنَّ الإمام أمرهم بذلك ، فلمَّا انقضتِ الصلاةُ سأل الإمام ؛ فقال : نعم ؛ هو في الكتاب كذلك . فأتى بالكتاب فإذا فيه :

حدَّثنا تحتي بن بختي عن شعبان النوري أنَّ رسول الله؛ قال : لا تُقبل صلاةُ أحدكم إلا بقُفَّة وسكِّينة وفار . فقال له العالم : لقد حرَّفت الكلام هي : يحيى بن يحيى عن سفيان الثوري أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لا تُقبل صلاةُ أحدِكم إلا بعِفَّةٍ وسَكِينةٍ ووَقَار » . فوضع نقط الكتابة وصحَّح تحمُّل الحديث .

* * *

هن سراويل الرجال

قيل : لما تولَّى مصطفى كمال باشا الحكم في تركية ، ومنع في بلاده قراءةَ القرآن ، ولُبسَ العمائم واستبدلها بالقُبَّعة الغربية الإفرنجية ، وقتل العلماء ، وبدَّل الأحرف العربية باللاتينية ، ومنع الأذان باللغة العربية ، وترجم القرآن باللغة التركية ، وبدَّل أحرفه ، وأحرق الكتب التي كانت بالأحرف العربية ، فكان من جملة الترجمة قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾[1] ، فظنَّ المترجم أنَّ اللِّباس هو السِّرْوال ، فكان

---

(١) الآية : ١٨٧ ؛ من سورة : البقرة .

ترجمتها : قادن لر ، اركڪر بنطلون ، اركڪلر ، قادنلره ، بنطلون در .

أي : النساء هنَّ سراويلُ الرجال والرجال سراويل النساء .

* * *

ما أدري على أي شيء أحسدك ؟

ذُكر أنَّ رجلاً من العامَّة بمدينة السلام[1] رفع إلى بعض الولاة الطالبين لأصحاب الكلام على جار له أنَّه يتزندق ، فسأله الوالي عن مذهب الرجل ، فقال : إنَّه مُرْجِىء قَدَرِيّ ناصبيّ رافضيّ إباضيّ ، فلمَّا استقصَّهُ عن ذلك ؛ قال : إنَّه يبغض معاوية بن الخطاب الذي قاتل عليَّ بن العاص ، فقال له الوالي : ما أدري ؛ على أيِّ شيء أحسدك ! على علمك بالمقالات ، أو على بصرك بالأنساب !!؟

* * *

أكبرهم لحية !

في « مروج الذهب » للمسعودي ما نصُّه : أخبرني رجل من إخواننا من أهل العلم ؛ قال : كنَّا نقعد نتناظر في أبي بكر وعمر وعليٍّ ومعاوية ، ونذكر ما يذكره أهل العلم ، وكان قوم من العامّة يأتون فيستمعون منا ، فقال لي ذات يوم بعضُهم ـ وكان من أعقلهم وأكبرهم لحية ـ : كم تطنبون في عليٍّ ومعاوية وفلان وفلان ، فقلت له : فما تقول أنت في ذلك ؟ قال : مَن تريد ؟ قلت : عليّاً ، ما تقول فيه ؟ قال : أليس هو أبا فاطمة ؟ قلت : ومَن كانت فاطمة !؟ قال : امرأة النَّبيِّ عليه السلام بنت عائشةَ أُختِ معاوية . قلت : فما كانت قصَّة عليٍّ ؟ قال : قتل في غزاة حنين مع النَّبيِّ ﷺ .

* * *

---

(١) بغداد .

بنات معاوية رضي الله عنه

قعَدَ أعجميٌّ مع عربيٍّ يتذاكر ، فقال الأعجميُّ : خسن خسين ـ بالخاء المعجمة ـ ؛ أليستا بناتِ معاوية عليه السلام ؟ فقال له : كلامُك كلُّه خطأ ، فأوّل كلمةٍ وثانيها بالحاء المهملة ؛ لا بالخاء المعجمة ، وأما كونهما بنات ، وهما ذكران لا بنات ! وينسبان لعليٍّ لا لمعاوية ! ومعاوية صحابي لا يقال له : ـ عليه السلام ـ !! .

* * *

حب الوطن

خاصمتِ امرأةٌ زوجها في تضييقه عليها ، فقالت : والله ؛ ما يُقيم الفأرُ في بيتك إلا لحبِّ الوطن ، وإلا فهُنَّ يَسترزقن من بيوت الجيران !! .

* * *

طاقة نرجس

جاءت دلاّلَةٌ إلى رجلٍ؛ فقالت: عندي امرأةٌ كأنّها طاقةُ نرجس، فتزَّوجها، فإذا هي عجوزٌ قَبيحة ، فقالَ للدلالةِ : غششتني !! فقالت : لا والله ؛ إنَّما شبَّهتُها بطاقةِ نرجس لأنَّ شعرها أبيضُ ووجهَها أصفر ، وساقها خضراء .

* * *

بم تُصبِّحها ؟

ـ زُفَّتْ إلى رجل امرأةٌ قبيحةٌ فقيل له : بم تصبِّحها ؟ قال : بالطلاق .

* * *

لا تفرحهم بشيء أبداً

حُكم على رجلٍ بالإعدام ، وبينما هو يُعدَم سُئل عن وصيته ، فطلب إحضار مطلَّقته ، فلمَّا حضرَتْ طلب السماحَ منها أن تُبعدَ أولادَه كي لا يشاهدوا منظره المؤلم . فقالت له : حسَبَ عادتِك ، لا تفرحُهم بشيء أبدا !

* * *

لو كنتِ تقويماً

كان لرجل امرأةٌ شريرة يتسلَّى عنها بالكتاب ؛ فقالت له : ليتني كنت كتاباً لتلزَمَني . قال : بل ليتَكِ كنت تقويماً .

قالت : لِمَ ؟ قال : لأنَّه يُستبدَلُ كلَّ سنة .

* * *

يا ليت

قالت امرأةٌ لزوجها الأعمى : يا ليتَ كنتَ بصيراً حتى ترى حُسني وجمالي ! فقال لها : لو كنتِ كما ذكرتِ ما تركك البصراءُ لي .

* * *

لست أغبط إلا شعرك

وقالت امرأةٌ لزَوْجِها وكانَ أصلع : لستُ أَغْبِطُ إلا شعركَ حيثُ فارقَكَ فاستراحَ مِنْك .

* * *

السادس الشقي

قال المدائني : كان المُطّلب بن محمد على قضاءِ مكَّة وقد كان عنده امرأةٌ قد ماتَ عنها أربعةُ أزواجٍ ، فمرضَ مرضَ الموت ، فجلستْ عند رأسِهِ تبكي ؛ وقالت : إلى مَن تُوصي بي ؟ قال : إلى السَّادسِ الشقيِّ .

* * *

لكنك بعد في الإصطبل

في كتاب « الأمالي » ص ٥٢ لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجَّاجي النَّحْوي البغدادي المتوفَّى سنة ٣٣٧ هـ قال :

حدَّثَني أبو الحسن بن البراء ؛ قال : حدَّثَني صَدَقَةُ بن موسى ؛ قال : كان في جِوارِنا رجلٌ اسمه حمار ، فتزوَّجَ امرأةً من ولد دارا ، فحسن موقعها معه ؛ فقالت له : أُحِبُّ أن تغيِّرَ اسمكَ . فقال لها : أفعل . ثمَّ قال لها : قد تَسمَّيْتُ بغلاً . فقالت : هو أحسنُ من ذاك ، ولكنَّكَ بَعْدُ في الإصطبل .

* * *

حلف ولم يحنث

أراد رجل أن يتزوَّجَ امرأةً ، فأبى أهل المرأة أن يزوِّجوها منه لأنّ له امرأةً أخرى ! فذهب الخاطب بامرأته الأُولى إلى المقبرة وأجلسها هنالك ، ثمَّ قال لأهل هذه المرأة : كلُّ امرأةٍ لي سوى التي في المقبرة طالق ثلاثاً . فحسِبوا أنْ ليسَتْ له امرأةٌ في الأحياء ، فزوَّجوا منه هذه المرأة ؟!

صحَّ النكاحُ ولا يحنَث[1] .

* * *

إنا لله وإنا إليه راجعون

حدَّث رجلٌ امرأته عن الجنَّة وما فيها من الحُور العِين ، وأنَّ لكلِّ رجلٍ كذا وكذا من الحور !!

فقالت له : والنساء ليس لهن أَحْورُ ؟ قال : حتَّى أسألَ الشيخ .

فسأله فقال له : أنت حُوريُّها . فرجع إليها وقال لها : أخبرَني الشيخ أنِّي أنا حوريُّك ؛ إنَّا لله وإنا إليه راجعون !!

* * *

---

(١) في « الفتاوى الهندية » أواخر باب تعليق الطلاق .

الحمد لله

قالت امرأة لزوجها : والله ؛ إنَّك لو دخلتَ الجنَّة لا تجدُ فيها امرأةً مثلي .

قال لها : الحمدُ لله وألفُ شكر .

❋ ❋ ❋

الطبيب أعلم

مَرِضَتْ عجوزٌ ، فأتاها ابنُها بِطَبيب ، فرآها الطبيبُ متزيِّنة بأثوابٍ مَصْبُوغة ، فعرفَ ما بها ، فقال الطبيب : ما أحوجها إلى زوج !

فقال الابن : ما أحوج العجائز للأزواج ؟ فقالت : ويْحَك ؛ الطّبيبُ أعلَمُ منكَ عَلَى كُلِّ حال .

❋ ❋ ❋

أم عمرو طالق ثلاثاً

حكى دِعْبِل الخُزَاعيُّ قال : خرجتُ أنا ورفيقان لي من قرية تُسمَّى « بطياثا » ، وهي من قرى بغداد للتنزُّه فيها ، فأقمنا بها يوماً ، فلمَّا أردنا الانصراف قلت لرفيقي : ليقُلْ كلٌّ منَّا في صفةِ يومنا شيئاً . قالا : فابتدىء أنت ؛ فقلت :

نِلْنَـا لَـذِيْـذَ ٱلعَيْـشِ فِـي بَطْيَـاثَـا

فقال أحدهما :

لَمَّـا حَسَـوْنَـا أَقَـدُحَـاً ثَـلاثَـا

وأُرْتِجَ على الآخر ؛ فقال :

وَأُمُّ عَمْـرٍ طَـالِـقٌ ثَـلاَثَـا

فقلنا : ويحك ؛ ما ذنب المرأة ؟ فقال : والله ؛ ما لها ذنب إلا أنَّها قعدت على طريق القافية .

* * *

ما لك ذنب غيره

طلَّقَ رجلٌ امرأتَهُ فقالت : أبعدَ صُحبةِ خمسين سنة ؟ فقال : ما لَكِ عندنا ذنبٌ غيره .

* * *

رأيت رجلًا يقبّلها

عن الشَّعبيِّ : قال سمعتُ المُغيرةَ بنَ شُعبة يقول : ما غَلبني أحدٌ قطُّ إلاّ غلامٌ من بني الحارث بن كعب ، وذلك أنّي خطبتُ امرأةً من بني الحارث وعندي شابٌ منهم ، فأصغى إليَّ ؛ فقال : أيُّها الأمير ؛ لا خيرَ لك فيها . قلتُ : يا ابنَ أخي ؛ وما لها ؟ قال : إنِّي رأيتُ رجلاً يُقبِّلُها . قال : فبرِئتُ منها ، فبلغني أنَّ الفتى تزوَّجها ! قلت : ألم تُخبرني أنَّك رأيتَ رجلاً يُقبّلها ؟ قال : نعم رأيتُ أباها يقبِّلها[1] .

* * *

إن لم يصبها وابل

اِطَّلع بعضُ الملوك أنَّ جاريته تميلُ لأحد مواليه واسمه « طل » ، فنهاها أن تذكره ، فتقصَّدتْ أنْ قرأتْ بحضرته قولَهُ تعالى : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ ﴾[2] فما نهى عنه أمير المؤمنين ، فقال لها : لم أنْهَكِ عمّا في القرآن !!

* * *

(١) العقد الفريد : ٢١٨ ج ٣ .

(٢) الآية : ٢٦٥ ؛ من سورة : البقرة .

ليس على كل أحد

دخل لصّ داراً ، فأخذ ما فيها وخرج ، فقال صاحبُ الدار : ما أنحسَ هذه الليلة !! فقال اللصُّ : ليس على كلِّ أحدٍ .

* * *

يضيق القباء

حضرَ خيَّاطٌ عند بعض الأتراك ليفصِّل له قباء ، فأخذ يفصّلُ والتركيُّ ينظر إليه ، فما أَمكنه أن يسرقَ شيئاً ، فضرطَ ، فضحكَ التركيُّ حتَّى استلقى ، فأخرجَ الخيَّاطُ من الثوبِ ما أراد ، فجلس التركيُّ فقال : يا خياط ضرطة أخرى . فقال : لا يجوز ، يضيق القباء .

* * *

من سرق المصحف ؟

سُرقَ مصحفٌ لمالك بن دينار ، فوعظَ أصحابه ، فجعلوا يَبكون ، فقال : كلُّنا نبكي ، فمن سرقَ المُصحف !؟

* * *

عزّ عليّ

دخل لصٌّ بيتَ قومٍ فلم يجد فيه شيئاً ، فكتب على الحائط :

عـزّ علـيّ فقـركـم وعنـائـي

* * *

بل أفارقها !

ترافع سارقٌ مع المسروق منه أمام القاضي ؛ وقال : والله يا سيدي ؛ مددتُ يدي من الطاق فأخذتُ المتاع المدعَىٰ به ، فهل تسجنُني كلِّي لأجل جزءٍ مني !؟ ففكَّر القاضي طويلاً ؛ وقال له : نعم ، حكمتُ على يدك بالسجن سنتين ، فاترُكْها أو اصحَبْها .

ففكَّ السارقُ يده ، وإذْ هي عاريةٌ ، ووضعها على منضدة الحاكم ؛ وقال : بل أفارقُها ، وأعود لأَخْذِها بعد سنتَيْن .

* * *

أَلَمْ أوصك ؟

كان رجل يُوصي صــاحبه دائماً بقراءة آية الكرسي لأجل أن يحفظَهُ اللهُ من كلِّ سُوء ، فأصابه مرَّةً بلاء ، فرآه صاحبُه فقال : ألم أُوصِك بقراءة آية الكرسي فيحفظَك الله ؟ قال له : لقد سرقوا لي المُصحف ؛ فيه آية الكرسي والبقرة !!

* * *

هل عندك حرام الحرام

أراد أحدُ التجّار التجارةَ في بلدة ؛ فقال لأجيره : نجرِّب أهلَ البلدة ، لنختبرْ دينَهم وذِمَّتَهم . وجعل يبيع بيضاً ، كلَّ خمسةٍ بخمسة عشر من عملة البلدة ، وخمسة بعشرة ، وخمسة بخمسة ، فأتاه مشترٍ وقال له : بكم تبيع ؟ فقصَّ عليه الثمن . قال المشتري : ولِمَ هذا التفاوت ؟

قال : الأولىٰ حلالٌ صِرْف ، والثانية مشبوهة ، والثالثة حرام . فقال له المشتري : وهل عندك حرامُ الحرام ؟! قال : لا . فلمَّا ذهب قال التاجر لأجيره : لا عيشَ لنا بهذه البلدة .

* * *

القسمة العادلة

كان ركن الدولة أبو علي الحسن بن بويه ضعيف السياسة على خير فيه وكرم طبع ، فخرجت له بغال للعلف ، فقطع عليها اللصوص وأخذوها ، فلمَّا أُخبر بالحال ؛ قال : كم كانت البغال ؟! فقيل : ستَّة ، قال : واللصوص ؟ قيل : سبعة . فقال : الآن يختلفون ، كان ينبغي أن تكون البغال سبعة حتَّى تصحَّ القسمة بينهم .

تَبْتَلُّ عليَّ أحبُّ لي

كان بالمدينة أعمى يكنى «أبا عبد الله»، أتى يوماً يَغتسلُ من عينٍ فدخل بثيابِهِ، فقيل له : بللتَ ثيابَكَ ، قال : تبتلُّ عليَّ أحبُّ إليَّ من أن تجف على غيري .

* * *

إن شاء الله

سئل رجل : إلى أين ؟ فقال : إلى الكناسة لأشتري حماراً . فقيل : قل إن شاء الله . فقال : لست أحتاجُ إلى الاستثناء[1]؛ الدراهم في كُمِّي ، والحميرُ في الكناسة ، فلم يبلغ الكناسة حتَّى سُرقت دراهمه من كُمِّه !! فرجع ، فقال : رجل : مِن أين ؟ قال : من الكناسة إن شاء الله ، سرقت دراهمي إن شاء الله .

* * *

بعته برأس المال

سرق رجل قميصاً فبعثه مع ابنه ليبيعه فسرق منه في الطريق ، فلمَّا رجع قال أبوه : بعت القميص قال نعم ! قال : بكم ؟ قال : برأس المال .

* * *

أنا أعلم

مرَّ بُهلول بسوق البزَّازين ، فرأى قوماً مُجتمعين على باب دكان قد نقب ، فنظر فيه ، وقال : ما تعلمون من عملَ هذا ؟! قالوا : لا . قال : فأنا أعلم . فقالوا : هذا مجنون ، يَراهم بالليل ، ولا يتحاشَوْنَه ، فألطفوا به ، لعلَّه

---

(١) هو قول (إن شاء الله) .

يُخبركم ! فقالوا : خبّرنا قال : أنا جائع . فجاؤوه بطعامٍ سنيٍّ وحلواء . فلمّا شبعَ . . قامَ فنظرَ في النقب ؛ وقال : هذا عملُ اللصوص .

* * *

يا ذا القرنين

عبث الصبيان يوماً ببهلول فنفر منهم والتجأ إلى دار بابها مفتوح فدخلها وصاحب الدار قائمٌ له ضفيرتان ؛ فصاح به : ما أدخلك داري ؟ فقال ﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1] .

* * *

ما المطلوبُ غيري

وكان أعرابيٌّ اسمه مُجرم ، صلّى خلف إمام بالصفّ الأول ؛ فقرأ الإمام : ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[2] فتأخّر المقتدي للأخير ، ثمَّ قال الإمام : ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ﴾[3] ، فأتى إلى الوسط ، ثمَّ قرأ ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾[4] فترك الصلاة وهرب ، وهو يقول : والله ما المطلوبُ غيري .

* * *

أرسل غيره وأرحنا

وصلّى رجلٌ خلف إمام فقرأ الإمام : ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾[5] وصار يردِّدها ، فقال له المقتدي : أرسلْ غيرَهُ وأرِحْنا وأرِحْ نفسَك .

* * *

---

(١) الآية : ٩٤ ؛ من سورة : الكهف .

(٢) الآية : ١٦ ؛ من سورة : المرسلات .

(٣) الآية : ١٧ ؛ من سورة : المرسلات .

(٤) الآية : ١٨ ؛ من سورة : المرسلات .

(٥) الآية : ١ ؛ من سورة : نوح عليه الصلاة والسلام .

أهلكك الله وحدك

وقرأ إمامٌ قولَهُ تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ ﴾[1] وصار يكرِّرها ، فقال المقتدي : أهلكك اللهُ وحدَك .

* * *

نفعتك العصا

صلَّى أعرابيٌّ خلف إمام فقرأ الإمام : ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾[2] . فبعد الفراغ لَحِقَه الأعرابي وضربه بالعصا ؛ وقال له : يا جاهل ؛ تذمُّ الأعراب ! والله لأقتلنَّك .

وفي الجمعة الأخرى صلَّى خلفه لينظر ففطن له الإمام فقرأ : ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3] . وبعد الفراغ قال له الأعرابي : نفعَتْكَ العصا أيُّها الإمام .

* * *

الفيل أكبر

صلى أعرابيٌّ خلفَ إمام صلاةَ الصبح ، فقرأ الإمام سورة البقرة ، وكان الأعرابيُّ مستعجِلاً ففاتَهُ مقصودُه ، فلمَّا كان من الغد بكَّر إلى المسجد فابتدأ الإمام فقرأ سورة الفيل ، فقطع الأعرابيُّ الصلاة وولَّى هارباً ؛ وهو يقول : أمسِ قرأتَ سورة البقرة ، فلم تفرُغْ منها إلى نصف النهار ، واليوم تقرأُ سورة الفيل ! ما أظنُّك تفرغُ منها إلى الليل .

---

(١) الآية : ٢٨ ؛ من سورة : الملك .

(٢) الآية : ٩٧ ـ ٩٨ ؛ من سورة : التوبة .

(٣) الآية : ٩٩ ؛ من سورة : التوبة .

هل نقف حتى يأذن أبوك

قرأ بعضُهم سورة يوسف ، ولما وصل إلى قوله تعالى : ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ ﴾[1] وكرَّرَها ، فقال له أحد المصلِّين : وهل نقفُ حتى يأذن أبوك؟

* * *

والله ما أدري

صلى الرشيد بحضرة أبي نواس وقرأ سورة يسٓ حتى وصل إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[2] وصار يكرِّرها ، ونسي ما بعدها ، فقال له أبو نواس : والله ما أدري !! فما تمالك الرشيدُ أن ضحك ، ثم قال لأبي نواس : لك ما دونَ الصلاة[3] .

* * *

الرجال خير من النساء

صلَّى بعضُهم إماماً فقرأ من سورة يوسف قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾[4] إلى آخر ما قرأ ، ومدَّ نون (قطَّعْنَ) فقطع بعضُ الحاضرين صلاته وقال للناس : يا قوم ؛ « قطعن » جمع مؤنث ، فإذا مُدَّت النون صار جمعَ مُذَكَّر ، وهذا لا يجوز !!

وحصلَتْ مُشَادَّةٌ وتشويش ، حتَّى أتى بعضُ المتنفِّذين الجهلاء الغِلاظ العمالقة ؛ فصفع الرجل وقال له : يا خبيث ؛ الرجالُ خيرٌ من النساء ، فما تعملُ النساء بالقرآن ، وما عليه إذا مدَّ النون !! .

---

(١) الآية : ٨٠ ؛ من سورة : يوسف عليه الصلاة والسلام .

(٢) الآية : ٢٢ ؛ من سورة : يسٓ .

(٣) حكىٰ الطبري وغيره عن هارون الرشيد أنه كان يصلي في كل يوم مائة ركعة نافلة ، وكان يغزو عاماً ويحج عاماً .

(٤) الآية : ٣١ ؛ من سورة : يوسف عليه الصلاة والسلام .

الفتح على الإمام في الصلاة

في سورة غافر ويقال لها (سورة المؤمن) آيتان متشابهتان :

الأولى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٌ كَذَّابٌ ﴾[1] والثانية : ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٌ مُّرۡتَابٌ ﴾[2] فقال في الأولى : إنَّ الله لا يهدي مَن هو مسرف مرتاب ، فقال له من خلفه : ﴿ كَذَّابٌ ﴾[3] .

* * *

ما بعد سورة الناس

كرَّهَ الفقهاءُ قراءةَ القرآن منكوساً ، فاتفق أن متفقِّهاً دجَّالاً قرأ : « قل أعوذ برب الناس » في الركعة الأولى ، فلما قام إلى الركعة الثانية قرأ : ربِّ يَسِّرْ ولا تعسّرْ ربِّ تَمِّمْ بالخير . فقيل له في ذلك : فقال : ليس بعدَها إلاَّ هذه .

* * *

وأنا مع ذلك صائم

كان أعرابيٌّ قائماً يصلِّي فأخذ قومٌ يصِفُونه بالصلاح ، وهو يسمع ، فقطع الصلاة ؛ وقال : وأنا مع هذا صائم .

* * *

سجود سهو

صلَّى جاهلٌ بجماعة ، وبعد فراغه سجد للسهو ، فسُئل عن ذلك ؛ فقال : ذكرتُ أنِّي على غير وضوء ، فسجدتُ للسهو .

---

(١) الآية : ٢٨ ؛ من سورة : غافر .
(٢) الآية : ٣٤ ؛ من سورة : غافر .
(٣) الآية : ٢٨ ؛ من سورة : غافر .

ربحنا قصر الصلاة

سافر أعرابيٌّ في وجهٍ ؛ فلم ينجح ، فقال : ما ربحنا في سفرنا إلاّ قصرَ الصلاة .

* * *

أجود نبيذ

ـ قصَّ قاصٌّ فقال : إذا مات العبدُ . . وهو سكران ، دُفن وهو سكران ، وحُشر وهو سكران . فقال رجلٌ في طرف الحلقة الآخر : هذا والله نبيذٌ جيّدٌ يساوي الكوزُ منه عشرين درهماً .

* * *

قاتلك الله

كان أحدُ المؤذِّنين يُذَكِّرُ قبلَ الصبح كما هي عادتهم بالصلاةِ على النَّبيِّ ﷺ ؛ ويقول :

أُرسِلُهَـا مَـعْ نَسِيْـمِ ٱلصُّبْـحِ صَـافِيَـةً

وإذْ به قد أُحصر ، فقعد يبولُ من المنارة ، فنزلَتْ على أحد المارِّين ، فناداه : قاتلك الله وصلَتْني لكن غيرُ صافية .

* * *

شماتة اليهود والنصارى

مرّ سكران بمؤذِّن رديء الصوت فجلد به الأرْض ، وجعل يدوس بطنه ، فاجتمع إليه الناس فقال : والله ما برداءة صوته ؛ ولكنَّه شماتةُ اليهود والنصارى بالمسلمين .

ما جمعناه بيوسف حططناه بالنور

من المعروف ما اعتاد عليه كثيرٌ من نساء الإسلام محبَّة سماع سورة يوسف عليه السلام ، ويستحبُّ كثير من العلماء قراءة سورة النُّور لهن ، فاتفق أنَّ قارئاً كان يقرأ لهنَّ سورةَ يوسف حتَّى جمع مبلغاً من المال ، فوُشي به لرئيس العلماء ، فأمرَهُ بقراءة سورة النور ، فقلَّتْ زبوناته حتَّى اضطُرَّ أن يصرف من جيبه ، فرآهُ بعضهم ، وقد تأخَّر حالُه ؛ فقال له : ما جمعناه بسورة يوسف حططناه بسورة النور ، والسلام .

* * *

لا يصل إلى الجنة برغيف

نادت امرأةٌ رجلاً يقرأُ لميِّتها شيئاً من القرآن ، وأعطَتْهُ رغيفاً ، فقرأ قوله تعالى : ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾[1] ، قالت له : إلى أين يأخذه ؟ قال : لا يصلُ إلى الجنة برغيف !! فأعطَتْهُ كثيراً فقرأ : ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ۝٥٥ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ۝٥٦ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾[2] .

* * *

لا تقبل لسارقة يميناً

قال الأصمعيُّ : دخلتُ البادية ومعي كيسٌ فيه دراهم ودنانير ، فأودعتُه امرأةً منهم ، ومضيتُ لقضاء حاجةٍ لي ، فلمَّا جئتُ إليها وطلبتُ الكيسَ منها أنكرَتْ ، فأتيتُ بها إلى شيخٍ من الأعراب ، فاستمرَّتْ على إنكارِها ، فقال الشيخ الأعرابيُّ : قد علمتَ أنَّه ليس عليها إلا اليمين .

فقلت : كأنَّكَ لم تسمَعْ قولَهُ تعالى :

---

(١) الآية : ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٢ ؛ من سورة : الحاقة .

(٢) الآية : ٥٥ ـ ٥٦ ـ ٥٧ ؛ من سورة : يسٓ .

فَــلاَ تَقْبَــلْ لِسَــارِقَــةٍ يَمِيْنَــاً وَإِنْ حَلَفَــتْ بِــرَبِّ ٱلعَــالَمِيْنَــا

قال الأعرابي : صدقتَ . ثمَّ تهدَّدَها فأقرَّت وردَّتِ الكيس إليَّ ، ثمَّ التفتَ الشيخ ؛ وقال لي : في أيِّ سورةٍ هذه الآية ؟ أفِدْنا مأجوراً . فقلتُ له : في سورة :

أَلاَ جُــودِي بِــوَصْلِــكِ وَٱصْحَبِيْنَــا وَلاَ تَبْغِــي وِصَــالَ ٱلنَّــاقِصِيْنَــا

فقال: سبحان الله؛ لقد كنتُ أظنُّ أنَّها في سورة ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾[1] .

* * *

تعلمتها البارحة

اختصم أعرابيّان إلى شيخ منهم !! فقال أحدهما : أصلحك الله ؛ ما يحسن صاحبي هذا آية من كتاب الله عزَّ وجلَّ . فقال الآخر : كذب والله ؛ إنِّي لَقَارِىء كتاب الله ! قال : فاقرأ . فقال :

عَلِــقَ ٱلقَلْــبُ رَبَــابَــا بَعْــدَمَــا شَــابَــتْ وَشَــابَــا

فقال الشيخ : لقد قرأتَها كما أنزلها الله ! فقال صاحبه : أصلحك الله ؛ ما تعلَّمَها إلا البارحة .

* * *

لست براجع في هبتي

حدَّثنا الأصمعيُّ قال: دخل رجل من الأعراب على رجل من أهل الحضر؛ فقال له الحَضَري: هل لك إلى أن أعلِّمك سورة من كتاب الله!؟ فقال: إنِّي أحسن من كتاب الله ما إن عَمِلْتُ به كفاني . قال : وما تُحسنُ ؟ قال : أحسن سُوَراً . قال : اقرأ فقرأ فاتحة الكتــاب ، و﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَــدٌ ﴾ ، و﴿ إِنَّآ

---

(١) الآية : ١ ؛ من سورة : الفتح .

﴿أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ . فقال له الرجل : اقرأ السورتين - يريد المعوذتين - فقال : قدم عليَّ ابنُ عمٍّ لي فوهبتُهما له ، ولست براجع في هبتي حتَّى ألقى الله .

* * *

ثقيل

وقال رجل لأبيه : يا أبَتِ ؛ حَدّثني مُسْتَمْلي أبي حنيفة أنّ أبا حنيفة قال : إنّي ثقيل ، فقال : يا بُنَيَّ أنت ثقيلٌ بالإسْناد .

* * *

معذبو الدنيا والآخرة

كنت أقرِّرُ قوله عليه الصلاة والسلام : « يدخلُ الفقراءُ الجنةَ قبل الأغنياء بخمس مئة عام »؛ وكان أبو درويش سُويد حاضراً ؛ فقال : ويلٌ لهم . قلت : ولم ؟ قال : حتى يعمِّروا الجنة ، يكنسوها ويفرشوها للأغنياء ، فهم معذَّبون بالدنيا ومعذَّبون بالآخرة .

* * *

ثلاثة أدلة أخرى

كنت أُلقي درساً وأقولُ لهم : إنَّ للذَّبيحِ إسماعيلُ لأدلَّةٍ ثلاثة :

أولها قوله تعالى : ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾[1] فلا يليقُ بعد أن بُشِّر بيعقوب من بعده أن يُؤمر بذبحه لمَّا بلغ معه السعيَ قبل أن يتزوَّج .

ثانياً : إنَّ إسحاق لم يكنْ مع أبيه في الحجاز حتى نتصوَّر القصَّة معه .

ثالثاً : قوله عليه الصلاة والسلام : « أَنَا ٱبۡنُ ٱلذَّبِيۡحَيۡنِ » مع المحقَّق أنَّه عليه السلام ابنُ إسماعيل لا ابن إسحاق !!

---

(١) الآية : ٧١ ؛ من سورة : هود عليه السلام .

فكان أبو درويش سويد أحدَ المستمعين ؛ فقال لي : أفِدْني مَنْ منهما ابنُ السيِّدة ، ومَن منهما ابنُ الأمَة ؟ فقلت له : إسحاق ابنُ السيِّدة ، وإسماعيل ابن الأمَة .

فقال : كنْ واثقاً ـ يا سيِّدي ـ أنَّ ابنَ الأمة هو الذي أُمر أبوه بذبحه ، ابنُ الأمة هو الذي أمر أبوه بأن يسكنه بوادٍ غيرِ ذي زَرْع ، ابنُ الأمة هو الذي اشتغل عاملاً عند أبيه حتَّى بنيا بيتَ الله . وهذه ثلاثة أدلَّة لي .

* * *

عذاب إبليس في جهنم

سأل رجل أبا درويش سويد رحمه الله تعالى: بما أنَّ إبليس مخلوق من النار، فما فائدة تعذيبه بالنار !؟ فقال له : أنتَ مخلوقٌ من الطِّين والتراب ، فلو ملأنا برميلاً ماء وطيناً ووضعناك به ألا تتعذَّب ؟ أو حَشَوْنا فمكَ تراباً ألا تتعذَّب ؟

وإنِّي أقولُ جواباً آخر : هو أن جهنَّم فيها زَمْهَريرٌ أيضاً كما فيها نار ، فمَنْ دخل جهنَّم يُعذَّبُ بما يليق .

أجارنَا الله منها بكرمه ومَنِّه .

* * *

عظموا ضحاياكم

كنتُ أقرِّرُ قوله ﷺ : « عَظِّمُوا ضَحَايَاكُمْ ، فَإِنَّهَا عَلَىٰ ٱلصِّرَاطِ مَطَايَاكُمْ » ! فقال أبو درويش رحمه الله : يا سيِّدي ، كنتُ شريت كبشاً كبيراً للأُضحِيَّة ، فلما أتَوْني به قالوا لي : نحن أربعةُ رجال حتى قدَرْنا على إيصاله لدارك ! فقلت لهم : ولِمَ ؟ قال : ستركبه غداً على الصراط . قلت لهم : ارجعوه ؛ والله إنَّه يرميني ، أنتم أربعة حتَّى أوصلتموه ، فكيف أركبه وحدي !! اشتَرُوا لي كبشاً صغيراً وديعاً ، فإنِّي أتعثَّر إذا مشيتُ على الأرض ؛ فكيف وأنا راكب ؟

* * *

استقبل جهة أوعيتك

تجرَّدَ بعضُهم لأجل أن يغتسل بغديرٍ من الماء ، وسأل رفيقه عن القبلة قائلاً : أي جهة أستقبل ؟ فقال له رفيقه : استقبلْ جهةَ أوعيتِك حتَّى لا تُسرق .

* * *

لم يرضوا ثمانية

دخل رجلٌ لِيُمتحَن لأجل أن يكون إماماً فسألوه : كم ركعةً فرضُ الظهر ؟ فقال : ثمانية . فطردوه ، فسأله رفاقه : لِمَ طردوك ؟ فقصَّ عليهم السؤال والجواب ، فقالوا له : لِمَ لمْ تقلْ لهم أربعة ؟ قال : قاتلكم الله ؛ إنَّهم لم يرضوهُ ثمانية ، فهل يرضُوه أربعة ؟! ولكنَّهم متحاملون علي .

* * *

قمر ثانٍ

أمر القاضي الناسَ بالتماس هلالِ رمضان ، فخرجوا ولم يرَهُ أحدٌ ، حتَّى أتى رجلٌ أعمشُ العينَيْن دلَّهم عليه ، فرأَوه وعَجبوا منه ، وأكرموه ورفعوا منزلتَه ، فلمَّا رأى عِظَمَ أمرِه حَسِب أنَّه إنْ دلَّهم على قمرٍ ثانٍ أن ينال ما نال أوَّلاً ، فقال لهم : وهذا قمرٌ ثانٍ .

* * *

آن أن أَمدَّ رجلي

أتى رجلٌ بزيِّ العلماء لبعض مجالس العلم ، فتهيَّبه المدرِّس ثم قرَّرَ أوقات الصلاة ، وقال : إنَّ وقتَ الفجر من الفجر الصادق إلى طلوع الشمس . فقال الرجل : فإنْ طلعتِ الشمس قبل الفجر ، ماذا يكون ؟ فقال له المدرس : الآن آنَ أن أمُدَّ رجلي .

* * *

من الفقه إلى الحجامة

سأل رجلٌ من النُّوكى[1] الشَّعبي . . وهو جالسٌ مع امرأته ؛ فقال : أيُّكم

---

(١) الحمقى .

الشَّعبيُّ ؟ فقال : هذه . فقال : ما تقولُ أصلحكَ الله في رجلٍ شتمني أوَّلَ يومٍ من رمضان ؛ هل يُؤجر ؟ قال : إن كان قالَ لك : يا أحمق ؛ فإنّي أرجو له .

* * *

فذلك أريد

قال الواقديُّ : لقيتُ أشعبَ يوماً ، فقال : وجدتُ ديناراً ، فكيفَ أَصنعُ به ؟ قلت : تُعرِّفُه . قال : سبحانَ الله ! قلتُ : فما الرَّأيُ ؟ قال : أَشتري به قميصاً ، وأعرّفه . قلتُ : إذن لا يَعرفه أحدٌ . قال : فذلك أريد .

* * *

انقعها

سأل رجلٌ الشَّعبي عن المسح على اللِّحية في الوضوء ، فقال : خلِّلها بأصابعك ، فقال : أخاف أن لا تبلَّها . قال : فانقعها من أوَّل الليل .

* * *

نسيت ما لم ينس

في باب الحظر والإباحة من ابن عابدين قال :

لطيفة : نقل عن هشام بن الكلبيِّ قال : حفظت ما لم يحفظه أحد ونسيت ما لم ينسه أحد ، حفظت القرآن في ثلاثة أيام ، وأردت أن أقطع من لحيتي ما زاد على القبضة فنسيت فقطعت من أعلاها .

* * *

من أراد أن تطول لحيته

في مضحكات « العقد الفريد » لابن عبد ربه آخرَ الكتاب أنَّ الحجاج أُتي بسفط مما أصيب في بعض خزائن كسرى مقفل ، فأمر بكسر قُفله ، فإذا فيه سفط آخر مقفل ، فتزايد الناس بثمنه حتَّى بلغ خمسة آلاف دينار بدون رجوع ؛ فقالوا : ما عسى أن يكون فيه ؟ فكسروه فإذا فيه رقعة مكتوب فيها : مَن أراد

أن تطول لحيته فليمشطها من أسفل .

*　*　*

على الخبير سقطت

سأل رجلٌ عن مسألةٍ ؛ فقال : نعم ؛ على الخبير سقَطت ، إنِّي سألتُ عنها والدي ؛ فقال : لا تسألُ أحداً أعلمَ بها منِّي ، يا بني ؛ إنِّي سألتُ عنها شيخي قال : لا أدري .

*　*　*

أنا نسيت إحداهما

يقرب منها أنَّ رجلاً قال : خصلتانِ مَنْ فعلهما أتَتْهُ الدنيا راغمةً ، ويسَّر الله أمره ، وأدخله الجنةَ بغيرِ حساب ، قال له السامع : نعم ؛ حدِّثْني بهما جزاك الله خيراً ؟ قال : إحداهما نسيتُها أنا ، والأخرى نسِيَها شيخي .

*　*　*

خلتان منسيتان

قيل لأشعب : جالستَ النَّاسَ ؛ وطلبتَ العلم ، فلو جلستَ لنا !! فجلس ، فقالوا : حدِّثنا فقال : سمعتُ عكرمةَ ؛ يقول : سمعتُ ابنَ عبَّاس ؛ يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « خَلَّتَانِ لاَ يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ » . ثمَّ سكتَ، فقالوا : ما الخلّتان ؟ فقال : نسي عكرمةُ واحدةً ، ونسيتُ أنا الأخرى.

*　*　*

ميراث

سُئل أحدُهم فيمن مات وخلَّف بنتاً وابناً وزوجة ، ولم يخلِّفْ من المال شيئاً !! فقال : للابن اليُتْم ، وللبنت الجَزَع والذُّلّ ، وللزوجة خرابُ البَيْت ، وما بقي من الوحشة والهَمِّ للأقربِ فالأقرب من العَصَبات .

*　*　*

فتوى الوالي

شكت أعرابيّةٌ زوجَها إلى صواحب لها ، فقلن : طلِّقيه . فقالت : اِشهدن أنَّه طالق ثلاثاً ، فاختصموا إلى والي الماء ، فتكلَّمت ؛ فقال لها : أيُّها أمُّ فلان ، لا تجوري فنحاربك ، اِلزمي الطريق المهيع[1] إلى المأمون ، ودعي بُنيّاتِ الطريق ، كيف قلت ؟ قالت : قلت : هو طالق ثلاثاً ، ففكر الوالي ساعة ثم قال : أراك تحلّين له ، ولا أراه يحلّ لك !! .

* * *

ليس بفقه

ترك طبيب طبَّه وقعد فقيهاً ، فقيل له : ما تقول فيمن رَعَف في صَلاته ؟ فقال : يحتَجِمُ ، قيل : فمن قَلّسَ[2] في صلاته ؟ فقال : يتناول حَبَّ أيارج ، قيل : ذا طِبٌّ وليس بفِقْه .

وقيل لآخر : ما تقولُ فيمن خَصَى نفسَه ؟ قال : إن قَصَد الإضرار بامْرأتهِ حُدَّ .

* * *

لعن الله نفسك

كان بمصرَ واعظٌ يقال له « أبو عبد الله الخوّاص » من أشدِّ الناس غفلة ، وقف به رجل من العامَّة يقال له محمد القمقماني الخبَّاز ؛ فقال له : أصلحك الله ؛ لي نفسٌ معلولة لا تجيب إلى شيءٍ من الخير ، فما يصلِحُها لي ؟! قال : اقرأ القرآن وأكثر منه . قال : ما أحفظ غيرَ « الحمدُ » و« قل هو الله أحد » ،

---

(١) المهيع : السوي الواسع .
(٢) قلس : قاء وأصابه غثيان .

وقد قرأتُهما مرّات كثيرة ونفسي بحالها !! قال : فاذكر الموت . قال : إليك الله ! قد فعلتُ فما خشعت ، ولا جاء منها شيء . قال : فأكثر حضورَ مجالس الذكر . قال : مِن أين أجدُ ؟ وقد تركت شغلي ولزمت المجالس ونفسي كما هي !! قال : لعن الله نفسك ، فإنَّها مشؤومة ملعونة ؛ كما قلت : والرأيُ أن تمضي بها إلى جرجان ابن مطهر صاحب الشرطة يؤدِّبُها لعله يجيَء منها بشيء .

* * *

نعمة النسيان

خرج لصوصٌ على عالم وتلميذِه ؛ فلم يجدوا معهما شيئاً ! فقالوا لهما : نريد أن نسألَ الفقيهَ عن مسائل شرعيّة . فقال الشيخ : سيهتدون إن شاء الله . فقال : سلوا . فقالوا له : كم ركعةً فرضُ الصبح ؟ قال لهم : ثنتان فرض وثنتان سنَّة ، فضربه اللصُّ أربعةَ أسواط ، ثم قال له : فالظهر ؟ قال : أربعٌ سنة ، وأربعٌ فرض ، وأربع سنة . فضربه اثني عشر سوطاً . فالعصر ؟ قال : أربع . فضربه أربعةً ، فالمغرب ؟ خمس . فضربه خمسة ، فالعشاء ؟ تسع ، فضربه تسعة ، فكادَ أن يهلِكَ الفقيه ، فحمله التلميذُ على ظهره ومشى به ، وقال له : يا سيدي ، كم أني مسرورٌ بما لا مزيدَ عليه . قال : بماذا ويلك ؟ قال : يا سيدي ؛ حيثُ نسيَ التراويحَ ، وقيامَ الليل ، والله كان يُهلكُكَ وما يبقَى عنك يأتيني ، فالحمد لله حيث نسي .

* * *

لِمَ لم تنصرف أشياء ؟

سئل بعض الوعَّاظ : لِمَ لْم تنصرف « أشياء » !؟ فلم يفهم ما قيل له !! فقال لسائله : يا هذا ؛ اقتف آثار المهتدين ولا تسأل سؤال الملحدين ، أَمَا سمعت قولَ من يحيي الموتى ويميت الأحياء : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟

عَنۡ أَشۡيَآءَ ﴾[1] لقد ارتكبت بمخالفتك ذنباً عظيماً ، فاستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيماً .

* * *

أصبت في صمتك

قيل : كان يجلس إلى أبي يوسف رجلٌ فيُطيل الصمت لا يتكلَّمُ ، فقال له أبو يوسف يوماً : ألا تتكلَّم ؟ فقال : بلى ؛ متى يُفطر الصائم ؟ قال : إذا غابتِ الشمس ، قال : فإنْ لم تغِبْ إلى نصف الليل ؛ كيف يصنع ؟! فضحك أبو يوسف وقال له : أصبتَ في صمتك ، وأخطأتُ أنا في استدعائي نطقك !! وأنشد :

عَجِبْـــتُ لإِزْرَاءِ ٱلعَيِــيّ بِنَفْسِــهِ ... وَصَمْتِ ٱلَّذِي قَدْ كَانَ بِٱلقَوْلِ أَعْلَمَا

وَفِـيْ ٱلصَّمْـتِ سَتْـرٌ لِلْعَيِـيِّ وَإِنَّمَـا ... صَحِيْفَـةُ لُـبِّ ٱلمَـرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَـا

* * *

نهنّيكم

كان طاشتكين أبو سعيد المستنجدي الأمير الكبير ، قد جاوز تسعين سنة ، فاستأجر أرضاً وقفاً مدَّة ثلاث مئة سنة على جانب دجلة ليعمِّرَها داراً ، وكان في بغداد رجل محدِّث يحدّث في الخلق ، يسمَّى « فتيحة » ، فقال : يا أصحابنا ؛ نهنِّيكم مات ملك الموت ، فقالوا : وكيف ذلك ؟ فقال : طاشتكين عمره تسعون سنة وقد استأجر أرضاً ثلاث مئة سنة ، فلو لم يعلم أنَّ ملك الموت قد مات ما فعل هذا !!

* * *

---

(١) الآية : ١٠١ ؛ من سورة : المائدة .

تلقين ميت

ذهب شيخٌ مع تلامذته لإحدى النزهات ، فتعرَّض لهم أهل القرية للضيافة والاستراحة ؛ فأبى الشيخ وواصل السير ، فتعرَّض لهم أهلُ القرية الثانية فلم يقبلِ الشيخ ، فتعرَّض لهم أهلُ القرية الثالثة فلم يَرْض الشيخ ، وواصلوا السير حتَّى أعياهم المسير ، ومن شدَّة التعب والحَرِّ مرِض أحدُهم وتوفِّي ، فدفنوه هناك .

ثمَّ أرادوا تلقينَه فكلَّفوا الشيخ ، فانتدب الشيخُ أحدَهم ؛ فلقَّنه ؛ وقال :

لقَّنْتُك تلقينك

كن على يقينك

طالما شيخنا وراءنا

نحن غداً لاحقينك

* * *

الله يعين ميتكم

سمع أحدُ الأغنياء وعظَ أحدِ العلماء بعذاب القبر وسؤالِهِ ، وما يلاقيه المرء في قبره !! فمات له والد ، فأراد أن يُنزلَ معه أحدَ الأحياء ليشاهدَ ما يحصُل معه ، فرأى أحدَ الجريئين الفقراء ، فأطمعه بالدراهم ، وأنزلَه مع والده ؛ وأبقَوْا له ما يتنفَّسُ منه ، ثمَّ ذهبوا وإذْ به يسمع كلاماً في القبر ولا يَرى أحداً !!

فقال أحدُهم للآخر : نبدأ بالحيِّ أم بالميت ؟ فأجابه الثاني : إنَّ الميتَ باقٍ عندنا ، فلْنسألِ الحيَّ . قال : فأتَوْه ؛ وقالوا له : أما تعلم أنَّ لبسَ الحريرِ حرام ؟! فكيف زنارك حرير ؟!

وانهالا عليه بالضرب ، فلا يرى إلا الضرب والألم ؛ ولا يوجد أحد !!
ولا زال يأكل الضرب ، ويصيح ولا مجير ، حتّى الصباح ، فأتَوْا يحفِرون القبر ، فلمَّا أمكنه القيام ، قفز وركض ؛ فقالوا له : ما لك ؟ قال : لقد هُري جلدي من الضرب والقتل ، الله يعين ميتكم !!

* * *

كذاب في الدنيا كذاب في الآخرة

مات أحدُ الكذَّابين المُضْحِكين ؛ فلمَّا أتاه المَلكانِ في قبره يسألانه قال : سبحان الله ؛ كم نُسأل في قبرنا ؟! قالا له : نحن ملائكةُ السؤال . قال لهما : ومَن سألني قبلَكُما ؟ قالا : لا نعلم . فتشاورا ، هل أرسل الله قبلَنا أحداً ؟ وإذْ أتاهما النداء : إنَّ هذا كذَّابٌ في الدنيا . . كذَّابٌ في الآخرة ؛ فدعوه لرحمتي .

* * *

خلصني

قيل : إنَّ رجلاً سرق جدياً ، وحين مات رآه رفيقه في الحلم فسأله ؛ قال : لقد حاسبوني فأنكرتُ ، فخلق الله تعالى المسروق منه فلم أقبل شهادته ، فخلق الله الجدي وأنطقه ، فقلت : أي ربِّ ؛ أنا السارق وهذا المسروق وهذا المسروق منه ؛ فأعطه إيَّاه وخلِّصني من العذاب .

* * *

عظمّ الله أجرك

دخل عبادةُ المخنَّث على المأمون وقد امتحن الناس بخلق القرآن ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ يعظم الله أجرك . قال : فيمن ؟ قال : في القرآن ؛ فمن بقي يصلِّي بالناس بالتراويح !! فقال : ويحك القرآن يموت !! فقال : أليس

قال أمير المؤمنين (إنَّه مخلوق) !! فقال : أخرجوه عني ، قبَّحه الله تعالى[1] .

* * *

ولمَّا قُتل المتوِّكل كان حاضراً ؛ فلما هجموا على المتوكل وهو على شرابه وقطَّعوه بالسيوف قام الفتح بن خاقان وألقى نفسه عليه؛ وقال: يا أميرالمؤمنين؛ لا حياة لي بعدك . فقطَّعوه بالسيف أيضاً ، فلمَّا رأى ذلك عبادةانزوى ؛ وقال : يا أمير المؤمنين ؛ إلا أنا ، إنَّ لي بعدك أدواراً وأنزالاً أشربُها .

فضحكوا منه وتركوه .

* * *

بعض الشرِّ أهون من بعض

كان ببغداد طبيبٌ اسمه نعمان لا ينجح مريض على يديه ، فقال فيه بعض الشعراء :

أَقُولُ لِنُعْمَانٍ وَقَدْ سَاقَ طِبُّهُ   نُفُوساً نَفِيسَاتٍ إِلَىٰ دَاخِلِ ٱلْأَرْضِ
أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَٱسْتَبْقِ بَعْضَنَا   حَنَانَيْكَ بَعْضُ ٱلشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

* * *

إنَّكَ انهزمت

وانهزم رجلٌ من المعركة فدخل على أميره فشتمه ؛ وقال : إنَّكَ انهزمتَ وهربتَ ، ولم توغل ولا صبرت ؟ فقال : لئن تشتمني أصلحك الله وأنا حيٌّ ، خيرٌ من أن تترَّحم عليَّ وأنا ميت .

(١) فوات الوفيات وفيه أن عبادة المخنث كان صاحبَ نوادر ومجون ، كان ببغداد ، وتوفي في حدود الخمسين ومئتين .

كيف أمشي إليه ركضاً

قيل لأعرابيٍّ ؛ أُخرج إلى الغزو . فقال : أنا والله أكره الموتَ على فراشي ؛ فكيف أمشي إليه ركضاً !؟

أخذ هذا المعنى أحمد بن أبي فنن ؛ فقال :

مَا لِي وَمَا لَكَ قَدْ كَلَّفْتَنِي شَطَطَاً   حَمْلَ ٱلسِّلَاحِ وَقَوْلَ ٱلدَّارِعِيْنَ قِفِ !

أَمِنْ رِجَالِ ٱلْمَنَايَا خِلْتَنِي رَجُلاً   أُمْسِي وَأُصْبِحُ مُشْتَاقَاً إِلَىٰ ٱلتَّلَفِ !!

أَرَىٰ ٱلْمَنَايَا عَلَىٰ غَيْرِي فَأُكْرَهُهَا   فَكَيْفَ أَمْشِي إِلَيْهَا بَارِزَ ٱلْكَتِفِ ؟!

* * *

يا نوح

تنبَّأ رجل يسمَّى « نوحاً » وكان له صديق نهاه فلم يقبل !! فأمرَ السلطان بقتله ، فصُلِب ، فمرَّ به صديقُه ؛ فقال له : يا نوح ؛ ما حصلت من السفينة إلاَّ على الصاري .

* * *

ما أعددت لهذه الحفرة ؟

ماتت حمَّادةُ بنتُ عيسى ـ عمَّةُ المنصور ـ ، فخرج في جنازتها فرأى أبا دُلامة واقفاً على شفير قبرِها ، فقال : ما أعددَت لهذه الحفرة ؛ يا أبا دلامة ؟ قال : عمَّة أمير المؤمنين ، يُؤتى بها الساعة فتُدفن فيها .

فغلب المنصور الضحكُ حتَّى سترَ وجهَهُ بطرف ردائه حياءً من الناس .

* * *

الفهـرس